الجليس الصالح الكافي
والأنيس الناصح الشافي

لأبي الفرج
المعافى بن زكريا النهرواني الجريري
٣٠٣ - ٣٩٠ هـ

تحقيق
الدكتور إحسان عباس

الجزء الرابع

عالم الكتب





بيروت - المزرعة ، بناية الإيمان - الطابق الأول - ص.ب ٨٧٢٣-١١
تلفون: ٣٠٦١٦٦-٣١٥١٤٢-٣١٣٨٥٩-برقيا: نابعلبكي - تلكس: ٢٣٣٩٠ ALAMKO


الجليس الصالح الكافي
والأنيس الناصح الشافي

الطبعة الأولى
١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

المجلس الثالث والثمانون

[حديث: إذا أراد الله بقوم خيراً]

حدّثنا القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريّا قال: حدّثنا أبي رضي الله عنه قال: حدّثنا محمد بن عبد بن عامر السعدي، قال: أخبرنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي أبو يعقوب، قال: أخبرنا عيسى بن يونس السبيعي عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقي عن حيّان بن أبي جَبَلَة، قال: قال رسول الله ﷺ[1]: «إذا أرد الله بقوم خيراً أكثر فقهاءهم وقلَّل جهّالهم، حتّى إذا تكلَّم العالِم وجد أعواناً، وإذا تكلّم الجاهلُ قُهِرَ، وإذا أراد الله بقوم سوءاً كثّر جهّالهم، وقلّل فقهاءهم، حتّى إذا تكلّم الجاهلُ وَجَدَ أعواناً، وإذا تكلّم الفقيه قُهِرَ».

قال القاضي: قد ورد عن النبيِّ ﷺ نظيرُ ما أتى به هذا الخبر من طُرُقٍ كثيرة بألفاظٍ مختلفةٍ في صورها متّفقة في معانيها، وممّا رُوي عنه ﷺ في هذا الباب إخباره أنَّ من أشراط الساعة أن يُرْفَعَ العلمُ وَيَظْهَرَ الجهل، وقد فشا هذا الأمرُ المنكَرُ المذموم في زماننا وصار الجاهلُ فيه مُقَدَّماً متبوعاً، والعالم المتقدم في عِلمه مقصيّاً مقموعاً حتّى صار يَتَسَرَّعُ إلى الفُتْيا في الدين

(١) الحديث في الجامع الصغير ١: ١٧ وعدّه الألباني (ضعيف الجامع الصغير ١: ١٣٨) حديثاً ضعيفاً.

والحكمِ بين المسلمين مَن لم يُعنَ بدراسةِ الفقه، ولم يُعْرَفْ بمجالسة أهله، ولا مجاثاةِ الخصوم فيما اختلف أيمةُ الفقهِ فيه، ومناظرتِهم ومجاراتِهم ومذاكرتِهم. وسالت هذه الطائفة المضلِّلة المحتقرة المسترذلةُ بعض مَن قد اشتهر طلبه للعلم ومذاكرته واشتغاله بالنظر فيه واتّفاق أصحاب له يأخذون عنه ويرجعون إلى تلخيصه المشكل منه لاختلاط بعضهم ببعض، ومعاشرتهم بعضهم بعضاً، وممالأة كل فريق منهم صاحبه على ما يُؤثره، ووقوف كلِّ حزبٍ منهم على ما يرغب عنه ذو الدين وينكره، فصاروا على الحد الذي قال في أهله مالك بن دينار: افتضحوا فاصطلحوا، وكما قال الشاعر[1]:

ذهب الرجالُ المقتَدىٰ بفعَالهمْ ... والمنكرون لكلِّ أمرٍ منكَرِ
وبقيتُ في خَلْفٍ يُـزَيِّنُ بعضُهُمْ ... بعضاً ليدفعَ مُعْوِر عن مُعْوِرِ

ولقد بلغني أنَّ رجلاً استفتىٰ بعضَ أهلِ زماننا في شيءٍ بينه وبين خَصْمٍ له، فأفتاه بما فيه حُجَّةٌ له فيما استفتاه عنه، وإنكارٌ علىٰ خصمه ما حاول منازعته فيه، فلمّا ولَّى لَقِيَهُ بعضُ أنسباء الخصم المستفتىٰ عليه، فأخذ صحيفةَ الفتيا من يده، وأخبر المفتي أنّ الّذي استفتاه المستفتي فيه هو شيءٌ همُّ الخصومُ فيه، وما أفتى به ممَّا يكرهونه ويستضرُّونَ به، فارتجع الفتيا من صاحبها، وألحق بها ما عاد على فتياه الأولى فنقضها وَقَلَبها عن جهتها. ولنا في هذا الفصل كلامٌ قد أثبتُّه ووصلتُهُ بأبياتٍ حضرتني، وأودعتُ ذلك كتابي المُسمّى «تذكير العاقلين وتحذير الغافلين» والأبيات:

تسالمَ القومُ لمّا ... عادوا دعاةَ السَّلامَهْ
تفاسدوا ثم أبدَوْا ... صُلْحاً بغيرِ استقامَهْ

---

(١) ورد البيتان في مصورة ابن عساكر ٣: ٣٣١ (ترجمة بشر بن الحارث الحافي، ولعل الشعر من إنشاده) وتهذيب ابن عساكر ٣: ٢٤٢، ونسبا في معجم الشعراء: ٣٨٣ لدعبل وفي المؤتلف: ١٦١ للحكم بن عبدل وفي بهجة المجالس ١: ٧٩٩ لعبد الله بن المبارك أو لغيره ووردا في الصداقة والصديق: ١١٥ وعيون الأخبار ٢: ١٢٣ دون نسبة.

والصُّلح ما لم يُهذَّبْ عداوةٌ مستدامَهْ
وكلُّ ودٍّ سقيمٍ فمنتهاهُ النَّدامَهْ

[أول من قال: برح الخفاء]

حدَّثنا محمَّد بن الحسَن بن دريد قال: أخبرني عمِّي عن أبيه عن ابن الكلبي قال: كان أوَّلَ من قال: «بَرِحَ الخفاءُ»[1] أن رجلًا من كندةَ يقال له صدّاد بن أسماء، وأسماء أُمُّه، وهي امرأة من بني الحارث بن كعب، وكانت تحت صدّاد امرأةٌ من قومه كنديةٌ وامرأة من بني الحارث، وكان له من ابنة عمّه أربعة رجالٍ ولم يكن له من الحارثيّة ولد، فوقع على جارية سوداء فأحْبَلَها، فلمّا تبيَّنَ حَمْلَها خاف امرأته، فأنكر ذلك في العلانيَّة وأقرَّ به في السرّ، وسمَّاه ثعلبة، وأشهد امرأته الحارثيَّة وأخاً له أنّ ثعلبة ابنه. فلمّا مات صدّاد أخبرت السوداءُ ابنها أنّه من صدّاد، فخرج الغلامُ حتَّى أتى ملكاً من ملوك اليمن، فذكر له أمره وآتاه بعمّه وامرأة أبيه فشهدا، فقالت الكنديّة: إنّما شهدا للعداوة، فبعث الملكُ إلى سَطيح الكاهن[2] وخَبَأَ له ديناراً بين قدمه ونعله، فلمّا دخل إليه قال: إنّي قد خبأتُ لكَ شيئاً فأخبرني به، فقال سطيح أحلفُ بالبلدِ المحرَّم، والحَجَرِ الأصمّ، والليلِ إذا أظلم، والنهار إذا تَبَسَّم، وبكلِّ فصيحٍ وأعجم، لقد خَبَأْتَ ديناراً بين نعلٍ وقَدَم؛ قال: فأخبرني مع مَن هُوَ. قال: أحلفُ بالشهر الحرام، وباللَّهِ مُحْيي العظام، وبما خَلَق من النّسام، إنه لتحتَ قدم الملك الهُمَام؛ قال: فأخبرني بِمَ أرسلتُ إليك، قال: أرسلتَ إليَّ تسألني عن ابن السوداءِ، ومَن أبوه من الآباء، وقد بَرِحَ الخفاء، وهو أول من قاله، وأبوه صدّاد بن أسماء، لا شكَّ فيه ولا مراء، فألحقه الملكُ بأبيه وورَّثه. قال الملك: يا سطيح ألا تخبرني عن علمك هذا؟ قال: إنّ علمي ليس منّي، ولا بجزمٍ ولا تَظَنّي، ولكن أخذتُهُ من أخٍ لي جنّي، قد سمع الوحيَ بطورِ سَنّي.

---

(1) ذكرته بعض كتب الأمثال كالعسكري والميداني، ولكن لم تذكر له قصة.

(2) انظر في بعض أخبار سطيح: تاريخ الطبري ١: ٩٨١ وما بعدها، ومروج الذهب ٢: ٣٣٢.

قال الملك: أرأيت أخاك هذا الجنّي، أهو معك لا يفارقك؟ قال: إنّه ليزولَ حيث أزول، ولا أنطقُ إلاّ بما يقول، قال له الملك: فهل عندك من خبرٍ بما يكون تخبرنا به؟ قال: نعم، عندي خبرٌ طريف، شهركم هذا خريف، والقمرُ فيه كسيف، ويأتي غداً سحابٌ كثيف، فيملأ البَرَّ والريف، فكان كما قال.

[سطيح الكاهن]

قال القاضي: أخبار سطيح كثيرة، وقد جمعها غيرُ واحدٍ من أهل العلم[١]، وكذلك أخبار غيره من الكهّان. والمشهورُ من أمر سطيح أنّه كان كاهناً، وقد أخبر عن النبي ﷺ وعن نَعْتِهِ ومبعثه بأخبارٍ كثيرة، وقد رُوِيَ أنّه عاش سبعمائة سنة وأدرك الإسلامَ فلم يُسلم، وروي أنّه هلك عندما وُلِدَ النبيُّ عليه السلام وأخبر بذلك ابنُ أخته عبدُ المسيح بن حَيَّان بن بُقَيلة، وقد أوفده إليه كسرى أنوشروان لارتياعه من أمورٍ ظهرت عند مولد النبي ﷺ، وأمره أن يسألَ خالَهُ سطيحاً عنها ويستعلمَ منه تأويلها، وذكر عبدُ المسيح أنّه أنبأه بذلك، ونعى إليه نفسه ثم قضى مكانَهُ.

وَرُوِيَ لنا من بعضِ الطرقِ باسنادٍ الله أعلم به أن النبيَّ ﷺ سُئل عن سطيح فقال: نبيٌّ ضيَّعَهُ قومه، وهو مشهورٌ عند العرب يذكرون سَجْعَهُ وكهانته، ويضربون المثل بعلمه[٢] وصدقه فيما يخبر به. وقد قال الأعشى يذكر زرقاءَ اليمامةِ لما أخبرتْ أهلَ اليمامة برؤيتها ما رأت من مكانٍ بعيد لم يُعلَمْ آدميٌّ أدرك مرئياً من مثلِ مداه، فلم يصدّقوها، فأتاهم العدوّ الّذي أنذرتهم به فاستباحهم وخرب[٣] ديارهم[٤]:

---

(١) ذكر ابن النديم (الفهرست: ١٠٩) أن لهشام الكلبي كتاباً اسمه «كتاب الكهان».

(٢) م: بعمله.

(٣) م: وأخرب.

(٤) ديوان الأعشى: ٧٤، ٨٣؛ وفي قصة زرقاء اليمامة انظر الديوان، وثمار القلوب: ٣٠٠؛ وفصل المقال: ١١٥ ـ ١١٩.

مـا نظرتْ ذاتُ أشفـارٍ كنظرتهـا ... حقّاً كما صَدَقَ الذّئبيُّ إذ سَجَعَـا
قـالتْ أرى رجلاً في كفّـه كَتِفٌ ... أو يخصفُ النعلَ لهفي أيّةً صنعا
فكـذّبـوهـا بمـا قـالتْ فصبَّحهمْ ... ذو آلِ حسَّانَ يُزجي الموتَ والشُّرَعا[1]
فـاستنزلـوا أهلَ جـو من منازلهم ... واستخفضوا شاخصَ البنيانِ فاتضعا

قوله: «الذّئبي» يعني سطيحاً لأنّه من ولد ذئب بن حجن، وبسطيحٍ الذئبيّ كان يُعْرَفُ، وقد قال له عبد المسيح بن أخته حين وفد عليه من عند كسرى[2]:

يا فاصـلَ الخطَّةِ أعيَتْ مَنْ وَمَنْ
أتاك شيخُ الحيِّ من آل سَنَـنْ
وأمّه من آلِ ذئب بـنِ حَجَنْ

ولكلّ فصل ممّا ذكرنا أخبار وأنباء وقصص تأتي في أماكنها، إن شاء الله.

[الثياب لا ترفع مكانة لابسها]

حدثنا الحسَين بن القاسم الكوكبي، قال حَدَّثنا أبو سَعيد الحارثي، قـال حدّثنا العتبيُّ عن أبيه قال[3]: دخل سالم بن عبد الله بن عمر على سليمانَ بن عبد الملك وعلى سالمٍ ثيابٌ غليظة رثّة، فلم يزلْ سليمان يُرَحِّبُ به ويرفعُهُ حتى أقعده معه على سريره، وعمر بن عبد العزيز في المجلس، فقال له رجل في أخريات الناس: أما استطاع خالكَ أن يلبسَ ثياباً فاخرةً أحسَن من هذه ويدخلَ فيها على أمير المؤمنين؟ وعلى المتكلّم ثيابٌ سَرِيَّةٌ لها قيمة، فقال له عمر: ما رأيتُ هذه الثيابَ الّتي على خالي وَضَعَتْهُ في مكانك هذا، ولا رأيتُ ثيابَكَ هذه رفعتك إلى مكانِ خالي ذاك.

(١) الشرع: الأوتار.
(٢) الأشطار في تاريخ الطبري ١: ٦٨٣.
(٣) نقلها ابن عساكر في تاريخ دمشق ٧: ٣١.

قال القاضي: لقد أحسن عمر في جوابه، وأجاد في الذبِّ عن خاله، وقد أنشدنا ابن دريد في خبر قد ذكرته في غير هذا الموضع لبعض الأعراب:

يُغـايـظونـا بقمصـانٍ لهم جُـدُدٍ كأنّنا لا نرى في السوقِ قمصـانا
ليس القميصُ وإن جدَّدتَ رقعتَهُ بجـاعـلٍ رجـلاً إلّا كمـا كـانـا

وأنشدنا أيضاً لأعرابي قصد باب بعضِ الملوكِ فحجبه الآذِنُ وجعل يستأذن لغيره ممّن له بزّة:

رأيـتُ آذنـنـا يـسـتـامُ بـزّتـنـا وليس للحَسَبِ الـزّاكي بمُستامِ
فلو دُعينـا علىٰ الأحسابِ قـدَّمنا مجـدُ تليـدٌ وجَـدٌ راجـحٌ نـامِ

ولقد أحسَن الَّذي قال:

قـد يُـدرك الشَّـرفَ الفتىٰ وإزارُهُ خَلَقٌ وجيبُ قميصِـهِ مـرقـوعُ[1]

وما أتى في هذا المعنى من مرسل الكلام وموزونه كثيرٌ جدّاً، وقد يأتي كثير منه في مجالسنا.

[ولد عتبة بن مسعود]

حدثنا محمّد بن القاسم الأنباري قال، أخبرنا أبو عيسىٰ الخُتليّ قال، حدّثنا أبو يعلى السَّاجيّ قال، حدّثنا الأصمعيّ قال، حدّثنا أبو نوفل الهذلي عن أبيه قال[2]: وَلَدَ عتبةُ بن مسعودٍ عبد الله وكان والياً لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فولد عبد الله: عبيدَ اللّهِ وعوناً وعبدَ الـرحمٰن، فأمّـا عبيد الله فكـان من أفقهِ[3] أهلِ المدينة وخيارهم، وكان أعمىٰ، فمرَّ عليه عبد الله بن عمرو بن عثمان وعُمر بن عبد العزيز فلم يسلِّما عليه، فأُخبر بذلك فأنشأ يقول:

ولا تعجبـا أن تُؤتَـيـا فَتُـكَلَّمـا فما حُشِيَ الأقوامُ شَرّاً من الكِبْرِ

(١) إلى هنا ينتهي ما نقله ابن عساكر.
(٢) مصورة ابن عساكر ١٣: ٧١٦.
(٣) ابن عساكر: من فقهاء.

وَمُسًّا ترابَ الأرضِ منها[1] خلقتما وفيها المعادُ والمصيرُ إلى الحشر

ورَوينا هذا الخبر من وجهٍ آخر وفيه من شعر عُبيد الله زيادةٌ على أبياته هذه، وقد رسمنا ذلك في موضعه. وكان عُبيد الله أحدَ السبعة من فقهاء المدينة الّذين جمع أبو الزناد ما جمع من فقههم. وأمّا عون بن عبد الله فكان من آدبِ أهلِ المدينة وأفقههم وكان مرجئاً فرجع عن ذلك وأنشأ يقول:

أوّل[2] ما نُفارقُ غيرَ شكٍّ نفارقُ ما يقول المرجئونا
وقالوا مُؤمنٌ من أهلِ جورٍ وليس المُؤمنونَ بجائرينا
وقالوا مُؤمنٌ دمُهُ حلالٌ وقد حَرُمَت دماءُ المُؤمنينا

ثم خرج مع ابن الأشعث فهرب حيث هربوا، فأتى محمدَ بن مروان بنصيبين فأمّنَه وألزمَهُ ابنه، فقال له محمد: كيف رأيتَ ابن أخيك؟ قال: ألزمتني رجلاً إن بعدتُ عنه عَتِبَ، وإن أتيته حجب، وإن عاتبته صخب، وإن صاحبته غضب، فتركه ثم لزم عمر بن عبد العزيز وهو خليفة وكانت له منه منزلة. وخرج جريرٌ فأقام بباب عمر بن عبد العزيز فطال مُقامه فكتب إلى عونِ بن عبد الله:

يا أيّها القارىء المرخي عمامَتَهُ هذا زمانُكَ إنّي قد مضىٰ زمني
أبلغْ خليفتَنا إن كنتَ لاقيَهُ أنّي لدى البابِ كالمصفودِ[3] في قَرَنِ

وأمّا عبد الرحمن بن عبد الله فهو الّذي يقول:

تأثّل حبُّ عثمةَ في فؤادي فباديه مع الخافي يسيرُ
صدعْتِ القلبَ ثم ذررتِ فيه هواكِ فَلِيطَ[4] فالتامَ الفطورُ

---

(١) ابن عساكر: فمسا... منه.

(٢) ابن عساكر: لأولى.

(٣) ابن عساكر: كالمشدود.

(٤) في أصل النسخ ما عدا خ: فليم، ولكن ما يلي بشرح «ليط».

قال أبو بكر: ليط معناه أُلصق. وضمَّ رسول الله ﷺ الحسنَ والحسين إليه وهو على المنبر وقال: إنَّ للولد لوطةً، يعني التصاقاً، بالقلب. وقال الشاعر:

سأحبس مالي علىٰ لذّتي ... وأؤثر نفسي علىٰ الوارثِ
وأسبق في المال سُهَمانَهُم[1] ... وقولَ المعَوِّقِ والرائثِ

قال أبو بكر: وزادني فيها أبي رحمه الله:

أعاذلَ عاجلُ ما أشتهي ... أحبُّ إليَّ من اللابثِ

قال القاضي: الأبيات المنسوبة في هذا الخبر إلىٰ عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة قد رويت لنا من غير وجه عن أخيه عبيد الله، وفيها زيادة وأنشدناها: تغلغل حبُّ عثمةَ. . والبيت الثاني.

تغلغل حيث لم يبلغْ شرابٌ ... ولا حزنٌ ولم يبلغْ[2] سرورُ
شقَقْتِ القلبَ ثم ذَرَرْتِ فيه ... هواك فليمَ فالتَامَ الفطورُ

فلِيم من الالتئام وأصله بالهمز، وترك همزه لإقامة الوزن فصار مساوياً للفظ ليم من اللوم. وإن كان المعنيان مختلفين. وليط في هذا المعنىٰ أيضاً وحُكي هو أُلِيَطُ بقلبي، وحُكي عن الفرّاء في قلبهم الواو ياءً أنّهم كرهوا أن يشبه الوجه المكروه. وأمّا قول عون بن عبد الله لمحمد بن مروان في ابنه: «إن بَعُدت عنه عتب، وإن أتيته حجب» فلي في مثله أبياتٌ من قصيدةٍ [أردّ بها على قصيدة] كتب بها إليّ بعض رُؤساء الزمان، وقد استبطأ زيارتي وعاتبني في تأخُّري عنه وكنتُ أتيتُ داره فحجبت عنه، والأبياتُ:

إذا لم آتِ أزعجني العتابُ ... وإنْ وافيتُ أخجلني الحجابُ
وإنّي حاجبٌ قدري بهجري ... معززةً تذلُّ لها الرقابُ

---

(١) ابن عساكر: أبادر بالمال سهمانه.

(٢) ابن عساكر: لم يدخل. . . ولم يدخل.

ونعتي أحمـرُ الكبـريتِ عـزّاً　　وأصلي حين تكـرمني التـرابُ
فـأن تُنْصِفْ فـأرضُـك مستقـرّي　　وإن تَـظْلِمْ فمنـزليَ السحـابُ

وما قيل في هذا المعنىٰ كثير، فممّا قيل فيه:

لمّـا تنكـرتَ في حـجـابـكْ　　رغبتُ بـالنّفس عـن عتـابـكْ
فـأنْ تـزرنـي أزرْ وإمّـا　　تـقفْ ببـابـي أَقِفْ ببـابـكْ
والـلّٰهِ لا كـنـتَ فـي حـسـابـي　　إلّا إذا كـنـتُ فـي حـسـابـكْ

الكلام الفصيح: لم يكنْ هذا في حسباني، أي في ظنّي، وليس يبعد أن يُقال في حسابي أي فيما أعدُه وأحصيه وأحسبه من الحساب. وممّا أنشدناه أيضاً ورويناه في خبر مذكور في موضع آخر:

يـا أيّهـا الحـرُّ الكـريم الكـافي　　ليس الحجابُ من آلةِ الأشـرافِ
ولقـلَّ مَن يـأتي فيحجبُ مـرّةً　　فيعـودُ ثـانـيـةً بقـلبٍ صـافي

واستقصاء هذا الباب يطول وقد أتينا منه بما فيه كفاية.

[المأمون والرجل المتحنط المتكفن]

حدَّثنا أبو النّضر العقيـلي قال، أخبرنا أبو القاسم النوشجـاني قال، قال الحسن بن عبد الجبّار المعروف بالعرق[1]: بينا المأمون في بعض مغازيه يسير مفرداً عن أصحابه ومعه عُجَيْف بن عنبسة إذ طلع رجلٌ متحنّطٌ متكفّن، فلما عاينه المأمونُ وقف، ثم التفت إلى عجيف فقال: ويحك أما ترىٰ صاحبَ الكفن مقبلاً يريدني، فقال له عجيف، أُعيذكَ بالله يا أمير المؤمنين، قال: فما كذب الرجلُ أن وقف علىٰ المأمون، فقال له المأمون: مَن أردتَ يا صاحبَ الكفن وإلى مَـن قصدتَ؟ قال: إيّاك أردتُ، قال: أوَ عرفتني؟ قال: لو لم أعرفْكَ ما قصدتُكَ، قال: أفلا سلَّمْتَ عليَّ؟ قال: لا أرىٰ السلام عليك، قال:

(١) مختصر ابن منظور ١٤: ١٠٤ ـ ١٠٧ والموفقيات: ٥١.

ولم؟ قال: لإفسادك علينا الغَزَاةَ، قال عجيف: وأنا ألين مسَّ سيفي لئلاّ يبطىء ضرب عنقه، إذ التفتَ المأمون فقال: يا عجيف إني جائعٌ ولا رأيَ لجائع، فخذه إليك حتّى أتغدى وأدعو به، قال: فتناوله عجيفٌ فوضعه بين يديه، فلمّا صار المأمون إلى رحله دعا بالطعام، فلمّا وُضع بين يديه أمر برفعه وقال: والله ما أُسيغه حتّى أناظرَ خصمي، يا عجيف عليَّ بصاحب الكفن، قال: فلمّا جلس بين يديه قال: هيهِ يا صاحبَ الكفن ماذا قلت؟ قال: قلتُ: لا أرى السلامَ عليك لإفسادك الغَزَاة علينا قال: بماذا أفسدتُها؟ قال: باطلاقك الخمورَ تباع في عسكرك وقد حرَّمها الله عزّ وجل في كتابه، فابدأ بعسكركَ فنظِّفْهُ، ثم اقصد الغزو، لماذا استحللت أن تبيحَ شيئاً قد حرَّمه الله كهيئة ما أحلّ الله عزّ وجلّ؟ قال: أو عرفتَ الخمرَ أنّها تباعُ ظاهراً أو رأيتها؟ قال: لو لم أَرَها وتصحَّ عندي ما وقفتُ هذا الموقفَ، قال: فشيءٌ سوى الخمر أنكرته؟ قال: نعم، إظهارك الجواري في العماريّات، وكشفهنَّ الشعورَ منهنَّ بين أيدينا كأنهنَّ فِلَقُ الأقمار، خرج الرجلُ منّا يريد أن يُهراقَ دمُهُ في سبيل الله ويُعْقَرَ جواده قاصداً نحو العدو، فإذا نظر إليهنَّ أَفْسَدْنَ قلبَهُ وركنَ إلى الدنيا وانصاع إليها، فلم استحللت ذلك؟ قال: ما استحللتُ ذاك، وسأخبرك بالعُذر فيه فإن كان صواباً وإلّا رجعتُ. ثم قال: شيء غير هذا أنكرته،؟ قال: نعم شيء أمرت به: تنهانا عن الأمر بالمعروف، قال: أما الذي يأمر بالمنكر فانّي أنهاه وأمّا الّذي يأمر بالمعروف فإنّي أحثّه على ذلك وأحدوه عليه. ثم قال: أفشيء سوى ذلك؟ قال: لا، قال: يا صاحب الكفن أمّا الخمر فلعمري لقد حرَّمها الله تعالى، ولكن الخمر لا تُعْرَف إلّا بثلاث جوارح: النَّظر[1] والشمّ والذوق، أفتشربها أنت؟ قال: معاذَ الله أن أنكرَ ما أشرب، قال: أفيمكن في وقتك هذا أن تقفنا على بيعها حتّى نوجّهَ معكَ من يشتري منها؟ قال: فمن يظهرها لي أو يبيعنيها وعليّ هذا الكفن؟ قال: صدقت. قال: فكأنّك إنما عرفتها بهاتين

(١) المختصر: بالنظر.

الجارحتين، يا عجيف عليَّ بقوارير فيها شراب. فانطلق عجيف فأتاه بعشرين قارورة فوضعها[1] بين يديه في أيدي عشرين وصيفاً، ثم قال: يا صاحب الكفن، نُفِيتُ من آبائيَ الرّاشدين المهديّين إن لم تكن الخمر فيها، فإنّك تعلم أن الخمر من ستر الله على عباده، وإنّه لا يجوز لك أن تشهدَ على قومٍ مستورين إلّا بمعاينة بيّنة وعلم، ولا يجوز لي أن آخذ إلا بمعاينة بيّنة وشاهدَي عدلٍ. قال: فنظر صاحبُ الكفنِ إلى القوارير، فقال له عجيف: أيّها الرجل لو كنت خمّاراً ما عرفت موضعَ الخمرِ بعينها مِنْ هذه القوارير، قال فقال له: هذه الخمر بعينها من هذه القوارير، فأخذ المأمون قارورة فذاقها ثم قطّب ثم قال: يا صاحبَ الكفن انظر هذه الخمر، فتناول الرجلُ القارورةَ فذاقها فإذا خلٌّ ذابح، فقال: قد خرجت هذه عن حدِّ الخمر، فقال المأمون: صدقت إنّ الخلّ مصنوعٌ من الخمر[2] لا يكون خلّاً حتّى يكونَ خمراً، ولا والله ما كانت هذه خمراً قطّ، وما هو إلّا رُمّان حامض يعصر لي أصطبغ به من ساعته؛ قد سَقَطَتْ الجارحتان وبقيَ الشمُّ، يا عجيف صيِّرها في رصاصيّات وأْتِ بها، قال: ففعل، فعُرضت على صاحب الكفنِ فشمَّها فوقع مَشَمُّهُ منها على قارورةٍ فيها نيبختج[3]، فقال: هذه، فأخذها المأمون فصبَّها بين يديه وقال: انظر إليها كأنّها طلا قد عقدتها النّار، بل تُقْطَعُ بالسكين، قد سقطت إحدى الثلاث التي أنكرتَ يا صاحب الكفن، ثم رفع المأمون رأسه إلى السماء فقال: اللّهمّ إنّي أتقرَّبُ إليكَ بنهي هذا ونظرائه عن الأمرِ بالمعروف. يا صاحبَ الكفن أدخلكَ الأمرُ بالمعروف في أعظم المنكر، شَنَّعْتَ على قومٍ باعوا من هذا الخلِّ ومن هذا النيبختج الّذي شممت فلم تسلّم. استغفرِ الله من ذنبك هذا العظيم وتبْ إليه. ما الثاني؟ قال: الجواري قال: صدقت، أخرجتهنّ أبقي عليك وعلى المسلمين، كرهتُ أن تراهنَّ عيونُ العدو والجواسيس في العماريّات والقباب،

---

(١) خ بهامش م: فوقفها، وكذلك في المختصر.

(٢) م: الخلّ (وهو سهو).

(٣) كذا في م؛ وفي سائر النسخ والمختصر: ميبختج.

والسجوف عليهنّ، فيتوهّمون أنّهنّ بناتَ وأخوات فيجدّون في قتالنا ويحرصون على الغلبة على ما في أيدينا حتّى يجتذبوا خطامَ واحدٍ من هذه الإبل يستقيدونكم[1] بكل طريق إلى أن يتبيّن لهم أنهنّ إماء، فأمرْتُ برفع الظلال عنهنّ وكشف شعورهنّ فعلم العدوُّ أنهنّ إماء نقي بهنَّ حوافر دوابنا لا قدر لهنّ عندنا؛ هذا تدبير دبّرته للمسلمين، ويعزُّ عليَّ أن ترى لي حرمة، فدع هذا فليس هو من شأنك فقد صحَّ عندك أنّي في هذا مصيب وأنّك أنكرت باطلاً. أيّ شيء الثالثة؟ قال: الأمر بالمعروف، قال: نعم أرأيتك لو أنك أصبت فتاةً مع فتىً قد اجتمعا في هذ الفجّ على حَديث ما كنت صانعاً بهما؟ قال: كنتُ أسألهما ما أنتما، قال: كنتَ تسألُ الرجلَ فيقول: امرأتي، وتسأل المرأةَ فتقولُ: زوجي، ما كنتَ صانعاً بهما؟ قال: كنت أحولُ بينهما فأحبسهما، قال: حتّى يكونَ ماذا؟ قال: حتّى أسألَ عنهما، قال: ومن تسأل عنهما؟ قال: كنتُ أسألهما من أين أنتما، قال: سألتَ الرجل من أين أنت فقال لك: أنا من أسبيجاب، وسألت المرأة: من أي أنت؟ فقالت: من أسبيجاب، ابن عمّي، تزوّجنا وجئنا. كنت حابساً الرجلَ والمرأةَ بسؤالك وتوهّمك الكاذب إلى أن يرجع الرسول من اسبيجاب فمات الرسول أو ماتا إلى أن يعود رسولك، قال: كنت أسأل في عسكرك هاهنا، قال: فلعلّك لا تصادف في عكسري هذا من أهل أسبيجاب إلاّ رجلاً أو رجلين فيقولان لك: لا نعرفهما على هذا النسب. يا صاحبَ الكفن ما أحسبُكَ إلاّ أحدَ ثلاثةَ رجالٍ إمّا رجلٌ مديون، وإمّا مظلوم، وإمّا رجل تأوّلت في حديث أبي سعيد الخدري في خطبة النبيّ صلّى الله عليه وعلىٰ آله قال: وروي الحديث عن هُشَيم وغيره، ونحن نسمع الخطبة إلى مغيربان الشمس إلى أن بلغ إلى قوله: «إن أفضلَ الجهادِ كلمةُ حقٍّ عند سلطان جائر» فجعلتني جائراً، وأنت الجائر، وجعلت نفسك تقوم مقامَ الآمر بالمعروف، وقد ركبتَ من المنكر ما هو أعظمُ عليك، لا والله لا ضربتكَ سوطاً ولا زدت على

(١) م والمختصر: يستقيدونه.

تخريق كفنك، ونُفيتُ من آبائي الراشدين المهديين لئن قام أحد مقامك هذا لا يقوم بالحجّة فيه إنْ نقصتُهُ من ألف سوطٍ ولأمرنَّ بصلبه في الموضع الذي يقوم فيه، قال: فنظرت إلى عجيف وهو يخرق كفن الرجل ويلقي عليه ثيابَ بياض.

[شرح: انصاع]

قال القاضي رحمه الله: قوله في هذا الخبر: «وركن إلى الدنيا وانصاع إليها» يقال انصاع إذا أُشنقَ في ناحية ومضى آخذاً فيها كما قال ذو الرمّة[1]:

فانصاع جانبَهُ الوحشيَّ وانكدرت   يَلْحَبْنَ لا يأتلي المطلوبُ والطَّلَبُ[2]

وقال أيضاً[3]:

رمى فأخطأ والأقدارُ غالبةٌ   فانصعنَ والويلُ هجّيراهُ والحَرَبُ[4]

وقال أيضاً[5]:

فانصاعتِ الحُقْبُ لم تُقْطَعْ صرائِرها   وقد نشحن فلا ريٌّ ولا هِيَمُ

---

(١) ديوانه ١: ١٠١.

(٢) يصف هرب الثور وكيف أنه مال على أحد شقيه (الجانب الوحشي = الأيمن) وانكدرت الكلاب وراءه أي انقضّت، وهن جاريات على استقامة (يلحبن)، لا يأتلي: لا يقصر سواء في ذلك المطلوب (= الثور) والطلب وهو الكلاب.

(٣) ديوانه ١: ٧١.

(٤) يصف الرامي ليصيد الحمار؛ هجيراه: دأبه أي ظل يقول: ويل له؛ واحرباه.

(٥) يصف حمر الوحش؛ لم تقطع: لم تقتل؛ صرائرها: شدة عطشها؛ نشحن: شربن شرباً قليلاً، لا هي رويت تماماً ولا هي عطاش تماماً.

المجلس الرابع والثمانون

[حديث عثمان بن مظعون]

قال القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريّا الجريري، حدثنا إسحاق بن موسى بن سعيد أبو عيسى الهذيلي قال، حدّثنا أبو العبّاس القنطري قال، حدّثنا آدم عن الهيثم بن عدي عن عباد المنقري وابن جبلة وأبي الوليد ابن أخي عليّ بن زيد بن جدعان قالوا: حدّثنا عليّ بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيّب عن عثمان بن مظعون رضي الله عنه قال: شكوت إلى رسول الله ﷺ حديث النفس وما ألقى منها فقلت: يا رسول الله إنّي كرهتُ أن أُحْدِثَ شيئاً حتّى أُوامرك، وإنَّ نفسي تحدّثني بالاختصاء، قال: مهلاً يا عثمان إن اختصاء أُمّتي الصَّوم والصَّلاة، قلت: وتحدّثني نفسي بالترهُّب في الجبال، قال: مهلاً يا عثمان فأنّ ترهُّبَ أُمّتي الجلوسُ في المساجد انتظاراً لصلاة، قال: قلت: يا رسول الله وتحدّثني نفسي بالسياحة، قال: مهلاً يا عثمان فإنّ سياحةَ أمّتي الحجُّ والعمرة والجهادُ في سبيل الله، قال: قلت يا رسول الله، وتحدّثني نفسي أن أخرجَ ممّا أملك، فقال: مهلاً يا عثمان أَمْسِكْ مالك تَرْحَمِ المسكينَ واليتيم والفقير، فتطعمه كلَّ يوم فذاك أفضل، قال: قلت: يا رسول الله فتحدّثني نفسي أن أطلِّقَ خولةَ، فقال: مهلاً يا عثمان، فإن هجرة أمّتي من هاجر إليّ وأنا حيّ، أو زار قبري، أو مات يومَ يموتُ وله امرأة أو امرأتان أو

ثلاث أو أربع. قال: قلت يا رسولَ الله أمّا إذ نهيتني عن الطّلاق فإنّ نفسي تحدّثني أن لا أغشىٰ أهلي أبداً، قال: مهلاً يا عثمان، فإنّه ليس من أمّتي عبدٌ يَغْشَى أهله أو ما ملكت يمينه فلم يُصِبْ في وقعته تلك ولداً إلّا كان له وصيفٌ في الجنّة، وإن أصاب ولداً فمات ولدُهُ قبله أو بعده كان له فَرَطاً في الجنة، فإن مات قبل أن يبلغَ الحلم كان رحمةً له وشفاعةً يومَ القيامة. قال: قلت وتحدّثني نفسي أن لا آكل اللحم أبداً، فقال: مهلاً يا عثمان فإن أكل اللحم يعجبني ولو وجدته كل يوم لأكلته ولو سألت ربي لأطعمنيه. قلت: وتحدثني نفسي أن لا أمسَّ الطيبَ أبداً، فقال: مهلاً يا عثمان فإن جبريل أمرني بالطيب غبّاً، وأمّا الجمعة فلا مترك لها، يا عثمان لا ترغبنَّ عن سنّتي فمن رغب عن سنّتي ثم لم يتب حتّى يموتَ ضربت الملائكةُ وجهه عن حوضي.

[تعليق القاضي على الحديث]

قال القاضي: في خبر عثمان بن مظعون هذا عن النبي ﷺ ما فيه إرشادٌ للنّاس إلى مصالحهم وإبانةٌ لإصابة القصد في معايشهم ومتصرّفاتهم في شرائع دينهم، والتقلب فيما أبيح لهم من أسباب دنياهم. وحقيق على من أحسنَ الاختيار لنفسه وآثر صلاحَ أحواله واستقامة أموره أن يجعلَ ما أرشد إليه النبيّ ﷺ أمّته وآثره لهم وأشار به عليهم إمامَهُ الّذي يأتم به، ودليله الذي يتبعه، ومنهاجه الّذي يتقيَّلُهُ ويستحكم رجاؤه نيل العواقب الّتي وعدها النبيّ ﷺ من امتثل أمره ورجع عمّا تسوّله له نفسه إلى ما دعاه إليه رسول الله ﷺ ورغّبه فيه.

[معنى الفرط]

وقول النبي ﷺ في ولد الوالد يموت كان له فرطاً: الفرط السّابق المتقدّم كأنه يقول إنّه يتقدّم أباه سابقاً له إلى الجنّة منتظراً له. وقد جاء في الخبر عن النبيّ ﷺ في الطفل أنّه يظلّ بباب الجنّة يقول: لا أدخل حتّى يدخل أبواي. وروي عنه أنّ السقط يكون بباب الجنّة كذلك. وأصلُ الفروطِ التقدّم، يقال

للَّذي يتقدَّم القوم في مسيرهم لارتياد الماء وإعداده لهم هو فارطُ القوم، قال الشاعر(١):

فاستعجلونا وكـانوا من صَحـابتنا   كـمـا تـعـجَّـل فُـرّاطٌ لـورّادِ

وقال آخر(٢):

فـأثـارَ فـارِطُهُمْ حمـامـاً جُثَّماً   أصـواتهـا كتـراطـنِ الفُـرْسِ

وقال العجَّاج(٣):

ومـنـهـلٍ وردتُـهُ الـتـقـاطـا   لـم ألـقَ إذ وردتُـهُ فُـرَّاطـا
إلَّا الحمامَ الوُرْقَ والغَطَاطَا

والأورَق الَّذي يشبه لونه لونَ الرَّماد، ويقال بعيرٌ أورق وحمامة ورقاء، والجميع وُرْقٌ، مثل أحمـر وحمر وأزرق وزرق،والغطاط ضرب من القطا. وقال الله عزَّ وجلَّ حاكياً عن نبيِّه موسى وهارون عليهما السلام ﴿قـالا ربنا إنّنا نَخَافُ أن يفرُطَ علينا أو أنْ يَطْغَى﴾ [طه: ٤٥] المعنى أن يسبق إلينا من بوادر فرعون ما نكرهه. ويقال: فَرَطَ من فلانٍ كلام سوء أي سبق وبدر. ويُقال في دعاء المصلّين على من مات من أطفال المسلمين: اللّهمّ اجعله لنا فرطاً، أي سابقاً لنا إلى الجنّة ينتظرنا. وروي أن النبي صلى الله عليه وعلى آله قال لمّا دُفن عثمان بن مظعون(٤): هذا قبرُ فرطنا، وإنّه وضعَ حَجَراً عند رأسه، وكان أوّلَ من دُفِنَ في بقعةٍ ارتادها رسول الله صلى الله عليه وعلىٰ آله من بقيع الغرقد، وإنّه إذا مات الميّت بعده قيل: يا رسول الله أين ندفنه؟ يقول: عند فرطنا عثمان بن مظعون. وروي عن عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم أنّ أوَّل من دُفن

(١) هو القطامي كما في ديوانه: ٩٠ واللسان (فرط).

(٢) اللسان (فرط، غطط) إذ روايته في الموضع الثاني: غطاطاً جثماً؛ ونسب في (رطن) لطرفة، وانظر شرح السبع الطوال: ٥٧٢.

(٣) ديوانه واللسان (فرط).

(٤) سير أعلام النبلاء ١: ١٥٥.

بالبقيع أسعد بن زرارة، قال الواقدي: هذا قول الأنصار، والمهاجرون يقولون أوّلُ من دُفن بالبقيع عثمان بن مظعون. وقال تعالى: ﴿لا جَرَم أنَّ لهم النّارَ وأنَّهم مُفرطون﴾ [النحل: ٦٢]. هكذا قول أكثر القراء في معنى أنّهم مقدّمون إليها يعجّلون. وقرأ أبو جعفر المدني وأنَّهم مُفَرِّطون، بكسر الرّاء وتشديدها على وصفهم بالتفريط، وهو الإضاعة لما فيه نجاتهم، يقال فرَّطَ فلان في أمره إذا أهمله وأضاع الأخذَ بالحزم فيه، ومن ذلك قول لبيد بن ربيعة العامري[1]:

أقضي اللبـانـة لا أفـرِّطُ ريبـةً   أو أن يلومَ بحـاجـةٍ لـوَّامُـهـا

وقيل: إنّ هذا في الأصل من الباب الّذي قدّمنا ذكره، وفسر معناه بأنّه أراد لا أُقدّم شكّاً ولا ادع ريبةً تتقدّمني. وقرأ نافع: ﴿وأنّهم مُفْرِطون﴾ بكسر الرّاء وتخفيفها من الإفراط، يقال أمرٌ مفرط، وقد أفرط الإنسان وغيره إذا تجاوز الحدّ وصار بذلك مفرطاً. وقد يرجع هذا إلى الأصل الّذي قدّمنا القولَ فيه كأنّه بَدَرَ وسبقَ إلى تجاوز الحدّ فصار بذلك مفرطاً. وقد جاء عن النبيّ صلّى الله عليه وعلىٰ آله أنّه قال:[2] «أنا فَرَطُكُمْ على الحوض» أي السابقُ لكم إليه منتظراً ورودكم عليه.

[مصعب بن الزبير وابن ظبيان]

حدَّثنا محمَّد بن الحسن بـن دُرَيْد قال: أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة وأخبرنا الاشنانداني عن التّوزي عن أبي عبيدة قال[3]: قتل مصعبُ بن الزبير نابي بن ظبيان أحدَ بني عابس بن مالك، وكان أخوه عُبيد الله فاتكاً، فنذَر أن يقتلَ به مائةً، فقتل ثمانين وختمهم بمصعب، وأنشأ يقول[4]:

---

(١) شرح ديوان لبيد: ٣١٣ وشرح السبع الطوال: ٥٧٢.

(٢) مسند أحمد ٥: ٣٣٣، ٣٣٩.

(٣) انظر أخبار الزجاجي: ٩٢ وربيع الأبرار ٣: ٣٥٢ والتذكرة الحمدونية ٢: رقم: ٧٤.

(٤) انظر المصادر السابقة، وورد منها ثلاثة أبيات في الأخبار الموفقيات: ٥٥٦، واثنان في مجموعة المعاني: ١٤٤.

يـرى مُصْعَبٌ أنّي تناسيتُ نـابيـاً وبئسَ لعمـرُ الله مـا ظنَّ مصعبُ
قتلتُ بـه من حيٍّ فهرِ بن مـالكٍ ثمـانينَ منهم نـاشئـون وشيَّبُ
وكفِّي لهم رهنٌ بعشرين أو يُرَى عليَّ مَعَ الإصبـاح نَـوْحٌ مُسَلَّبُ
أأرفعُ سيفي وَسْطَ بكرِ بن وائلٍ ولم أرْوِ سيفي من دمٍ يتـصبَّبُ
فـوالله لا أنسـاه مـا ذَرَّ شـارقٌ وما لاح في داجٍ من الليل كوكبُ
وثِبْتُ عليـه ظـالمـاً فـقتلتـه فقصـرك منه يـومُ شـرٍّ عَصَبْصَبُ

وجاء بالرأس إلى عبد الملك فهمَّ عبد الملك ساجداً فأراد أن يقتله ثم قال:

هَمَمْتُ ولم أفعـلْ وكدتُ وليتني فعلتُ فكـان المعـولاتِ أقـاربُـه

ثم خـاف عبدَ الملك فلحق بعمان، فجاء إلى سليمـان بن سعيـد بن جعفر بن . . . قال: . . . مكانه وتَذمَّم أن يقتله، فدسَّ إليه نصف بطيخة قد سمَّها وقال: هذا أوَّل ما رأيناه من البطِّيخ، فلمَّا أكلها أحسَّ بالموت، ودخـل إليه سليمان يعوده فقال: ادنُ منّي أيّها الأمير أُسِرَّ إليكَ شيئاً فقال: قل ما بدا لك فليس في البيت غيري وغيرك، فمات هناك.

[التسمية بالمصدر مثل نَوْح وكرم]

قال القاضي: قول عبيد الله أخي نابي «مع الإصباح نَوْحٌ مُسَلَّبُ» أراد النساء، وقال: «نوح» وفيه وجهان: أحدهما أنّه وصفهما بالنياحة فقال: نَوحٌ، وسمَّاهُنَّ بالمصدر مثل زَوْر وفطر وصوم، وهذا باب مشهور واسع، ومنه قول الشاعر(1):

لـقـد زاد الحيـاةَ إلـيَّ حُبّـاً بـنـاتي إنّـهنَّ مـن الـضّعـافِ

(1) هو عيسى الخطي الشاعر الخارجي، وتنسب الأبيات له ولغيره؛ انظر الوحشيات: ٩٠ والكامل ٣: ١٦٧ (لأبي خالد القناني) وشرح النهج ٥: ٩٢ والحماسة البصرية: ١٣٣ (لعمران بن حطان) وديوان شعر الخوارج: ٧١ ـ ٧٢ وفيه تخريج كثير سوى ما ذكر.

مخافةَ أن يَذُقْنَ البُؤس بعدي ... وأن يشربنَ رَنْقاً بعد صافِ

وأنَ يعْرينَ إذ كُسِيَ الجواري ... فتنبو العينُ عن كَرْمٍ عجافِ

فسمَّاهنَّ بالمصدر، ومن قال هذا قال «كرم» في الواحد والواحدة والاثنين والاثنتين، فلم يثنّ ولم يجمع ولم يُؤنّث، ومن أتى فيه بالاسم ذكَّر وأنَّث وثنَّى وجمع، ومثله خَصْم وخصمان وخصوم وخصماء وخصمات عند قصد الاسم، وَخَصْمٌ في التذكير والتأنيث والتثنية والجمع على مذهب المصدر، قال الله تعالى: ﴿وهل آتيك نبأُ الخَصْمِ إذ تَسَوَّرُوا المِحْرَابَ﴾ [ص: ٢٩]. وقال: ﴿هذانِ خَصْمَانِ اخْتَصمُوا في رَبِّهم﴾ [الحج: ١٩] قيل نزلت في المُؤمنين والمشركين، وقيل نزلت في المتبارزين يوم بدر، ويقال فلانةُ خصمُ فلان، وبنو فلان خصم فلان وخصومه، على ما ذكرنا من مذهَبي العرب فيه: وقال «خصمان» أراد فريقين وحزبين، وقال «اختصموا» لأنّ تحتَ كلِّ فريق جماعة، قال الله تبارك وتعالى: ﴿سنفرغ لكم أيّها الثقلان﴾ [الرحمن: ٣١] ومن هذا قول القطامي[١]:

الم يحزنك أنَّ حبالَ قيسٍ ... وتغلبَ قد تباينتا[٢] انقطاعا

والوجه الثاني في قوله «نَوْحٌ» أراد النّساء المتقابلات، يقال: الشّجرُ والمنازلُ تتناوح أي تتقابل.

وقال الشّاعر[٣]:

فلو أنَّها طافَتْ بِطُنْبٍ مُعَجَّمٍ ... نَفَى الرقَّ عنه جَذْبُهُ فهو كالحُ[٤]

---

(١) البيت في ديوانه: ٣٢ وطبقات ابن سلام: ٥٣٨.

(٢) في الديوان: تباينت؛ وفي الطبقات على التثنية كما جاء هنا.

(٣) البيتان لجبيهاء الأشجعي في اللسان (قسر، بجج، رقق، عجم).

(٤) في (قسر): صالح؛ وفي (بجج) قامت بطنب؛ نفى الجدب عنه دقه؛ والطنب: العود اليابس والمعجم: الذي أكل فلم يبق منه إلا القليل؛ وفي رواية: الدق ـ بالدال المهملة؛ وفي رواية: طافت بنبت مشرشر.

لجاءت كأَنَّ القَسْوَرَ الجَوْنَ بَجَّهَا   عساليجُهُ والثَّامِرُ المتناوح[1]

يريد المتحاذي المتقابل. قوله: «بطنبٍ معجم» يريد أن ما فيه مما يحمل الثمرة من نفيهن وما جرى مجراه، معجم أي قد أسرع فيه بالعض والأكل. يقال: عجمت العود أعجمه عجماً إذا عضضته، ويقال عجمتُ العودَ لأعرف صلابته؛ ومن كلام الخاصة: عجمته وخبرته، يشيرون إلى هذا المعنى، فقلبته العامة وصحَّفَتْهُ فقالوا: عجنته وخبزته، وقصدوا هذا المعنى وأتوا بلفظٍ مُشاكل، وإن كانوا أحالوا الكلام عن أصله. وحكي لي عن أبي العباس محمد بن يزيد النحوي أنه قال: ما رأيت قارئاً صحف في تلاوة القرآن تصحيفاً متشاكلا كإنسان قرأ: بل عجنت ويخبزون، لتشاكل العجن والخبز، وأحسبه عزا هذه الحكاية عن ابن الراوندي. وقول هذا الشاعر: «نفى الرق عنه جدبه»، الرق: الورق هاهنا، والجدب: ضد الخصب. وقوله: «فهو كالح» أي كريه المنظر لجدوبته. يقال: فلان كالحُ الوجه إذا كان عابساً باسراً. وقوله: «لجاءت كأنّ القسور الجون» القسور: الشجر، وقيل: إنّه شَجَرٌ بعينه، وقيل في قول الله جل جلاله: ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَة﴾ [المدثر: ٥١] أي من الأسد، وقالوا: هذا من أسمائه، وقال قائلون: هذا من لغة الحبشة. قالوا: وهو بالعربية، أسد وبالنبطية أريا، وبالفارسية شير، وبالحبشيّة قسورة، وقيل: عنى به الشجر لأن الحمر فَرَّت منه لما عاينَتْ جماعته، [وقيل: بل عنى بذلك الرماة] وقيل: إنه عنى به ظلمة الليل. وقوله «الجون» وصفه بالسواد الذي يدلّ على الريّ من شدة الخضرة. وقد قيل في قوله جل ثناؤه ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٤] خضراوان من الريّ. وقيل إن أرضَ السواد سميت بهذا لكثرة الخضرة بها. وقيل إن الجونَ من حروف الأضداد، وأنه يقال للأبيض جون وللأسود جون، ومما أتى منه في معنى الأبيض قول الشاعر[2]:

---

(١) القسور: الشجر؛ بجّها: طعنها.

(٢) اللسان (جون) قال ابن بري: الشعر للخطيم الضبابي:

يبادر الآثار أن تؤوبا   وحاجب الجونة أن يغيبا

يبادِرُ الجونةَ أنْ تغيبا

يعني الشمس. وقد يقال لكلّ واحدٍ من بياض النهار وسواد الليل جون، قال الشاعر[1]:

غَيَّرَ يا بنتَ الحُلَيْسِ لَوْني مَرُّ الليالي واختلافُ الجَوْنِ
وسَفَرٌ كان قليلَ الأَوْنِ

وأشرك في هذه الصفة بين الليل والنهار. وقوله: «بجّها عساليجه» أراد فتقها بالسمن، [وعساليجه] أغصانه، واحدها عسلوج وعسليج.

[تجز ذؤابتيها للجهاد]

حدَّثنا الحسَين بن القاسم الكوكبيّ قال: حَدَّثنا أبو عكرمَة الضبيّ قال: حَدّثنا العتبيّ عن أبيه قال[2]: سبا الروم نساءً مسلماتٍ فبلغ الخبرُ الرقّةَ وبها الرشيدُ ومنصور بن عمّار[3] هناك، فقصّ منصور يحضُّ على الغزو، فإذا خرقةٌ مصرورةٌ مختومة قد طُرِحَتْ إلى منصور، وإذا كتاب مضمومٌ إلى الصرّة فقرأه فإذا فيه: إنّي امرأةٌ من بيوتات العرب، بلغني ما فعل الرومُ بالمسلمات، وبلغني تحضيضك على الغزو، فعمدت إلى أكرم شيء في بدني عليّ، وهما ذؤابتاي، فجززتهما وصررتهما في هذه الصرّة المختومة، فأنشدك بالله العظيم لما جعلتهما قَيْدَ فرسِ غازٍ في سبيل الله، فعلَّ الله ينظر إليَّ نظرةً على تلك الحال فيرحمني، فبلغ ذلك الرشيدَ فبكى ونادىٰ النفير.

---

(١) اللسان (جون، أون) والأون: الراحة.

(٢) الخبر في صفة الصفوة ٤: ١٧٠.

(٣) منصور بن عمار إما خراساني أو بصري، غير موثق عند المحدثين ولكنه كان قاصاً مجيداً، دخل مصر وأكرمه الليث بن سعد (مصورة ابن عساكر ١٧: ٢٢١ ـ ٢٣٢ ومختصر ابن منظور ٢٥: ٢٥٩ ـ ٢٦٦ وحلية الأولياء ٩: ٣٢٥ ـ ٣٣١.

[تعليق القاضي على الخبر]

قال القاضي: قد أتت هذه المرأة بما دلّ على خلوص دينها وصحَّة يقينها، وغضبها لربّها، وغيرتها على أهل ملّتها، وامتعاضها عندما بلغها من انتهاك أعداء الله محارِمَهُ التي حرَّمها، واستخفافهم بحدود الإسلام الّتي عظّمها، وقصدتْ بما أَتَتْهُ من جزّها ذؤابتيها التقرُّبَ إلى خالقها ورجاءَ مغفرته لها، والله يحقّق برأفته وسعة رحمته رجاءَها، ويغفرُ لنا ولها، ولم تقصد بما فَعلته الأمرَ الّذي حُرِّمَ عليها فيؤثمها، فقد جاء عن النبيّ ﷺ أنّه لعن الغارفة وهي التي تجزُّ ناصيتَها عند المصيبة[1]، وإلى الله نرغب في أن يجعلنا ممّن يَغْضَبُ له ويحامي عن دينه ويُوالي ويُعادي فيه، بتوفيقه.

[لم كثر الناس في جنازة الحسن البصري]

حدَّثنا محمّد بن القاسم الأنباري قال، حدّثنا محمّد بن أحمد المقدّمي قال، حدثنا زيد بن أخرم قال، حدثنا الأصمعي قال، حدّثنا مبارك بن فضالة عن ثابت البناني قال: انصرفت من جنازة الحسن فقلت لبنتي: والله ما رأيتُ جنازةً قطُّ اجتمعَ فِيها من الناس مثلُ ما اجتمع فيها، وإن كان الحسنُ لأهلاً لذلك، فقالت لي: يا أبةِ ما ذاك إلاّ لسترِ الله عليه، فَصَغُرَتْ واللَّهِ نفسي.

[سليمان والمارد]

حدثنا عبيد الله بن محمّد بن جعفر الأزدي قال، حدّثنا أبو بكر بن أبي الدنيا قال، حدثنا المفضّل بن غسّان قال، حدّثنا وهب بن جرير قال، حدّثني أبي قال: سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير قال: بعث سليمان بن داود إلى ماردٍ من مَرَدَةِ الجنّ كان في البحر فأُتي به، فلمّا كان عند باب داره أخذ عوداً فَشَبَرَهُ بذراعه ثم رمى به من وراء الحائط، فقال سليمان: ما هذا؟ فأخبر بالّذي

---

(١) انظر غريب الحديث للخطابي ١: ٧١٨ والنهاية في غريب الحديث ٣: ١٥٨.

صنع المارد، فقال: تدرونَ ما أراد؟ قالوا: لا، قال: فإنّه يقول اصنع ما شئت فإنّما تصيرُ إلى مثل هذا منَ الأرض.

[عهد أبي بكر إلى عمر]

حدَّثنا أحمد بن العبّاس العسكري قال، حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال، حدَّثنا أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن أبي بكر بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطّاب قال: سمعت جدّي أبا بكر بن سالم قال: لمَّا حضر أبا بكر رضي الله عنه الموت أوصى[1]: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا عهدُ أبي بكر الصدّيق عند آخر عهده بالدنيا خارجاً منها، وأوّلِ عهده بالآخرة داخلاً فيها، حيث يُؤمنُ الكافر ويتّقي الفاجر ويصدق الكاذب، أنّي استخلفتُ من بَعدي عمر بن الخطّاب فإن قَصَدَ وعدل فذلك ظنّي به، وإنْ جار وبدَّل فالخيرَ أردتُ، ولا أعلمُ الغيب، وسيعلمُ الّذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون. ثم بعث إلى عمر فدعاه فقال: يا عمر أبغضك مبغضٌ وأحبَّكَ محبّ، وقدماً يُبْغَضُ الخير وَيُحَبُّ الشرّ، قال: فلا حاجةَ لي فيها، قال: ولكنْ لها بك حاجة، قد رأيتُ رسول الله ﷺ وَصَحِبْتُهُ ورأيتُ أَثَرَتَهُ أنفسنا على نفسه حتى إن كنّا لَنُهْدِي لأهلِهِ فَضْلَ ما يأتينا منه، ورأيتَني وصحبتَني فإنّما اتبعتُ أثَر من كان قبلي، والله ما نمتُ فحلمتُ، ولا شبهت فتوهَّمت، وإنّي لعلى طريقي ما زُغْت. تعلَّم يا عمر أنّ لله تعالى حقّاً في اللّيل لا يقبله في النهار، وحقاً في النهار لا يقبله في الليل، وإنّما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق، وحق لميزان أن يثقل لا يكون فيه إلّا الحق، وإنما خفت موازين من خَفَّتْ موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل، وحقّ لميزان أن يخف لا يكون فيه إلّا الباطل. إنّ أوّل

---

(١) عهد أبي بكر إلى عمر بالخلافة ورد في أنساب الأشراف (الشيخان): ٧١ والكامل للمبرد ١: ١١ وإعجاز القرآن للباقلاني: ٢٠٩ - ٢١٠ وسنن البيهقي ٨: ١٤٩ وصبح الأعشى ٩: ٣٥٩ والوثائق السياسية: ٣٢٦ والنص هنا أقرب إلى أوائل العسكري ١: ٢٢٠ والعهد نفسه وما يتلوه من وصية في مختصر ابن منظور ١٣: ١٢٠ - ١٢١ (وهو ليس مطابقاً حرفياً لما هنا: مما يدلّ على أنه غير منقول من الجليس الصالح).

من احذرك نفسك واحذّرك النّاس فانهّم قد طمحت أبصارهم وانتفجت أجوافهم، وإن لهم لحيزة عن زلّة تكون، فإيّاك أن تكونه فانّهم لن يزالوا خائفين لكَ فرقين منكَ ما خفتَ من الله وفرقْته، وهذه وصيّتي، وأقرأ عليك السّلام.

قال القاضي: لقد أحسَن الصدّيق رضوان الله عليه الوصيّة ومحضَ النصيحة، وبالغ في الاجتهاد للأمّة، وأنذر بما هو كائنٌ بعده، فَوُجِدَ على ما قال، وحذّر ممّا يُوتِغُ الدينَ ويَقْدَحُ في سياسة أمير المسلمين، بأوجز قول وأفصحه، وأحسن بيان وأوضحه، وأوصى لعمر، وكان والله كافياً أميناً شحيحاً على دينه ضنيناً، فصدَّق ظنَّه به وحقَّق تأميله وتقديره فيه، فانقادت الأمور إليه، واستقامت أحوالُ الأمّة على يديه، وعدَّلت الشدّةُ واللّين في رعاياه، وعَدلَ في أحكامه وقضاياه، والله يشكرُ له حُسْنَ سيرته، ويجزلُ ثوابَهُ على العدل في بريّته، إنّه وليُّ المُؤمنين وَمُفيض إحسانه على المحسنين.

[كيف يصف أبو بكر نفسه بالصدّيق]

فإن قال لنا قائل: ما وَجْهُ وَصْفِ أبي بكر نفسه في هذا الخبر بأنّه الصدّيق، وكيف استجاز إطلاقَ هذا النّعت على نفسه، وفيه تزكيةٌ وتعظيم [لا يصف] الألباء بها أنفسهم، وإن كانت ثابتةً فيهم وكان النّاس يضيفونها إليهم ويثنون بها عليهم، قيل له: في هذا وجهان، أحدهما أن يكون الكاتبُ أثبته من قِبَلِ نفسه ولم يكنْ من أبي بكر رضوان الله عليه ذكرٌ له، كما يملُّ المملُّ شيئاً على غيره فيُجري فيه ذكره فيصله الكاتب بتقريظه والدعاء له، والوجهُ الثاني أن يكونَ أبو بكر استجاز هذا لأنّه قد اشتهر به واستفاضَ إلحاقُهُ بتسميته، ألا ترى إلى قول الشاعر يعنيه:

سمّيت صدّيقاً وكلّ مهاجر سواك يُسمّى باسمه غير منكرِ

وقوله في الخبر: «ما نمت فحلمت» فإنّه يقال: حلم في نومه، كما قال الشاعر:

حلمتُ بكم في نـومتي فغضبتُم ... ولا ذنبَ لي أنْ كنتُ في النوم أحلمُ

وحلم عن خصمه كما قال الآخر:

حلمتُ عن السفيـه فـظنَّ أنّي ... عييتُ عن الجـوابِ ومـا عييتُ

وحَلُمَ الاديمُ إذا فسد، كما قال الآخر[1]:

فـإنّـك والـكتـابَ إلى عليٍّ ... كـدابغـةٍ وقـد حَلُمَ الأديـمُ[2]

[دخول عبد الملك بن صالح على جعفر بن يحيى في مجلس منادمة]

حدَّثنا أبو عبد الله الحسين بن القاسم الكوكبي قال، حدّثنا العبّاس بن الفضل الربعي قال، حدّثنا إسحاق الموصلي قال: كان جعفر بن يحيى يقول لإخوانه[3]: لا يَشْغَلني عنكم إلّا ما يشغلني عن نفسي، فإذا تخلّيتُ من الخدمة فإليكم راجع، فإنَّ السّلطانَ لا يبقى لي، وأنتم تَبْقَوْنَ لي ما بقيت لكم. تعالوا نتفرّجْ يومنا هذا، فنتضمّخ بالخَلُوقِ، ونلبسَ ثيابَ الحرير، ونفعلَ ونفعل. فأجابه إخوانه وصنعوا ما صنع، وتقدَّم إلى حاجبه في حفظ الباب إلّا من عبد الملك بن بجران كاتبه، فوقع في أُذُنِ الحاجبِ عبد الملك. وبلغ عبدَ الملك بن صالح مُقامُ جعفر في منزله، فركب فوجد الحاجبُ عبدَ الملك قد حضر، فقال: يُؤذنُ له وهو يظنّه ابن بجران، فدخل عبد الملك في سواده ورصافيته، فلمّا رآه جعفر اسودَّ وجهه، وكان عبد الملك لا يشربُ النبيذ، وهو كان سببَ مَوْجَدَةِ الرشيدِ عليه. فوقف عبد الملك ودعا غلامَهُ

---

(١) هو الوليد بن عقبة يحض معاوية على قتال علي.

(٢) البيت في الحماسة البصرية: ١: ١١٦ واللآلي: ٤٣٤ واللسان (حلم).

(٣) مصورة ابن عساكر ١٠: ٤٦٢ ـ ٤٦٣ (ترجمة عبد الملك بن صالح).

فناوله قلنسوته وسواده وقال: افعلوا بنا ما فعلتم بأنفسكم، ففعل ودعا برطلٍ فشرب وقال: جعلني الله فداك، والله ما شربته قبلَ اليوم فان رأيت أن تأمر بالتخفيف لي، فدعا برطليّة فَوُضِعَتْ بين يديه، وجعل كلّ ما فعل من ذلك شيئاً سُرِّي عن جعفر، فلمّا أراد الانصراف قال له جعفر: سَلْ حاجتك مما تحيط به مقدرتي مكافأةً لما صنعت. قال: إنّ في قلب أمير المُؤمنين هَنَةً فتسأله الرضى عنّي رضىً صرفاً، قال: قد رضي عنك، قال: وعليّ أربعة آلاف ألف درهم ديناً فيقضيها عنّي، قال: والله إنّها عندي لحاضرة ولكن تقضى من مال أمير المؤمنين فإنّه أنبلُ لك وأحبُّ إليك، قال: وإبراهيم ابني أُحبُّ أن أشدَّ ظهره بصهرٍ من أولاد الخلافة، قال: قد زوَّجه أمير المُؤمنين ابنته العالية، قال: وأحبُّ أن يخفق اللواءُ على رأسه، قال: قد ولّاه أمير المُؤمنين بلاد مصر.

وانصرف عبد الملك ونحن نتعجَّبُ من إقدام جعفر على قضاء حوائجه من غير استئذان، وقلنا: لعلّه يجاب إلى ما سأل فكيف بالتزويج؟ فلمّا كان من الغد وقفنا بباب الرشيد، ودخل جعفر فلم يلبثْ أن دعا بأبي يوسف القاضي ومحمّد بن الحسن وإبراهيم بن عبد الملك، فخرج إبراهيم وقد خُلع عليه وعُقِدَ له وزوِّج وَحُمِلَتِ البِدَر إلى منزل عبد الملك، وخرج جعفر فأشار إلينا باتّباعه ثم قال لنا: تعلّقت قلوبكم بأوّل أمر عبد الملك فأحببتم عِلْمَ آخره، إنّي لما دخلتُ على أمير المُؤمنين سألني عن خبري فأخبرته حتّى انتهيت إلى خبر عبد الملك فجعل يقول: أحسنَ والله، أحسنَ والله، فقال: هذا ما صنع فماذا صنعتَ أنت به؟ فأخبرته أنّي حكّمته فاحتكم، فضمنتُ له قضاءَ حوائجه، فقال: أحسنت ودعا بما رأيتم حتّى استتمّ له كلُّ ما سأل.

المجلس الخامس والثمانون

[الرسول يتجر لخديجة]

حدَّثنا القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى الجريري إملاءً من لفظه قال، حدَّثنا عبد الباقي بن قانع قال، حدّثنا محمّد بن زكريّا قال، حدَّثنا شعيب بن واقد قال، حدّثنا الحسين بن زيد عن عبد الله بن حسن بن حسن عن أمّه فاطمة بنت الحسين عن عمّتها زينب عن عبد الله بن جعفر قال[1]: كان أبو طالب قد تبنّى النبيَّ ﷺ، ثم إنّ أبا طالب أملق وخفَّ ما بيده، فقال للنبي ﷺ: يا محمّد إن خديجة توجِّهُ غلامها ميسرة في تجارةٍ إلى الشام، فأكلِّمها لك فتخرج معه، قال: افعلْ يا عمّ، فجاء معه إلى خديجةَ فكلَّمها، فكانت تُعْطي كلَّ رجل بعيراً، فخرج مع ميسرة، فأصاب ميسرةُ ضعفَيْ ما كان يصيبُ من الربح، ثم قدما، ووقع حبُّهُ في قلب ميسرة، فلمَّا قربوا من مكّة قال له ميسرة: يا محمّد إنَّ خديجة تعطي كلَّ أجيرٍ بعيراً إذا ذهب إليها يبشّرها بقدومنا، فاذهب فإنّها ستعطيك بعيرين، ففعل. وكانت خديجة قد قدَّرت قدومَهُمْ فجلست في مَشْرَبةٍ لها ومعها نسوةٌ من قريش ينتظرن قدومهم، إذ نظرت فإذا رجلٌ على بعيرٍ مقبلٌ على رأسه سحابةٌ تُظِلُّهُ من الشمس تسيرُ معه،

(١) قارن بما ورد في السيرة حول زواج الرسول من خديجة واتجاره: ١٨٧ وما بعدها؛ والاكتفاء للكلاعي ١: ١٩٦ ـ ١٩٩ وطبقات ابن سعد ١: ١٢٩ ـ ١٣٣ وعيون الأثر ١: ٤٧ ـ ٥١.

فجعلت تنظر إليه، وقالت للنسوة: هل تنظرن ما أنظر؟ قلن: نرى رجلاً مقبلاً على بعير، قالت: فما تَرَيْنَ على رأسه؟ قلن: ما نرى شيئاً، فوقع في قلبها أنّه شيء خُصَّتْ به، فلمّا قَرُبَ منها تبيّنته ثم نزلت، فاستأذن عليها فأخبرها بكثرة ربحهم، فقالت: يا محمّد إنّي كنتُ أُعطي كلَّ أجيرٍ بَعيراً وقد أعطيتُكَ بعيرين بحمليهما فاذهبْ بهما إلى منزلك، ففعل ذلك النبي ﷺ ثم أتاها وقد دخل ميسرة فسألته عن النبي ﷺ فقال: ما رأيتُ مثله أحسنَ صحبةً ولا أعظمَ بركةً، ما مددنا أيدينا إلى شيء إلاّ نلناه، فوقع في قلبها. ثم خَلَتْ برسول الله ﷺ فقالت: يا محمّد أما لك أرَبٌ في النساء؟ قال: بلى ولكن ليس لي مال، قالت: فهل لك أن تَزَوَّج بي؟ قال: وتفعلين؟ قالت: نعم، قال: أستأذنُ عمّي، قالت: فاستأْذِنْهُ، قال: فجاء إلى عمِّهِ فأخبره فقال: يا محمّد إنّ خديجة أَيِّمُ قريش وأكثرهم مالاً، وأنت يتيمُ قريشٍ ولا مالَ لك، ولكنّها قالت لك هذا على العبث، فقال: ما قلتُ لكَ إلاّ ما قالت لي، قال: إنّك لصادق. ثم إنّ أبا طالب بعث امرأةً من أهله إلى منزل خديجة ليعلمَ ذلك، فذهبت ثم أَتَتْهُ فقالت: يا أبا طالب ما تعثُر بشيءٍ إلاّ قالت: لا شقيتَ يا محمّد، وما تعجبُ من شيء إلاّ قالت: لاشقيتَ يا محمّد. فمضى معه أبو طالب وحمزة والعبّاس ومَن حضر من عمومته حتّى أتى أباها فآستأذن عليه، فأَذِنَ له وتنحّى له عن مجلسه، قال أبو طالب: أنت أَوْلى بمجلسك، قال: ما كنتُ لأَجلسَ إلاّ بين يديك، قال: فيم قصدت؟ قال: في حاجةٍ لمحمّد، قال: لو سألني محمّد أن أزّوجه خديجةَ لفعلت فما أحدُ أعزُّ عليَّ منها، قال: فما جئناك إلاّ لنخطبك خديجة على محمّد، قال: فتكلّم، فقال: إن محمداً هو الفحلُ لا يُقْرَعُ أَنْفُهُ، ثم تكلّم أبو طالب فخطب، فأخذ بعضادتي الباب ومن شاهده من قريش حضور، ثم قال: الحمدُ لله الّذي جعلنا من زرعِ إبراهيمَ وذريَّة إسماعيل، وجعل لنا بيتاً معموراً وَحَرَماً آمناً تُجْبَى إليه ثمراتُ كلِّ شيء، وجعلنا الحكّامَ على النّاس في مولدنا الّذي نحن فيه، ثم إن ابن أخي محمّد بن عبد الله بن

عبد المطّلب لا يُوزَنُ برجل من قريش إلاّ رجح به، ولا يُقاس بأحدٍ منهم إلاّ عظم عنهْ، وإن كان في المال قلةٌ فإنّ المال رزقٌ جاءٍ وظلٌّ زائل، وله في خديجةَ رغبة ولها فيه رغبة، والصَّداقُ ما سألتم، عاجله وآجله من مالي، وله خَطَرٌ عظيم وشأن شائع جسيم. فزوَّجه ودخل بها من الغد، فأوّل ما حَمَلت ولدت عبد الله بن محمّد صلى الله عليهم أجمعين.

[أولاد الرسول من خديجة]

حدَّثنا عبد الباقي قال، حدّثنا محمّد قال، حدّثنا العبّاس بن بكار قال، حدّثني محمد بن زياد والفرات بن السائب عن ميمون بن مهران عن ابن عبّاس قال: وَلَدَتْ خديجة من النبيّ ﷺ عبد الله بن محمّد، ثمَّ أبطأ عليه الولدُ من بعده، فبينا رسول الله ﷺ يكلّم رجلاً والعاصُ بن وائل ينظر إليه إذ قال له رجلٌ: مَن هذا؟ قال: هذا الأبتر، يعني النبيَّ ﷺ، فكانت قريش إذا وُلد للرجل ثم أبطأ عليه الولد من بعده قالوا: هذا الأبتر. فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿إنّ شانئك هو الأبتر﴾ [الكوثر: ٣] أي: مبغضك هو الأبتر الذي بُتر من كلّ خير. ثم ولدت له زينبَ، ثم ولدت له رقيَّةَ، ثم ولدت له القاسمَ، ثم ولدت له الطّاهرَ، ثم ولدت له المطهَّرَ، ثم ولدت له الطيِّبَ، ثم ولدت له المطيَّبَ، ثم ولدت له أمَّ كلثوم، ثم ولدت فاطمة، وكانت أصغرهم صلوات الله عليهم. وكانت خديجة إذا ولدت ولداً دفعته إلى من يُرْضِعُهُ، فلمَّا ولدت فاطمةَ لم يُرْضعها أحدٌ غيرها.

قال القاضي: في هذا الخبر ما دلَّ على نبوّة النبيِّ ﷺ، وبديع آياته، ورفيعِ منزلته، وعظيم بركته، وثبوتِ حُجَّتِه، ومن سعادة خديجة ما وُفِّقَتْ له من تكرمته وإيثاره وتقدمته، وما اتّفق لها من الشّرف بزوجيّته، والحظوةِ بالمخالطة له ثم تصديقه والمسارعة إلى الإيمان به واتباعه على دينه بعد أن تمكَّنَ عندها من تظاهر الأخبار عن نبوّته، والتبشير بنجومه ودعائه إلى ربّه

وتبليغ شريعته، والوعد بثوابه والتوعدّ بعقابه، وما تقدَّم من إلقـاء ورقة بن نوفل إليها وتقريره من أمره عندها صلوات الله عليه وسلامه ورضوان الله وسـلامه عليها.

[الأيّم والناكح]

قال القاضي: قول أبي طالب: «إنّ خديجة أيّم قريش» الأيم في كلام العرب: مَن لا زوج له من رجلٍ أو امرأة كما قال جميل[1]:

أحـبُّ الأيــامىٰ إذ بـثينــةُ أيّـمٌ وأحببتُ لمّـا أنْ غَنـيت الغـوانيـا

وقالت صفيّة بنت عبد المطّلب تخاطب ابنها الزبير:

وجــربت آبـادَ الـدّهـورِ عليكمُ وأسمــاءُ لم تشعـرْ بــذلـك أيِّمُ

وقال آخر[2]:

لله درُّ بـنـي عَـلِـ ـيٍّ أيّـمٍ مـنـهـم ونـاكـحْ

وقال آخر[3]:

فـإن تنكحي أنكـح وإن تتـأيّمي وإن كـنتُ أفـتىٰ مـنكـمُ أتـأيَّـمُ

ويروى: يَدَ الـدهر مـا لم تنكحي أتأيّم. وهـو معروف كثيـر. والأَيْم بالتخفيف الحيّة. وقال الله عزّ وجلّ في الأيامى: ﴿وانكِحُـوا الأَيَامَى منكمْ والصَّالحينَ مِنْ عِبادِكُمْ﴾ [النور: ٣٢] يريد مَنْ لا زوجَ لها من نسائكم؛ ومن الأيامى أيضاً قول الشّاعر[4]:

إنَّ الـقبـورَ تُـنْـكِـح الأَيــامـى والـنســوةَ الأَرامــلَ الـيـتــامىٰ
والمرءُ لا يَبْقَى له سُلاَمَى

(١) ديوان جميل: ٢٢٣ وشرح المرزوقي: ٤٥٩ والمختار من شعر بشار: ١٤٤.
(٢) هو أمية بن أبي الصلت، انظر ديوانه: ٣٥٠ والقرطبي ١٢: ٢٤٠ وتهذيب ابن عساكر ٣: ١٢٧.
(٣) ورد البيت في اللسان (أيم) والقرطبي ١٢: ٢٤٠ دون نسبة.
(٤) وردت الأشطار الثلاثة في أنساب الأشراف ٣: ٣٠٢.

ومعنى هذا أنّ الموت إذا أتى على الرّجال وأفنىٰ أكارمهم أنكح بناتهم ووليّاتهم مَن يقصر عن أحسابهنّ وليس بكفؤ لهن.

[النقي والرّيرُ]

وقوله: «لا تَنْقَى له سُلَامى» أي: من هو قليل الخير أو لا خير فيه، وشبَّه ذلك بالمخ فكأنّه يقول: من ليس في سلامياته من قوائمه مخ وهو النِّقْيُ، كما قال الشاعر:

أرارَ الله نَفْسَكِ في السُّلَامَى ... على مَن بالحنينِ تُعَوِّلينا

ويقال: إن آخر ما يبقى من النقي في السُّلامى والعين كما قال الشاعر[1]:

لا يشتكين ألماً ما أنْقَيْنْ ... ما دامَ فيهنَّ سُلامىٰ أو عَينْ

ويروى ما دام نقي في سُلامىٰ أو عين. معنى: أرار: أذاب، ويقال: للمُخّ الرقيق ريرٌ، ورارٌ، ويقال: إنّه يرق عند الهُزال، قال ابن السكّيت: وزعم القُنَانِيُّ أنّه الرَّير بفتح الرَّاء، وأنشد[2]:

والسَّاق منّي باديات الرَّيرِ

قال ويُقالُ: باردات الرَّيْرِ، وقال الفرّاء: رَير ورِير وَرَار، وقال بعض اللغويّين: باردات لا غير مكان باديات، يقال فلان بارد العظام إذا كان مهزولاً كما قال الشاعر[3]:

الأبيضان أبردا عظامي ... القتُّ والمَاءُ بلا أدامِ

---

(١) هو النضر بن سلمة العجلي كما في اللسان (سلم).

(٢) اللسان (رير).

(٣) اللسان (برد) وروايته:

الأسودان أبردا عظامي ... القت والماء دوا أسقامي

وحدَّثنا أبو عمرو عن ثعلب قال: فسألت ابن الأعرابي: ما تقول؟ قال: العرب تقول فلان باردُ العظام إذا كان مهزولاً، وفلان حارُّ العظام إذا كان سميناً ممخّاً. والقتُّ حَبٌّ أبيض يشبه الجاورس يُختبز ويُؤكل. وزعم محمّد بن الحسن أنّ مَن وصّى لأيامى بني فلان فوصيّته لثيبهم دون أبكارهم، وهذا خطأ ظاهر لما ذكرناه ووصفناه. واحتجَّ له بعضُ أصحابه بأنّه حمل هذا على عُرْفِ النّاس، وليس الأمرُ على ما وصفه لأن عُرْفَ الخاصَّةِ هو ما قدّمنا ذكره، وأمّا العامّة فلا تعرف هذا أصلاً ولا علم لها به. ومن النقي قول الكميت[1]:

جزُّ ذي الصوفِ وانتقاءُ لذي المخَّةِ وانعقْ ودعْدِعَنْ بالبِهامِ

وروي أنّ ممَّا أمر النبيُّ ﷺ أن تقصى في الأضاحي العجفاء التي لا تنقي، أي لا مخّ لها. والسلامى عظام القوائم.

[هو الفحل لا يقرع أنفه]

وقول خويلد بن عبد العزّى أبي خديجة: «إن محمداً الفحل لا يُقْرَعُ أنفه» أن العرب إذا نزا الفحل من الإبل وليس من كرائمها على ناقة كريمة قرعوا أنفه طرداً له عنها ورغبة عنه بها، وإذا كان فيهم فحل كريم لم يدفعوه عن الضراب في إبلهم ولم يقرعوا أنفه. فقالوا في الكريم النجيب من النّاس: لا يُقرع أنفه، أي يرغب فيه ولا يرد عن حاجةٍ لدناءته ولؤمه، فوصف أبو خديجةَ رسولَ الله ﷺ بهذه الصّفة الّتي هو أحقّ النّاس بها. وقولُ أبي طالب: «وإن كان في المال قلة» المشهور من الرواية: وإن كان في المال قُلٌّ، وهو القلة والضيق، والعرب تقولُ: الحمدُ لله على القُلّ والكثر، أي على قليل الرزق وكثيره، وقال الشاعر[2]:

قد يَقْصُرُ القُلُّ الفتى دونَ هَمِّهِ وقد كان لولا القُلُّ طلَّاعَ أنْجُدِ

(١) هاشميات الكميت: ١٢ (البيت: ٣٨ من القصيدة الأولى).
(٢) هو خالد بن علقمة الدارمي كما في اللسان (قلل).

وقال لبيد[1]:

كُـلُّ بـنـي حُـرَّةٍ قُـصَـارهـمُ ... قُـلٌّ وإن أكـثـرتْ من الـعَـدَدِ
إن يُغْبَـطُوا يُهْبَـطُوا وإن أمِـرُوا ... يـومـاً يصيـروا للقُـلِّ والنَّكَـدِ[2]

ويقال: هو قلّ بن قُل، وضُل بن ضُلٍ، إذا كان [لا يَعْرِفُ أباه و] لا يُعْرَفُ أبوه.

[هو أبتر]

وأمّا قول العاص بن وائل - فضَّ الله فاه، وقبَّحه وأخزاه، وأبعده وأقصاه - في النبي ﷺ الّذي اختاره الله واصطفاه وأكرمه واجتباه، ورفع قدره وأعلاه، إنّه «أبتر» على ما كانت العربُ تقوله في من لا ولد له يُذكر به بعده هو أبتر، أي منقطع الذّكر، فحسب نبيّنا ﷺ قول الله جلّ ذكره في كتابه: ﴿وَرَفَعْنَا لكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤]. وقال في عدوّه وعدوّ رسوله: ﴿إنَّ شانئك هو الأبتر﴾ [الكوثر: ٣]، فوسمه الله عز وجل بهذه السّمة التي لا تُرحضُ ولا تُغْسَل، ولا تُمحى ولا تُبدل، كما وسم أبا جهل بهذه الكنية على لسان رسوله ﷺ فصارت عيباً لازماً، وعاراً واقعاً به دائماً، حتّى كان مما قيل فيه من الشعر المتضمّن لهذا الّذي وسم به:

الـنّـاس كـنّـوه أبـا حَـكَـمٍ ... والله كـنّـاهُ أبـا جـهـلِ

ومما يحقُّ لذوي الألباب أن ينعموا التفكر فيه قول الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ [الشرح: ٤]. جاء في التفسير: لا أُذْكَرُ إلا ذُكِرْتَ معي. ألا ترى أن الشهادةَ له بالرسالة مقرونة بالشهادة لله عزَّ وجل بالربوبية، فلن يدخلَ أحدٌ الإسلام إلا بهما، وأنه يُـذْكَرُ في الليل والنهار، والغدوّ والآصال، ويكرَّر ذكره في الأذان وإقام الصلاة والإمامة لها على ترادفِ

---

(١) شرح ديوان لبيد: ١٦٠ والأول في اللسان (قلل).

(٢) الديوان: للهلك والنقد؛ وقوله: يهبطوا معناه يموتون بعكس أمروا.

الساعاتِ وتتابع الأوقات، وأن آدم عليه السلام الذي كلُّ آدميٍّ ولدُهُ إنما يُذْكَرُ في الأحيان والإبّان بعد الإبّان وفي الفينة بعد الفينة عندما يعرض من ذكره أو تُلِيَ من القرآن ما تُقْتَصُّ فيه قصته، وهذا مما فكرت فيه واستخرجته وما علمت أحداً سبقني إليه ولا تقدَّمني في استنباطه.

[نصيب لا ينشد الشعر يوم الجمعة]

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال، أخبرنا العكلي عن ابن الكلبي عن عوانة، عن رجلٍ من قريش من ساكني الكوفة قال[1]: قدم نُصَيب الكوفةَ فوجَّهني أبي إليه، وكان له صديقاً، فقال: أَبْلِغْهُ عني السلام وقل له: يقولُ لك أبي إن رأيْتَ أن تُهْدي إليَّ شيئاً من قولك فعلت. فأتيته في يوم جمعة وهو يصلّي، فأمهلتُ حتى قضى صلاته ثم أقرأته السلام وأديتُ إليه الرسالة، فردَّ وأحسن ثم قال: قد علم أبوك أني لا أُنْشِدُ الشعرَ في يوم الجمعة، ولكن تعودُ ويكون ما تحبّ، فلما ذهبتُ لأنصرف دعاني فقال لي: أتروي الشعر؟ قلت: نعم، قال: فأنشدني لجميل فأنشدته[2]:

إني لأَحْفَظُ سِـرَّكُـمْ ويسرُّنـي	لـو تعلمينَ بصالحٍ أن تُذْكَـري
ويكون يومـاً لا أرى لكِ مـرسلاً	أو نلتقـي فيــه علـيَّ كـأشهـر
يــا ليتني ألقى الـمنيــةَ بغتــةً	إن كـان يـومُ لقــائكمْ لم يُقْـدَرِ
يقضي الديون وليس يُنْجِزُ عاجلاً	هـذا الغريمُ لنـا ولـيس بمعسـر

فقال: لله درّه، والله ما قـال أحدٌ إلاّ دون قـوله، ولقـد ترك لنـا مثالاً يُحْذَى[3] عليه، أما أصدقنا في شعره فجميل، وأما أوصفنا لـربّاتِ الحجال فكُثَيِّر، وأما أكذبنا إذا قال الشعر فعمر، وأما أنا فأَقولُ ما أَعرف.

---

(١) مصورة ابن عساكر ١٧: ٥٥٥. ومختصر ابن منظور ٢٦: ١٣٩ ـ ١٤٠.
(٢) ديوان جميل: ١٠٨ ـ ١٠٩ وانظر الأغاني ٨: ١٠٢.
(٣) المصورة والمختصر: لا يحتذى عليه.

[سمرة الخارجي والحجاج]

حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن إسماعيل أبو بكر الناقد بسرَّ من رأى سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة قال، حدثنا العنبريّ قال، حدثنا قاسم بن محمد بن عباد قال، حدثني أبي قال، حدثني الشرقي بن القطامي قال[1]: كان سَمُرَةُ بن الجَعْدِ من قَعَد الأزارقة، غير أنه لم يكن يُعْرَفُ بذلك، وكان قد وقعتْ له من الحجّاج منزلةٌ حتى كان يُدْخِلُهُ في سَمَرِهِ، فلما سار قطريّ بن الفجاءة إلى جِيرَفْتَ كتب إلى سمرةَ بن الجعد يعيِّره مقامه عنهم وركونَهُ إلى الدنيا، وكان في كتابه إليه:

لشتّان ما بين ابن جعدٍ وبيننا ... إذا نحنُ رُحْنَا في الحديدِ المظاهَرِ
نجالدُ فرسانَ المهلَّبِ كلُّنا ... صبورٌ على وَقْعِ السيوفِ البواتر
وراح يجرُّ الخزَّ نحوَ أميره ... أميرٍ بتقوى ربِّه غيرِ آمر
أبا الجعدِ أين الحلم والعلمُ والتقى ... وميراثُ آباءٍ كرامِ العناصر
ألم تَر أن الموتَ لا بدَّ نازلٌ ... ولا بدَّ من بَعْثِ الأُلى في المقابر
حفاةً عراةً والثوابُ لديهمُ ... فمن بين ذي ربحٍ وآخرَ خاسر
فَسِرْ نحونا إنَّ الجهادَ غنيمةٌ ... تُفِدْكَ ابتياعاً رابحاً غير بائر

فلما قرأ كتابه لحق بهم وكتب إلى الحجاج:

فمن مبلغُ الحجاجِ أنَّ سميرةً ... قلى كلَّ دينٍ غيرَ دين الخوارج

قال القاضي: يجوز «كلَّ دين غيرَ» خفضاً ونصباً، الخفض على الصفة لدِينٍ والنصب على الصفة لكلّ وعلى الاستثناء.

رأى الناسَ إلا من رأى مثلَ رأيهم ... ملاعينَ تَرَّاكينَ قَصْدَ المخارج
فإنّي امرؤ أيّ امرىء يا ابنَ يوسفٍ ... ظفرتَ به لو نلتَ علم الولائج

(1) قصة ابن الجعد وقصيدة قطري وردّ ابن الجعد عليها في مروج الذهب ٣: ٣٤٤ - ٣٤٥ وأثبت اسمه «سبرة» وكذلك هو اسمه عند ابن أعثم وفيه القصيدتان ٧: ٤٨ - ٥٠ وانظر ديوان شعر الخوارج: ١٣٤ - ١٣٧.

إذاً لـرأيتَ الحقَّ منه مخـالفـاً لرأيك إذ كنـتَ امـرءاً غير فـالج
فـأقبلتُ نحـوَ الله بـالله واثقـاً[1] ومـا كُـرْبتي غيـر الإلٰـه بفـارج
إلى قَـطَريٍّ في الشراةِ معـارجاً ولستُ إلى غيـرِ الشّـراةِ بعـارج
إلى عصبـة أمـا النهـارَ فـانهم هم الأُسْدُ أسدُ البأسِ عندَ التهايج
وأمـا إذا مـا الليـل جَنَّ فـانهم قيـامٌ كأنـواحِ النسـاءِ النـواشـج
ينـادون بـالتحكيم لله إنـهم رأوا حُكْمَ عمروٍ كالرياح الهوائج
وحكم ابنِ قيسٍ قبل ذاك فأُعْصِمُوا بحبلٍ شديدِ الفتلِ ليس بنـاهج

[تفسير الولائج وفالج وناهج]

قال القاضي: قوله «علم الولائج» أي الدخائل من ولج أي دخل، قال الله عز وجل: ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ولا رسولِهِ ولا المؤمنينَ وليجةً﴾ [التوبة: ١٦] أي دخلةً يستبطنونها تخالف ما يُظْهِرُونَهُ من إيمانهم، وقوله: «غير فالج» أي غير مصيب ظافر فائز قد فَلَجَتْ حُجَّته. وأما قوله: «كأنواحِ النساءِ» فقد فَسَّرناه في مجلسٍ قبل هذا. وأما: «ليس بناهج» أي ليس ببالٍ مُخْلق، يقال: قد أنهج البُردُ وغيرُهُ من الثيابِ إذا صار كذلك، كما قال سُحَيم عبدُ بني الحسحاس[2]:

ومـا زال بُرْدي طيبـاً من ثيـابهـا إلى الحولِ حتى أنهجَ البردُ باليا

[خطبة لعمر بن عبد العزيز]

حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي عن ابن أخت أبي الوزير عن المدائني قال: خطب عمر بن عبد العزيز الناس بِخُنَاصِرةَ فقال، بعد أن حمد الله عز وجل وأثنى عليه: أيها الناسُ إنما الأَمانُ عند الله غداً لمن باع قليلاً

(١) م: واثق.
(٢) ديوان سحيم: ٢٠.

بكثير، فنظر امرؤ لنفسه وحاسبها في يومه قبل غده، فإن السعيدَ منكم من وُعِظَ بغيره والسلام.

[بين المؤلف وجمّال]

قال القاضي: رأيت شيخاً جمّالاً بالنهروان سنة ست عشرة وثلاثمائة بيده خُطامُ بعيرٍ يقودُهُ وهو يترنَّم بأبيات، فاستحسنت إنشادها وهششتُ له، فقربت منه فقلت له: ما اسمك؟ قال: خصيب، قلت: ابن من أنت؟ فانتسب إلى أبٍ نسيتُ اسمه، فقلت له: هل كتبتَ شيئاً من العلم والأدب أم عندك شيءُ من الحديث؟ فقال: قد سمعتُ كثيراً، فقلت: أتحفظ منه شيئاً تملّهُ عليّ، وكان معظمُ حِرْصي على ذلك من أجلِ اسمه، فقال لي: كتبتُ مما ذكرتَ شيئاً كثيراً ولم يبقَ عندي منه شيء، وما أُحفظُ مما سمعته شيئاً إلا هذه الأبيات التي تسمعني أترنَّم بها، فإن شيخاً بخراسان أملاها عليَّ وزعم أنها لأبي العتاهية. فسألته إملاءها عليَّ، فأنشدني، ثم وجدتها فيما يُعْزَى إلى أبي العتاهية من الشعر وهي[1]:

يا ربّ سَلْمٍ أضرَّ من حَرْبٍ ... ورب عُذْرٍ أشدَّ من عَتْبِ
ورب بعدٍ به عن الذنب يكـ ... ـفي المرءَ من لومه عن الذنب
وربما كان في التبسم والإقبا ... ل ما لا يكونُ في الضَّرب
وربَّ عزٍّ في حال مخمصة ... ورب ذلٍّ في الأكل والشرب
وربما كانت الملالةُ إفـ ... ـراطاً شديداً من وامق صبّ
ورب ذي بغية يعاجله ... من قبلها صرعةٌ على الجنب
وربما دارتِ المنيةُ في القو ... م كَدَوْرِ العقارِ في الشَّرْبِ
يا صوراً نقّلت إلى الترب بالموت ... كما صُوِّرَتْ من الترب
تجري إلينا بالرفع والخفض ... والجزم على ذا الإنسان والنصب

(١) لم ترد الأبيات في ديوان أبي العتاهية.

منتظراً نَحْبَهُ إلى أجل ... لا بُدَّ منه لذلك النحب
يشفي امرؤ غيظه بسبِّ امرىء ... والحلم أشفى له من السبِّ
وقد تلين العيدانُ حتى يكون اللَّيْنُ منها أَقْوَى من الصلب

قوله: «اللَّيْن» أراد اللَّيِّن فخفف، كما قال: مَيْت وميّت، وَهَيْن وهيِّن، وَلَيْن وليِّن.

[المؤلف ينتقد تصرف رئيس جاهل]

ولي في معنى أول هذه الأبيات شيء، وذلك لأن بعض مَن قُدِّم من رئيس في زماننا أرسل إلي صاحباً له وأنا عليلٌ وقد اجتمع حولي جماعةٌ يعودوني، فقال لي وهم يسمعونه: إنَّ فلاناً - يعني صاحبه - يعتذر من تأخّره عن عيادتك بشيءٍ ذكره ليس فيه عذرٌ له، فاستجهلت الرسول والمرسِلَ واستسخفتهما وقلت:

رُبَّ حقيرٍ من الذنوب ... عَظَّمه العذرُ في القلوبِ
أبداه ذو غفلةٍ وَخُرْقٍ ... فجاء يوفي على الخطوب

ولو لم يؤدِّ إليَّ هذه الرسالةَ ظاهراً لما علم الحاضرون أنه لم يَعُذْني، مع علمهم بما كان بيننا من ظاهرِ المودة. وقد ابتذلت العامة هذين المثلين: عذره أشدُّ من ذنبه، واضربه على ذنبه مائة وعلى عذره مائتين.

[ان امرءاً قد سار خمسين حجة]

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري، قال: حدثنا أبو العباس يعني أحمد بن يحيى قال، حدثنا عمر بن شبّة قال، حدثنا خلاه الأرقط[1] قال: كنا على باب أبي عمرو بن العلاء فتذاكرنا أن الحجاج كتب إلى قتيبة بن مسلم

(١) خلاد الأرقط، هو خلاد بن يزيد الباهلي بصري كان حسن العلم بالشعر يرويه ويقوله، وكان معاصراً لخلف الأحمر وبينهما محاورات،ويحدث عن سلم بن قتيبة. توفي سنة ٢٢٠ (طبقات ابن سلام: ٧، ٣٥٥ وانظر ترجمته في نور القبس: ١٨٠ - ١٨٢) وقد وردت القصة في نور القبس وقارن بأمالي القالي (الذيل): ١.

إني وإياك لِدَةٌ، وإنَّ امرءاً قد سار خمسين حِجَّةً إلى منهلٍ لَقَمِنٌ أن يَرِدَهُ. فأدرنا ذلك بيننا وجعلناه شعراً فقلنا:

وإنَّ امرءاً قد سار خمسين حجةً ... إلى منهـلٍ من وِرْدِهِ لَقَـريبُ

قال خلاد: وقلت أنا وانفردت بهذا البيت:

ومن كان في الدنيا على حالِ قُلْعَةٍ ... وإن طـال فيها عمـرُهُ لغـريبُ

قال أبو بكر الأنباري، وأنشدنا أبو علي العنزي قال، أنشدنا أحمد بن بكير الأسدي(١):

إذا ما خلوتَ الدهرَ يوماً فلا تقلْ ... خلوتُ ولكـن قُـلْ عليَّ رقيبُ
وإنّ آمرءاً قد سار خمسين حجّةً ... إلى منهـلٍ من ورده لقـريب
إذا ماانقضىٰ القرنُ الّذي أنت فيهمُ ... وخُلِّفْتَ في قرنٍ فـأنت غـريب
نسيبك من أمسىٰ يناجيك طَرْفُـهُ ... وليس لمن تحت التـراب نسيب
فأحسنْ قروضاً ما استطعت فإنّما ... بقرضك تُجْزَى والقروضُ ضروب
ولا تحسبنَّ الله يغفـلُ سـاعـةً ... ولا أنَّ مـا يخفَى عليـه يغيـب

قال القاضي: قد بيَّنَّا في بعض ما مضىٰ من هذه المجالس معنىٰ «قمن» وما فيه وفي أخواته من اللُّغات، فاستغنينا عن تفسيره من كلام الحجّاج في هذا الخبر. وأمّا الشعر الّذي أنشدناه ابن الأنباري في هذا الخبر عن العنزي عن أحمد بن بكير فقد قدَّمنا في بعض ما قدمنا من مجالسنا هذه خبراً فيـه هذا الشعر، وذكرنا الخلاف في من يُنْسَبُ إليه.

---

(١) منها أبيات في الحماسة البصرية ٢: ٤٧ وأمالي القالي ٣: ٢ وعيون الأخبار ٢: ٣٢٢ وهي تنسب فيها إلى أبي محمد التميمي، ثم هي تنسب لأبي العتاهية وصالح بن عبد القدوس وللشبلي ولأبي نواس، ووردت في تاريخ ابن عساكر ١٣: ٥٣٩ منسوبة لعمروبن عامر السلمي؛ وانظر تخريجها في ديوان شعر الخوارج (لأنها تنسب لأبي عمرو الأباضي): ٢٥٩ - ٢٦١ ومزيداً من تخريجها في حماسة الظرفاء، وانظر الجليس الصالح ٣: ٢٧١.

المجلس السادس والثمانون

[حديث عكراش بن ذؤيب]

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري قال، حدَّثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي قال، حدَّثنا العلاء بن الفضل ابن أبي سويّة قال، حدّثنا عُبيد الله بن عكراش بن ذؤيب قال، حدثني أبي عكراش بن ذؤيب[1] قال: بعثني بنو مرَّةَ بن عُبَيْدٍ بصدقاتِ أموالهم إلى رسول الله ﷺ، فقدمتُ عليه المدينةَ فوجدتُهُ جالساً بين المهاجرين والأنصار، وأتيته بإبلٍ كأنها عروق الأَرْطى فقال لي: من الرجل؟ فقلت: عكراش بن ذؤيب، فقال لي: ارفع النسب، فقلت: ابن حرقوص بن جعدة بن عمرو بن النزال بن مرة بن عبيد، وهذه صدقاتُ بني مرة بن عبيد، فتبسم الرسول ﷺ وقال: هذه إبل قومي، هذه صدقات قومي، فأمر بها أن تُوسَمَ بميسم الصدقة وأن تضمَّ إليها، ثم أخذ رسول الله ﷺ بيدي ومضى بي إلى منزل أمِّ سلمة زوج النبي ﷺ فقال: هل من طعام؟ فأتينا بجفنةٍ كثيرة الثريد والوذر، فجعلت أخبط في نواحيها، وجعل رسول الله ﷺ يأكل من بين يديه، ثم أخذ رسول الله ﷺ بيده اليسرى يدي اليمنى وقال: يا عكراش كلْ من موضع واحدٍ فإنه طعام واحد، ثم أُتينا بطبقٍ فيه ألوانُ رُطَبٍ أو تمر فجعلتُ آكلُ من موضع واحدٍ، وجالت يدُ رسولِ الله ﷺ في الطبق، وقال

(١) ترجم له ابن الأثير في أسد الغابة ٤: ٣ - ٤ وأورد جانباً من القصة الواردة هنا؛ وابن حجر في الإصابة ٤: ٢٥٧ والحديث في سنن الترمذي ٣: ١٨٩ - ١٩٠ وقال: هذا حديث غريب.

لي: يا عكراش إنه غيرُ لونٍ واحدٍ فكلْ من حيثُ شئت. ثم غسل رسول الله ﷺ يديه ومسح، ببَلَلٍ يديه وجهه وذراعيه [ورأسه] وقال: يا عكراش هكذا الوضوء مما غيَّرتِ النارُ.

[تفسير الحديث]

قال أبو بكر: قوله «كأنها عروق الأَرْطَى»: الأرطى شجر، واحدها أرطاة، وعروق الأرطى عروقٌ حمر، وكذلك عروق السدر، فشبَّه الإبلَ بعروقِ الأرطى لحمرتها، وذلك أن أشرفَ الإبلِ عند العرب حمرها. وفيه قول آخر وهو أنه شبَّه الإبلَ بعروق الأَرطى لضمرها، وذلك أن ضمرها يدلُ على نجابتها وكرمها، والعربُ تُشَبِّه الثورَ والحمارَ بعروقِ الأرطى في الضمر، قال الشاعر في صفة حمار[1]:

خـاظٍ كَـعِـرْقِ الـسِّـدْرِ يَـسْـ ـبِقُ غـارةَ الخُوصِ النجـائبْ[2]

يعني بالخاظي الحمار الممتلىء السريع. وقال ذو الرمة يذكر ثوراً يحفر عن أصل شجرة[3]:

تـوخَّـاهُ بـالأَظـلافِ حتى كـأنمـا يثير الكثابَ الجُعْدَ عن متن مِحْمَلِ

الكثاب ما يكثب من الرمل، والمحمل واحد حمـائل السيف، يشبـه حمرةَ عروقِ الشجرة بحمرة حمائل السيف. والوذر جمع الوذرة وهي قطعـة لحم مجتمعة، والهبرةُ تشبهها إلا أنها أكبـر منها، وجمـع الهبرة هبـر. قال القاضي: وفضلُ حُمْرِ الإبلِ على غيرها مشهور، ومن معروف كلامهم قول قائلهم: كذا وكذا أحبُّ إليَّ من حُمْرِ النَّعَم، فخصُّوا حمرها لشرفها. والأرطى

---

(١) هو الأعلم الهذلي، انظر ديوان الهذليين ١: ٣١٣ واللسان (خظا).

(٢) خاظ: مكتنز، يشبه عرق السدر في حمرتـه (أو ضمره): الخـوص: الأتن الغائـرة العيون؛ النجائب: الكرام.

(٣) ديوان ذي الرمة ٣: ١٤٦٠ وفيه الكباب الجعد.

شجر معروف عند العرب، وهي شجرة مستطيلة الورق الواحدة منها أرطاة، وقال العجاج[1]:

بَاتَ إلى أرطاةِ حِقْفٍ أَحْقَفَا

وقال الشماخ في الجمع[2]:

إذا الأرطى توسَّد أبرديه ... خدودُ جوازئٍ بالرملِ عينِ[3]

وقال آخر[4]:

ولولا جنونُ الليلِ أدرك ركضُنا ... بذي الرِّمْثِ والأَرْطَى عياضَ بنَ ناشبِ[5]

والشاهد في هذا كثير جداً.

قال القاضي: وألف أرطى أثبت للإلحاق بالأربعة كجعفر وَسَلْهَب، وهو ثلاثيٌّ أصله «أرط» يدلُّ على هذا قولهم أديمٌ مأروط، أي مدبوغٌ بالأرطى، وإذا سميتَ به رجلاً لم تصرفه في المعرفة لشبهه ألف التأنيث وأنه معرفة، وانصرف في النكرة ليفرق بين ألف التأنيث وبين الألف الزائدة لغير التأنيث.

وفي هذا الخبر من حُسْنِ مخالقة النبيِّ ﷺ وجميلِ عشرته وكريمِ شيمته، وتأنيسه عكراش بن ذؤيبٍ وتواضعه لله بمؤاكلته، وتعليمه كيف يأكل أنواعَ الطعام مؤتَلِفِه ومختلِفِه، مما يباهي شريفَ منزلته، ويوازي جلالةَ مرتبته. وحقٌّ على كلِّ ذي لبٍّ ودين وفطرةٍ سليمة من أهلِ الدين تَقَبُّلُ فعلِهِ واتّباعُ

---

(١) ديوان العجاج ٢: ٢٣٥.

(٢) ديوان الشماخ: ٣٣١.

(٣) الجوازىء: الظباء والبقر التي تجتزىء بالرطب عن الماء؛ والعين: جمع عيناء وهي الواسعة العينين أي أنها تتوسَّد بخدودها أبردي الأرطى، وأبرداه: فيؤُهُ في حالة الضحى وبعد انحدار الشمس.

(٤) هو خفاف بن ندبة أو دريد بن الصمة، كما في اللسان (جنن) وانظر شعر خفاف: ١٣٠ حيث صوب نسبة البيت إلى دريد.

(٥) جنون الليل: ما ستر من ظلمته، وفي اللسان «جنان» وهي رواية ثانية بمعنى جنون؛ وعياض بن ناشب فزاري.

سبيله والانتهاء إلى ما نَدَبَ إليه والتأدّب بما اختاره. وفيما جاء في هذا الخبر أن النبي ﷺ بعد أن أكل وغسل يديه ومسح بهما وجهه وذراعيه قال: هكذا الوضوء مما غيرت النار، وهذا يدلُ على أنّ النبي ﷺ أراد بما أمر به من الوضوء مما غيرت النار وما مَسَّتِ النار الأدبَ والتنظفَ دون الوضوءِ المفروضِ على من قام إلى الصلاة. وآراء المحدثين، وترتيب الأخبار فيه تتضمنه كتبنا في الفقه.

[قوة منطق الحجاج]

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال، حدثنا أحمد بن عيسى عن العباس بن هشام عن أبيه عن عوانة قال(1): خطب الحجاجُ الناسَ بالكوفة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أهل العراقِ، تزعمون أنّا من بقية ثمود، وتزعمون أني ساحر، وتزعمون أنَّ الله عزَّ وجل علَّمني اسماً من أسمائه أقهركم به، وأنتم أولياؤُهُ بزعمكم وأنا عدوه، فبيني وبينكم كتاب الله [تعالى. قال] عز وجلَّ: ﴿فلمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّينا صَالِحَاً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ [هود: ٦٦] فنحن بقيةُ الصالحين إنْ كنَّا من ثمود. وقال جلّ وعز: ﴿إنّما صَنَعُوا كيدُ ساحرٍ ولا يُفْلِحُ الساحرُ حيثُ أَتَى﴾ [طه: ٦٩] والله أعدلُ في حكمه من أن يعلِّمَ عدواً من أعدائِهِ اسماً من أسمائه يهزمُ به أولياءه. ثم حَمِيَ من كثرة كلامه فتحامل على رمَّانةِ المنبر فحطمها، فجعل الناسُ يتلاحظون بينهم وهو ينظر إليهم، فقال: يا أعداءَ اللَّهِ ما هذا الترامز؟ أنا حُدَيًا الظبي السانحِ والغرابِ الأبقع والكوكب ذي الذَّنَب، ثم أمر بذلك العُودِ فأُصْلِحَ قبل أن ينزلَ من المنبر.

[الحديا]

قال أبو بكر: الحديّا أن يتحدَّى الرجلُ الرجلَ فيقول: افعلْ كذا حتى أفعله، ثم يفعل كفعل أخيه.

(1) بغية الطلب ٤: ٢٦ ـ ٢٧ نقلاً عن المعافى، ونقل بعض الشرح، وكذلك هو في مصورة ابن عساكر ٤: ٢٣٨ ـ ٢٣٩ ولكن النص في آخره جاء مضطرباً في المصورة.

قال القاضي: قد أتى أبو بكرٍ بالأصلِ في معنى حُدَيّا إلا أنه لم يحقّقْ تفسيره، وما ذكره من تحدّي الرجل ليأتي بفعلٍ ثم يأتي هو بمثله فيكون هذا، ويكون أن يبرز الرجل على غيره في شيء وَيُبِرَّ فيه على من سواه، ويبذّ في تمكنه منه وسبقه إليه مَنْ عداه، فإن عارضه فيه غيره وحكاه فقد قاومه وساواه، وإن عجز عن مقاومته وكلَّ عن مناهضته فالمتحدِّي غالبٌ ظاهر والمتحدَّى مغلوبٌ غير ظافر، وعاجزٌ غير قادر، لا سيما إن كان في قصرته عن المقاومة نبأ عظيم وخطب جسيم كالذي كان في تحدّي النبي ﷺ قومه أن يعارضوا القرآن الذي أبانه الله من سائر الناس، وجعله من أكبر أعلامه ودلائله، وأن يأتوا بسورةٍ مثله، فظهر عجزهم، وثبتت الحجةُ عليهم، وقتلوا دون ذلك وأسروا وأخربت ديارهم وتعقبت آثارهم، فانقلبوا صاغرين أذلّاء داخرين. وهذا باب قد استقصينا الكلام فيه في مواضع مما ألفناه وأمللناه، من ذلك صدر كتابنا المسمَّى: «البيان الموجز عن علوم القرآن المعجز».

والحديَّا في هذه الكلمة أتى مصغّراً ولم يستعمل المكبَّر في بابه، ومثله كثير كقولهم السُّكَيْتُ من الخيل، وَحُمَيل للطائر وكُمَيت. ونظير الحديا الثريا، تقدير الأصلِ فيها غير مصغر يروى مثل شروى، فهكذا حديا كأن أصله حدوى، من حدوته على كذا، ومثله حميا الكأس أصله من حموها وَحَمْيِها أي احتدامها وحرارتها وحدتها وسورتها، يقال: حمي الشيء يحمى حمواً وحمياً، وقول من قال: حمى يحمَى حَمَىً خطأ، وإنما مرَّ على قياسِ الباب في الأصل مثل شَجِيَ يشجى شَجَىً وعميَ يَعْمى عَمَىً. وقد جرى في هذا المعنى بيني وبين رجلٍ من أهلِ زماننا له حظّ من حفظ اللغة كلامٌ في هذا المعنى، وأنكرتُ عليه قوله أصابه ظَلَع، فقلت له: إنما هو ظَلْعٌ بإسكان اللام، فأقام على خطائه متعلقاً بالقياس الذي قدمتُ ذكره، فقلت له: كيف تلفظ بالمصدر الذي منه حميَ يحمى فقال: حماً، مارّاً على وتيرته فعرَّفْتُهُ فسادَ ما أتى به، وذكرتُ له شيئاً حُدِّثْتُ به عن أحمد بن يحيى النحوي وهو أنه ذكر الحَمْوَ والحمي وأنكر قول من يقول حَمَى،

قيل له إنّ حاكياً حكى عنه حَمَى، فقال: من حكى عني هذا فاصفعوه. فكأنه انكسر باله ولم يظهر رجوعاً عن قوله. ومثل الحديا من الصحيح السُّكْرَى وسُكَيْرى وقولهم غضبى وغضيبي. ومن الحديّا قول عمرو بن كلثوم التغلبي[1]:

حُـدَيّـا النـاسِ كلِّهمُ جميعـاً   مقـارعـةً بنيهـم عن بـنيـنـا

فسّره بعض أهل العلم فقال: المقارعة المخاطرة ها هنا. حديّا الناس: يقال أنا حدياك عن هذا الأمر أي أنا أخاطرك عليه، أراد إذ نحن نقاتل الناس أجمعين نقارعهم بنيهم عن بنينا، فإن غلبناهم سبينا نساءَهم، وإن غلبونا فعلوا بنا مثل ذلك. وقول الحجاج: «أنا حديّا الظبي السانح والغراب الأبقع والكوكب ذي الذنب» فانه أراد إنّا لثقتنا بالغلبة والاستعلاء، والإحاطة والاستيلاء، نتحدى ارتفاعَ الظبي سانحاً، وهو أحمد ما يكون في سرعته ومضائه، والغراب الأبقع في تحذره وذكائه، ومكره وخبثه ودهائه، وذا الذنب من الكواكب فيما ينذر به من عَواقب مكروهه وبلائه، فقال الحجاج هذا مختالاً في غلوائه، ومرهباً لمن بين ظهرانيه من أعدائه، والله ذو البأس الشّديد بالمرصاد له ولحزبه وأوليائه.

[السخاء في مفهوم ابن المقفع]

حدَّثنا الحسين بن القاسم الكوكبي قال: حدَّثنا محمّد بن زكريا الغلابي قال: حدّثني مسعود بن بشر المازني قال، حدَّثنا أبو عمرو خلّاد بن يزيد الأرقط قال، قال ابن المقفّع[3]: السخاء سخاءان: سخاء المرء بما في يديه وهو أذكرهما في النّاس وأشهرهما، وسخاء المرء عن ما في أيدي النّاس وهو أَمْحَضُهُمَا في الكرم. وأنشد مسعود:

إنَّ الغِنَى عن لئامِ النّاسِ مكرمةٌ   وعن كـرامهمُ أدنىٰ إلى الكَرَمِ

---

(١) شرح السبع الطوال: ٣٩٩ واللسان (حدا).

(٢) يقول: نحن حديا الناس، نغلبهم ونتفوق عليهم في مقارعتنا لبنيهم ذوداً عن بنينا.

(٣) هو في الأدب الكبير مع اختلاف في الترتيب، انظر رسائل البلغاء: ٨٤.

[تفسير ألقت عصاها حين تمثلت بها عائشة]

حدَّثنا محمَّد بن القاسم الأنباري قال: حدثني أبي قال: أخبرنا أبو الهيثم الغنوي قال: لمّا نُعِيَ عليٌّ بن أبي طالب إلى عائشة رضي الله عنها قالت[1]:

فألقتْ عصاها واستقرَّ بها النوىٰ كما قرَّ عيناً بالإيابِ المسافرُ

قال أبو بكر، وقال لنا أبو الحسن ابن البراءِ، قال لنا عبد الرحمن الأزدي: معنى تمثّلِ عائشةَ بهذا البيت: لتصنعِ العربُ بعد عليٍّ ما شاءت فليس عليها مَنْ يقمعها ويصرفها عن الباطل إلى الحقِّ. قال: ثُمَّ قالت عائشة بعد تمثّلها بهذا البيت: إن كان لمن أكرم رجالنا على رسول الله ﷺ.

[بم تمثل معاوية حين جاءه نعي علي]

قال: ولمّا نُعي عليّ بن أبي طالب إلى معاوية رضي الله عنه، تمثّل بأبياتِ لبيد[2]:

قُضِيَ القضاءُ وأُنْجِزَ الموعودُ والله ربّي ماجدٌ محمودُ
وله النوافلُ والفواضلُ كلُّها وله أثيثُ الخيرِ والمعدودُ
ولقد بَلَتْ إرمٌ وعادُ كيدهُ ولقد بَلَتْهُ قبلَ ذاك ثمود
خَلّوا ثيابَهُمُ على عوراتِهِم فهمُ بأفنيةِ البيوتِ همود

ثم قال معاوية رضي الله عنه:

---

(١) البيت الذي تمثلت به عائشة من قصيدة للمعقر بن حمار البارقي في الأغاني ١١: ١٥٠ والحماسة البصرية ١: ٧٦ والنقائض: ٦٧٧ ونشوة الطرب ١: ٢١٧ وينسب لغيره أيضاً فهو للأحمر بن سالم الباهلي في بهجة المجالس ١: ٢٢٨ والمختار من شعر بشار: ٢٢٠ وللمضرس بن ربعي في البيان والتبيين ٣: ٤٠ ولراشد السلمي في العقد ١: ١٨٦ وهو في اللسان (عصا) لسليم بن ثمامة، ولغير هؤلاء في مصادر آخرى.

(٢) شرح ديوان لبيد: ٣٤.

قـد كنتُ خذَّرتُ الغـداةَ محرّقـاً فـأتت منيّتـه الحـذارَ النّـاجـزا

[تمثل ابن الزبير وابن عباس حين بلغهما نعي معاوية]

ولمّا نُعي معاوية قال عبد الله بن الزبير: ذهب والله عزُّ بني أميّة، كان والله كما قال الشاعر(١):

رَكُـوبُ الـمـنـابـرِ ذو هـمّـةٍ مِـعَـنٌّ بـخـطبتـه مجْـهَـرُ
تشـوبُ إليـه هـوادي الـكـلام إذا ضَـلَّ خـطْبتـه المِهْـمَـر

ولمّا بلغ نعيهُ عبدَ الله بن العبّاس قال(٢):

جَبَـلٌ تصـدَّعَ ثم مـال بـركنِـهِ في البحرِ لا رُتِقَتْ عليه الأبحرُ

[تمثل معاوية لما نعي إليه عمرو بن العاص]

قال: ولمّا نُعي عمرو بن العاص إلى معاوية قال(٣):

مـاذا رزئنـا بـه من حيّةٍ ذَكَـرٍ نضنـاضةٍ للمنـايـا صلِّ أصلالِ
ولاّجةٍ من ذرى الأهوال إن نزلت خـرّاجـةٍ من ذراهـا غيـر زَيّـالِ

[موقف جرير حين نعي إليه الفرزدق]

قال: ولمَّا نُعي الفرزدق إلى جرير وهو بالبادية اعترض الطريق فإذا أعرابيّ على قعودٍ له، فقـال له جـرير: من أين وممَّن؟ قـال: من البصرة ومن بني حنظلة، قال: هل من جائية خبر؟ قال: نعم، بيناً أنا بالمربد فإذا أنا بجنـازة عظيمة قد جفل لها النّاس فيها الحسن بن أبي الحسن البصري فقلت: من؟

(١) أوردهما ابن عساكر ١٦: ٧٣٦، ٧٦١ ونسبهما لبطحاء العذري (وفي البيان ١: ١٢٧ ـ وأورد البيتين مع بعض اختلاف في الرواية ـ أن اسمه طحلاء).
(٢) ابن عساكر ١٦: ٧٦١.
(٣) أورد ابن عساكر البيتين في التاريخ ١٣: ٥٣٧.

قالوا: الفرزدق، فبكى جرير بكاء شديداً فقال له قومه: أتبكي على رجل يهجوك وتهجوه مذ أربعون سنة؟ قال: إليكم عنّي فوالله ما تبارى رجلان ولا تناطح كبشان فمات أحدهما إلاّ تبعه الآخر عن قريب. وأنشدنا أبي الأبيات عن أبي الهيثم وغيره[1]:

لعمري لئن كان المخبِّر صادقاً ... لقد عَظُمَتْ بلوى تميمٍ وجلَّتِ
فلا حَمَلَتْ بعد الفرزدقِ حرَّةٌ ... ولا ذاتُ حَمْلٍ من نِفَاسٍ تعلَّتِ[2]
هو الوافدُ المحْبُوُّ والراقعُ[3] الثَّأى ... إذا النَّعلُ يوماً بالعشيرة زلَّتِ

قال: ثم عاش بعده أربعين يوماً ومات.

قال القاضي: قد أتى في وفاة الفرزدق ونعيه إلى جرير وما رثاه به عدّة أخبار، وهي تأتي في أخبارنا على تفرّقها واختلافها، إن شاء الله.

[إذا بلغت المدة]

حَدَّثنا محمّد بن الحسن بن زياد المقري قال: حدّثنا داود بن وسيم البوشنجي ببوشنج قال: حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمّه قال: قلتُ لأبي عليٍّ يحيى بن خالد البرمكي وهو في مجلسه: لو فعلت كذا لكان كذا، فقال لي: يا أبا سعيد إذا بلغت المدّة، ونفدت العدّة، حَجَزَ بين الإنسانِ وبين حِيَلِهِ سُدَّة.

[تعزية للعباس بن الحسن]

حدَّثنا عمر بن الحسن بن مالك الشيباني قال: حدَّثنا محمد بن زيد قال: عزَّى العبّاس بن الحسن رجلاً فقال: لم آتكَ شاكّاً في حزمك ولا زائداً في علمك، ولكنّه حق الصّديق على الصّديق، فاسبق السلوَّ بالصبر.

---

(١) قارن بما في طبقات ابن سلام: ٤١٧ والأغاني ٢١: ٤١١ والنقائض: ١٠٤٦.

(٢) تعلت المرأة من النفاس: طهرت.

(٣) في الطبقات: الوافد المأمون والراتق..

[الحديث في اقتناء الكلب]

حدثنا محمّد بن يحيى الصُّولي قال: حدّثنا الغلابي قال: حدّثنا عبد الله بن الصبَّاح قال: قال المنصور لعمرو بن عبيد: ما بلغك في الكلب؟ قال: قد جاء عن رسول الله ﷺ[1]: من اقتنى كلباً لغير زرعٍ ولا حراسةٍ ولا صيدٍ نقص من أجْرِه كلَّ يومٍ قيراط، قال: ولِمَ ذاك؟ قال: كذلك جاء الحديث، قال المنصور: خذها بحقّها، ذاك لأنّه ينبحُ الضيفَ ويروِّع السائل.

[أموي يتشفع بيحيى البرمكي لدى الرشيد]

حدّثني أبو النصر العقيلي قال: أخبرني أبو الحسن بن راهويه الكاتب قال: قال يحيى بن خالد البرمكي في أيّام الرشيد: جاءني رجلٌ وأنا في دار أمير المؤمنين فذكر أنّه من بني أميّة، وقال: إنّي قصدت أمير المؤمنين لأستوصله وأَمُتُّ إليه برحمي، فإن رأيتَ أصلحك الله أن توصلني إليه لأخاطبه بما يبعثه على بري وصلتي فعلتَ، وأنت الشريكُ في الشكر والأجر، فتذمَّمت أن أردَّهُ بغير قضاءِ حاجته، فدخلت على الرشيد فاستأذنته له، فأذِن فدخل فسلَّم وأحسَن ودعا فأكثر، ثم أنشأ يقول:

يا أمينَ الله إني قائلٌ ... قولَ ذي دينٍ وصدقٍ وحَسَبْ

لكمُ الفضلُ علينا ولنا ... بكمُ الفخرُ على كلِّ العرب

عبدُ شمسٍ كان يتلو هاشماً ... وهما بعدُ لأمٍ ولأب

فَصِلِ الأرحام منّا إنّما ... عبدُ شمسٍ عمُّ عبدِ المطّلب

قال: فأمر له الرشيد بجائزة عظيمة فأخضرت [فقبضها] ثم خرج، وخرجتُ لألحقه وأُضيفَ إلى جائزة أمير المُؤمنين صلةً من مالي فلم أرَهُ، فأمرتُ بطلبه فلم أجده.

(١) أورد مسلم في صحيحه (٣: ١٢٠١ ـ ١٢٠٤) عدة أحاديث في النهي عن اقتناء الكلب إلا أن يكون كلب ماشية أو صيد، ولكن النصّ غير مطابق حرفياً لما ورد هنا؛ وأقربه إلى ما جاء هنا: «من اتخذ كلباً إلا كلب ماشية أو صيد أو زرع انتقص من أجره كل يوم قيراط».

قال القاضي: قوله في هذا الخبر: «وأمتُّ إليه برحمي» أي أُدْلي بها، ومثله أمطُّ وأمدّ.

[ذو القرنين وأمة متزهدة]

حدّثنا عبيد الله بن محمَّد بن جعفر الأزدي قال، حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا قال، حدثني القاسم بن هاشم أبو محمّد قال، حدّثنا الحكم بن نافع قال: حدّثنا صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن عبد الله الخزاعي أن ذا القرنين أتى علىٰ أمّة من الأمم ليس في أيديهم شيءٌ ممّا يستمتع به الناسُ من دنياهم، قد احتفروا قبوراً، فإذا أصبحوا تعهّدوا تلك القبور فكنسوها وصَلَّوْا عندها، ورعوا البقل كما تَرْعَى البهائم، وقد قُيِّض لهم في ذلك معاش من نبات الأرض، فأرسل ذو القرنين إلى ملكهم فقال له: أجب الملكَ ذا القرنين، فقال: ما لي إليه حاجة، فأقبل إليه ذو القرنين فقال: إنّي أَرْسَلْتُ إليكَ لتأتيني فأبيتَ، أنا ذا قد جئتك، فقال له: لو كانت لي إليكَ حاجةٌ لأتيتك، فقال له ذو القرنين: ما لي أراكم على الحال الّتي رأيت لم أرَ أحداً من الأمم عليها؟ قالوا: وما ذاك؟ قال: ليس لكم دنيا ولا شيء، أفلا اتّخذتم الذّهبَ والفضّة فاستمتعتم بها؟ فقالوا: إنّما كرهناها لأنّ أحداً لم يُعطَ منها شيئاً إلّا تاقت نفسه وَدَعَتْهُ إلى أفضل منه، فقال: ما بالكم قد احتفرتم قبوراً فإذا أصبحتم تعهدتموها فكنستموها وصليتم عندها؟ قالوا: أردنا إذا نظرنا إليها فأمَّلنا الدنيا منعتنا قبورنا من الأمل، قال: وأراكم لا طعام لكم إلّا البقل من الأرض، أفلا اتّخذتم البهائم من الأنعام فاحتلبتموها وركبتموها واستمتعتم بها؟ قالوا: كرهنا أن نجعل بطوننا قبوراً لها، ورأينا أنّ في نباتِ الأرض بلاغاً، وإنّما يكفي ابنَ آدم أدنى العيش من الطعام وإنّ ما جاوز الحنك لم نجد له طعماً كائناً ما كان من الطعام. ثم بسط ملك تلك الأرض يده خلف ذي القرنين فتناول جمجمة فقال: يا ذا القرنين أتدري من هذا؟ قال: لا، ومن هو؟ قال: ملكٌ من ملوك الأرض أعطاه الله سلطاناً على أهل الأرض فغشم وظلم وعتا، فلمّا رأى الله عزّ

وجلّ ذلك منه حسمه بالموت، فصار كالحجر الملقى قد أُحصى الله عليه عمله حتّى يجزيه في الآخرة. ثم تناول جمجمةً أخرى فقال: يا ذا القرنين هل تدري من هذا؟ قال: لا، ومن هو؟ قال: هذا ملك ملّكه الله بعدهم، قد كان يرى ما يصنع الذي قبله بالنّاس من الغشم والظلم والتجبّر، فتواضع وخشع لله عزّ وجلّ وعمل بالعدل في أهل مملكته فصار كما ترى، قد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه في آخرته. ثم أهوى إلى جمجمة ذي القرنين فقال: وهذه الجمجمة كأن قد كانت كهاتين، فانظر يا ذا القرنين ما أنت صانعٌ. فقال له ذو القرنين: هل لك في صحبتي فأتّخذك أخاً ووزيراً وشريكاً فيما آتاني الله من هذا المال؟ قال: ما أصلحُ أنا وأنت في مكان ولا أن نكون جميعاً. قال ذو القرنين: ولِمَ؟ قال: من أجل أنّ النّاس كلّهم لك عدوّ ولي صديق، قال: ولم ذاك؟ قال: يعادونك لما في يديك من الملك والمال والدنيا، ولا أجد أحداً يعاديني لرفضي لذلك ولما عندي من الحاجة وقلّة الشيء، فانصرف عنه ذو القرنين.

قال القاضي: في هذا الخبر ما إذا اعتبره ذو اللُّبِّ وفكّر فيه وتأمّله أدّاه بتوفيق الله جلّ وعز إلى الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة. ولذي القرنين عندنا في هذا المعنى أخبارٌ تأتي متفرّقة فيما يأتي من مجالس هذا الكتاب إن شاء الله.

[جود أبي دلف وجود أبي البختري]

حَدَّثنا عبد الله بن منصور الحارثي قال: حدّثنا محمّد بن يزيد النحوي قال: أنشدني ابن أبي دلف قولَ ابن أبي فنن في أبيه أبي دُلَفٍ[1]:

ما لي وما لكَ قد كلّفتني شططاً ... حَمْلَ السلاحِ وقولَ الدّارعين قفِ
أمِن رجال المنايا خِلْتني رجلاً ... أمسي وأصبح مشتاقاً إلى التّلف
تسعىٰ المنايا إلى غيري فأكرهها ... فكيف أَسْعَى إليها عاريَ الكتف

(١) ابن خلكان ٤: ٧٥، ٦: ٣٩ والأغاني ٨: ٢٥٣.

يا هل حسبت سوادَ اللّيل غيرّني وأنَّ روحيَ في جَنْبَيْ أبي دلـفِ

قال: فبعث إليـه أبو دلف بخمسمائة دينار، فقلت له: هلاّ فعل أبوك كما فعل أبو البختري القاضي؟ قال: وما فعل؟ قلت: روي لنا أن رجلاً باذّ الهيئـة دخل على قـومٍ وهم على شراب لهـم فحطّوا مرتبتـه في الشراب فقال[1]:

نـبيـذانِ في مـجلسٍ واحـدٍ لإيـثـار مثـرٍ عـلى مـقـتـرِ
ولـو كنتُ تفعـلُ ذا في الـطعـام لـزمتَ قيـاسَـكَ في المسكـر
ولـو كنتَ تسلكُ سُبْلَ الكـرامِ سلكتَ سبيـل أبي البـخـتـري
تـتبّـع إخـوانَـهُ في البـلادِ فـأغنى الـمقـلَّ عـن المـكثـر

قال: فبعث إليه أبو البختري بألفِ دينار.

قال القاضي: وفي غير هذه الرواية قبل البيت الأوّل من هذه الأبيات:

تـأمَّـلْ قـبيـح الّـذي جئتـه تـجـده خُـلُوفَ فـمِ الأبـخـرِ

وهذا من قبيح الهجاء وفيه مبالغة في الذم عجيبة. وأنشدنا في هـذا المعنى:

رأيـت نبيـذيـن فـي مـجـلسٍ فقلت لسـاقٍ لنـا مـا الـسَّبـبْ
فـقـال الّـذي نحـن في بيتِـهِ يفضِّـلُ قـومـاً بـسـوءِ الأدبْ

[تعريف بأبي البختري]

فأمّا أبو البختري هذا فهو وهب بن وهب القرشي الأسدي الفهري[2]؛ قال القاضي: وله أخبار كثيرة، ومدحه الشعراء مدحاً كثيراً لسماحتـه وسعة

(١) الأغاني (نفسه) وابن خلكان ٦: ٣٨.

(٢) انظر ترجمته في تاريخ بغداد ١٣: ٤٥١ وابن خلكان ٦: ٣٧ (وفيه تخريج كثير)، وتوفي أبو البختري سنة مائتين للهجرة.

عطائه واستفاضة مكارمه وسجاحة أخلاقه، وقد ذمَّه آخرون وطعن فيه الأئمة من الأكابر والرؤساء وأعلام المحدثين والعلماء ونسبوه إلى الكذب فيما يرويه ووضعِ كثيرٍ من الحديث الّذي كان يأتيه، وهجاه بهذا المعنى بعض الشعراء، ولعل بعضَ ما لم نذكره من أخباره يأتي فيما بعد إن شاء الله تعالى.

المجلس السابع والثمانون

[حديث في أداء حقوق المال]

أخبرنا المعافى قال: حدثنا أحمد بن محمد بن إسماعيل الأدمي سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة قال، حدثنا محمد بن عبد الله بن زيد قال، حدثنا إسحاق يعني الأزرق قال، حدثنا عبد الملك وهو ابن أبي سلمى عن أبي الزبير عن جابر عن النبي ﷺ قال[1]: «ما من صاحب إبلٍ ولا بقرٍ ولا غنمٍ لا يؤدّي حقّها إلا أُقْعِدَ لها يومَ القيامة بقاعٍ قَرْقَرٍ تطأه ذاتُ الخفِّ بخفِّها[2]، وتنطحُهُ ذاتُ القرنِ بقرنهـا، ليس فيها يـومئذٍ لا جَمَّـاءُ ولا مكسورةُ القـرن»، قيل: يا رسول الله وما حقّها؟ قال: إطراقُ فحلها[3].

[شرح بعض ألفاظ الحديث]

قال القاضي: قوله: «بقاعٍ قَرْقَر» أي أملسَ مستوٍ، ويقال قاع قرق وقرقر وقرقوس، ومن القرق قول الراجز.

كأن أيديهنّ بالقـاع القـرق أيدي جوارٍ يتعاطين الوَرِقْ

(١) الحديث في صحيح مسلم ٢: ٦٨٥.

(٢) صحيح مسلم: تطؤه ذات الظلف بظلفها.

(٣) إطراق فحلها: إعارته للضراب، وزاد في الصحيح: وإعارة دلوها ومنيحتها وحلبها على الماء وحمل عليها في سبيل الله.

وقوله: «إطراق فحلها»: يقال أطرق الرجل فحلَ إبله: من طلبه منه ليطرقَ إناثَ إبله للنتاج، وفي هذا ما يدلُّ على وجوب الإطراق على صاحب الفحل، ولذلك نهى رسول الله ﷺ عن عسيبِ الفحلِ وهو إجارته للضراب.

حدثنا محمد بن علي بن إسماعيل الإبلي قال، حدثنا أبو سهل عمر بن عبدوس الهمذاني بالإسكندرية قال: حدثنا هاني بن متوكل قال[1]: حدثنا ابن لهيعة عن زيد بن أبي حبيب وعقيل بن خالد عن ابن شهاب عن أنس أن رسول الله ﷺ نهى أن يبيع الرجلُ فِحْلَةَ فرسه.

وحدثنا محمد بن علي قال، حدثنا بكر بن سهل القرشي قال، حدثنا عبد الله بن يوسف قال، حدثنا ابن لهيعة عن زيد بن أبي حبيب وعقيل عن ابن شهاب عن أنس قال: نهى رسول الله ﷺ، فذكر نحوه.

وحدثنا محمد بن علي قال، حدثنا محمد بن الهيثم القاضي قال، حدثنا سعيد بن أبي مريم قال، حدثنا ابن لهيعة عن زيد بن أبي حبيب عن ابن شهاب عن أنس أنَّ رسول الله ﷺ: نهى أن يبيعَ الرجلُ فحلةَ فرسه، ولم يذكر عقيل بن خالد. قال القاضي: فاجارةُ الفحلِ للضراب غير جائزة لما وردَ فيها من نهي رسول الله ﷺ. [ولأنَّ ذلك من الغرر الذى نهى عنه النبيُّ ﷺ] إذ قد يراد الفحل على الضراب فيمتنع، وقد يُكْرَهُ منه الضرابُ فيتوثَّب عليه، فهو محظور بما ورد من الأخبار وبدليل النظر من جهة القياس والاعتبار. وكان مالك في من سلك سبيله من أهل المدينة يجيزون هذا ويرخصون فيه ولا يرون به بأساً، والسنة والقياس أولى بالاتباع. ومن العسب قول زهير[2]:

ولو لا عَسْبُهُ لتركتموهُ   وشرُّ منيحةٍ أيرٌ مُعَارُ

وقد جاء في الأمر بإطراقِ الفحلِ أخبارٌ كثيرة، وروي من التوعد مثل ما

---

(١) مسند أحمد ٣: ١٤٥.

(٢) شرح ديوان زهير: ٣٠١.

ذكرنا في هذا الخبر في مانع الزكاة، وجائز أن يقعَ التعذيبُ بما وصفنا، وكلٍّ من منع حقاً وجب في هذا المال عليه بزكاةٍ أو غيرها.

[أعرابي يخضب لحيته]

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال: أخبرنا عبد الرحمن عن عمه الأصمعي قال[1]: قدم علينا أعرابي من البادية شيخ كبيرٌ، فقصدته فوجدته يخضب لحيته، فقال ما حاجتك؟ فقلت: بلغني ما خصَّك الله به فجئتك لأقتبس منك، فقال: يا ابنَ أخي إنك جئتنيَ وأنا أخضب، وإن الخضاب من علامات الكبر، ووالله لطالما غدوتُ على صيدِ الوحوش، وسرتُ أمام الجيوش، واختلت في الرداء، ولهوت بالنساء، وقريتُ الضيف، وأرويتُ السيف، وشربتُ الراح، ونادمت الجحجاح، والآن فقد حناني الكبر، وضعف مني البصر، وحلَّ بعد الصفو الكدر، وأنشأ يقول:

شيبٌ تُعَلِّلُهُ كيما تَغُرَّ به ... كهيئة الثوبِ مطوياً على مِزَقِ[2]
قد كنتُ كالغصنِ ترتاحُ الرياحُ له ... فصرتُ عوداً بلا ماءٍ ولا وَرَقِ

قال القاضي: ويروى «كيما تدلسه»، وقال أيضاً: يروى «كالعود».

صبراً على الدهر إنَّ الدهرَ ذو غِيَرٍ ... وأهلُهُ منه بين الصفوِ والرَّنَقِ

[خطبة لعمر بن عبد العزيز وشرح بعض ألفاظها]

حدثنا إبراهيم بن محمد الأزدي عن ابن أخت أبي الوزير عن المدائني قال: خطب عمر بن عبد العزيز الناسَ بِعَرَفَةَ فقال، بعد أن حمد الله وأثنى عليه[3]: أيها الناس إنكم قد جئتم من القريب والبعيد، وأنضيتم الظهر،

(١) الخبر في التذكرة الحمدونية، الباب: ٢٨.
(٢) خ بهامش م: على خرق.
(٣) هذه الخطبة في سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي، ص: ٢٤٧ - ٢٤٨.

وأخلقتم الثياب، وليس السابقُ اليومَ مَنْ سبقتْ راحلته أو دابته، ولكنَّ السابقَ اليوم من غفر له.

قال القاضي: قوله: «أنضيتم الظهر» أي اشتد سيركم عليه، فكلَّ وضمر لأنكم جهدتموه وهزلتموه فصار نضواً، يقال: هو نضو، في الذكر والأنثى والجمع، وقد يقال: للأنثى نضوة وجمعها نضوات وأنشدوا[1]:

وروضةٍ سقيتُ منه نِضْوتي

والروضة ما يبقى من الماء في الحوض[2]. ويقال: حَمَلٌ نِضْوٌ، وجمعه أنضاء. وقد زعم بعض اللغويين أنه يقال: نَضَوْتُ الظهرَ كما يقال: نضا ثَوْبه إذا نزعه ينضوه نضواً، ومن ذلك قول امرىء القيس[3]:

فجئت وقد نضَتْ لنومٍ ثيابها ... لدى السترِ إلّا لبسة المتفضّلِ

وقال من ذهب إلى هذا: إنه يقال نضا الرجلُ ثوبَهُ إذا نزعه، ونضوتُهُ عنه إذا ألقيته عنه، فكأنَّ الذي جهدَ راحلته وكدَّها حتى هزلها أو أرذاها نزع عنها ما كان لها من سمن وقوة، ويقال: راحلة مهزولةٌ وهزيلٌ مثل مقتولة وقتيل، وإذا سقطتْ من إتعابك لها وعُنْفِكَ بها وشدةِ سيرِكَ عليها فقد أرذيتها، وهي رذيّة، كما قال الشاعر:

يا ربَّ مَلْكٍ قد تركتُ رذيّة ... تقلّبُ عينيها إذا طار طائرُ

وتجمع رذايا كما قال الإياديّ[4]:

رذايا كالبلايا أو كعيدانٍ من القَضْبِ

ومن كلامهم: أتت الرذايا تحمل البلايا[5]، والقَضْبُ الرطبة، قال الله تعالى ذكره: ﴿فأَنْبَتْنَا فيها حَبّاً وَعِنباً وقَضْباً﴾ [عبس: ٢٧].

(١) الشطر في اللسان (روض).
(٢) اللسان (روض): روضة الحوض قدر ما يغطي أرضه من الماء.
(٣) من معلقته، ديوانه: ١٤ وشرح السبع الطوال: ٥١ واللسان (ن ض و).
(٤) هو أبو دواد الإيادي، انظر ديوانه: ٢٩٠ واللسان والتاج (قضب).
(٥) في الأمثال: المنايا على البلايا، والمنايا على الحوايا، والمنايا على السوايا (والسوايا والحوايا مراكب للنساء) انظر جمهرة العسكري ٢: ٢٧٤ والميداني ٢: ١٧١.

[تصرف مؤذن في زمن الورد]

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي قال، حدثنا محمد بن يزيد المبرد قال، حدثني بعض أصحابنا قال[1]: كان في زمانِ المأمونِ شيخٌ مؤذِّنُ مسجدٍ وإمامه، فكان إذا جاءَ زمان الورد أغلق بابَ المسجد ودفع مفتاحه إلى بعض جيرانه وأنشأ يقول:

يا صاحبيَّ[2] اسقياني	من قهوةٍ خندريسِ
على جَنِيَّاتِ وردٍ	يُذْهِبْنَ همَّ النفوس
خذا من الورد حظاً	بالقصفِ غير خسيس
ما تنظران وهذا	أوانُ حثٍّ الكؤوس
فبادرا قبلَ فوت	لا عِطْرَ بعد عروس

قال: فلا يزال على هذا حتى إذا انقضت أيام الورد رجع إلى مسجده وأنشأ يقول:

تبدلت من ورد جنيّ ومسمع	شهيٍّ ومن لهوٍ وشربِ مدامِ
وأنسٍ بمن أهوى وصَحْبٍ ألفتهم	بكأس ندامى كالشموسِ كرام
أذاناً وإخباتاً وقوماً أؤمّهم	لصرفِ زمانٍ مولَعٍ بغرام
فذلك دأبي أو أرى الوردَ طالعاً[3]	فأترك أصحابي بغير إمام
وأرجع في لهوي وأتركُ مسجدِي	يؤذِّنُ فيه من يشا بسلام

قال القاضي: الخندريس من أسماء الخمر وقد أكثر الشعراءُ من تسميتها بهذا، وزعم بعضهم أن أصله بالفارسيّة وأنّه كندريش أي أن شاربها يخفُّ ويطرب فينتف لحيته.

---

(١) وجدت هذه القصة والأشعار في ملخّص «كتاب أزهار الأنوار» للتيفاشي، وهو الثامن من كتب ديوان فصل الخطاب، نسخة المتحف العراقي رقم ١/٣٤٢٤٢، وكان قد أهداني صورة عن هذه النسخة الدكتور جليل العطية حفظه الله (وهي جزء من مجموعة) الورقة: ١٠٣.

(٢) خ بهامش م: يا صاحباي.

(٣) أزهار الأنوار: مقبلاً.

[دسائس الأحوص]

حَدَّثنا محمَّد بن القاسم الأنباري قال: أخبرنا أبو علي العنزي قال: حدثنا محمد بن عبد الرحمن [الذارع] قال: حدثني الوليد بن هشام القحذمي قال[1]: وَفد وفْد من المدينة إلى الوليد بن عبد الملك بالشام، فبينما هو جالس والنّاسُ عنده إذ دخل عليه عبد للأحوص بن محمّد الأنصاري فقال: أعوذ بالله وبك يا أمير المُؤمنين ممّا يكلّفني الأحوص، قال: وما يكلّفك؟ قال: فأخبره أنّه يريده على أمر مذموم، فقال له الوليد: كذبت أي عدوَّ الله على مولاك، اخرج، قال: فخرج فلمّا شاع الخبر اندسَّ الأحوص إلى غلام رجلٍ من آل أبي لهب فقال له: إنْ دخلتَ على أمير المُؤمنين فشكوتَ من مولاك ما شكا عبدي منّي أعطيتُكَ مائتي دينار، فدخل العبد على الوليد فشكا من مولاه ما شكا عبد الأحوص منه، ومولاه جالسٌ عند الوليد في السماطين، فنظر إليه الوليد فقال: ما هذا يا فلان؟ فقال: مظلومٌ يا أمير المُؤمنين والله ما كان هذا، وهذا وفدُ أهل المدينة فسلهم عنّي، فسألهم فقالوا: ما أبعده ممّا رماه به غلامه، فقال: خذوه فأُخذ الغلام فضُرب بين يدي الوليد، فقال: يا أمير المُؤمنين لا تعجلْ عليَّ حتّى أخبرك بالأمر، أتاني الأحوص فجعل لي مائتي دينار على أن أدخلَ عليك فأشكو من مولاي ما شكا عبده منه. فأرسل إلى الأحوص فأُتِيَ به فأمر به الوليد فجُرِّد وضرب بين يديه ضرباً مبرحاً وقال: أي عدوَّ الله سترتُ عليكَ ما شكا عبدك فعمدتَ إلى رجلٍ من قريش تريد أن تفضحه؟! فسُيِّر إلى دَهلك، جزيرة في البحر، فلم يزل مسيَّراً أيّام الوليد وسليمان، فلمّا كانت خلافة عمر بن عبد العزيز رجع الأحوص إلى المدينة وقال: هذا رجلٌ أنا خاله ـ يعني عمر ـ فما يصنع بي. وكانت أم عمر بن عبد العزيز بنت عاصم بن عمر بن الخطّاب وأم عاصم أنصاريّة بنت عاصم بن أبي الأقلح الأنصاري.

---

(1) قارن بالأغاني ٤: ٢٣٨، ٢٤٩ ـ ٢٥١.

قال القاضي: هو عاصم بن ثابت بن قيس وهو أبو الأقلح .

[الأحوص ومعبد وزين الغدير]

فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز فأمر به فَرُدَّ إلى دهلك، فلمّا قام يزيد بن عبـد الملك رجع الأحـوص إلى المدينـة ثم إنّه خـرج وافداً إلى يـزيـد بن عبد الملك فمرَّ بمعبد المغنّي فقال له معبد: الصحبةَ يا أبا عثمان، قال: ما أحبُّ أن تصحبني، تقـول وفود العـرب هذا ابن الـذي حَمَتْ لَحْمَهُ الـدَّبْرُ والغسيل معبدٌ معه مغنّ فقال: لا بُدّ والله من الصحبة، فلما أبىٰ إلاّ أن يصحبه ذهب فلمّا نزل البلقاء، وهي من الشّام، أصابهم مطرٌ من الليل، فأصبحت الغُدُر مملوءة، فقال للأحوص: لو أقمنا اليوم هاهنا فتغدّينا على هذا الغدير، ففعلا، وَرُفِعَ لهما قصرٌ لم يريا بناءً غيره، فلمّا أصبحوا خرجت جاريةٌ[1] معها جرّةٌ إلى غدير من تلك الغُدر فملأت جرَّتها، فلمّا رفعتها ومضتْ بها رَمَت بالجرَّة فكسرتها، فقال معبد للأحوص: أرأيتَ ما رأيتُ وما صنعتْ هذه؟ قال: نعم، فأرسل إليها الأحوصُ بعضَ غلمانه فقال: ما حملك على ما صنعتِ فقد رأينا الّذي صنعت؟ قالت: إنّي طربتُ، قال: وما أطربك؟ قالت: ذكرت صوتاً كنّا نغنّي به أنا وصواحب[2] لي بالمدينة فأطربني فكسرت الجرّة، قال: وما الصوت؟ قالت:

يـا بيتَ عـاتكــة الـذي أَتَعَــزَّلُ   حَـذَر العدى وبـه الفُؤادُ مُـوَكَّـلُ

قال: ولمن هذا الشعر؟ قالت: للأحوص الأنصاري، قال: فـالغناء؟ قالت: لمعبد، فقالا لها: أفتعرفيننا؟ قالت: لا، قال: فـأنا الأحـوص وهذا معبد، لمن كنتِ بالمدينة؟ قالت: لآل فلان، اشتراني أهلُ هذا القصر فصرت هاهنا ما أرى أحداً غيرهم، وقالت: فإنَّ لي حاجةً، قالا: ما حاجتك؟ قالت

---

(١) قصة الجارية في الأغاني ٢١: ١٢١.

(٢) م: وصاحب.

لمعبد تغنيني، قال الأحوص لمعبد: غنّها، قال: فجعلت تقترحُ ويغنّيها حتّى قَضَتْ حاجتها ثم قالا لها: أتحبّينَ أن نعمل لك في الخروج من هاهنا؟ قالت: نعم، فلمّا قدما على يزيد بن عبد الملك ودخلا عليه قال له الأحوص: يا أمير المؤمنين إنّي رأيتُ في مسيرنا عجباً، نزلنا إلى البلقاء فرأينا جاريةً، وقصّ عليه قصّتها قال: أفتعرفها؟ قال: نعم، فسمَّاها وأَهلها وموضعها وقال: يا أمير المؤمنين أنا الّذي أقول فيها:

إنّ زين الغدير من كسر الجرِّ وغنّىٰ غنّاء فحلٍ مجيدِ
قلت من أنت يا ظعينَ فقالت كنتُ فيما مضى لآلِ الوليد
ثم بُدِّلْتُ بعد حيٍّ قريشٍ من بني عامرٍ لآلِ الوحيد
فغنائي لمعبدٍ ونشيدي لفتىٰ الناسِ[1] الأحوصِ الصنديد
يعجز المالُ عن شراكِ ولكنْ سوف نُسْميك للهمام يزيد

قال: فمضى لذلك ما مضى، ثم دخل الأحوص ومعبد جميعاً على يزيد فأخرج إليهما الجارية ثم قال لها الأحوص: أَوَفينا لك؟ قالت: نعم جزاكما الله خيراً.

[من هي عاتكة التي يذكرها الأحوص]

قال أبو عليّ وحَدَّثني محمد بن عبد الرحمن [الذارع] قال: حدّثنا الوليد بن هشام قال: حدثني سليمان بن محمّد الأنصاري أن عاتكة الّتي ذكر الأحوص بيتها هي عاتكة بنت يزيد بن معاوية، وإنما كنى عن امرأةٍ سمّاها غيرها، وكان يشبّب بها فذكر عاتكة وبيتها، لأن بيتَ عاتكة كان إلى جنب بيت تلك المرأة، وقد أدخلا جميعاً في مسجد رسول الله ﷺ.

---

(١) م: البأس.

[تعليق وشرح]

قال القاضي: الّذي حُكي عن الأحوص في هذا الخبر من سعيه في أمر اللهبي والكذب عليه وإضافة ما ليس فيه إليه من ألأم الأخلاق وأفحشها، وأقبح المذاهب وأوحشها، وفاعله متعرض لما وعد الله من فعله من عذابه وأليم عقابه، وقد مضى فيما تقدّم من مجالسنا هذه ذكر قصّة بني أبيرق ورميهم بفعلهم من هو بريء منه[1]، وإنّ الله تعالى أنزل في ذلك: ﴿ومَن يَكْسِبْ خَطِيئةً أو إثماً ثم يرمِ به بريئاً فقد احتملَ بُهْتَاناً وإثماً مبيناً﴾ [النساء: ١١٢] وقوله في عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح: «الّذي حمت لَحْمَه الدَّبْر» لما قُتل أراد المشركون أخذه وكان قد دعا الله تعالى أن لا يمسَّه مشرك، فأرسل الله تعالى الدَّبْرَ فأحاطت بهم وحَمَتْهُ فلم يصلوا إليه، فلمّا جاء الليل أرسل الله سيلاً فاحتمله من الوادي وفاتهم، ولقتله قصّة أنا ذاكرها[2]:

[عاصم حميّ الدَّبْر]

كان أبو سليمان عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح شهد بدراً وأحداً، وثبت حين ولّى الناس يوم أحد عن رسول الله ﷺ معه، وبايعه على الموت، وكان من الرماة المذكورين من أصحاب رسول الله ﷺ، وذكر أنّه قَتَلَ يوم أحد من أصحاب اللواء من المشركين الحارث وشافعاً ابني طلحة بن أبي طلحة، وأمُّهما سلافة بنت سعيد[3] بن الشهيد من بني عمرو بن عوف، فنذرت أن تشرب في رأس عاصمٍ الخمر، وجعلت لمن جاء برأسه مائةَ ناقةٍ، فقدم ناسٌ من بني لحيان من هذيل على رسول الله ﷺ فسألوه أن يوجِّهَ إليهم من يفقّههم في الدين، فبعث رسول الله ﷺ معهم ستّةَ نفر أحدهم عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح.

---

(١) ورد خبر بني أبيرق في ٢: ٣٤٨ من الجليس الصالح (المجلس الثامن والأربعون).

(٢) قصة عاصم بن ثابت في خبر يوم الرجيع في السيرة ٣: ١٦٩ وما بعدها، ومغازي الواقدي ١: ٣٥٤ وما بعدها.

(٣) م: سعد.

فلما صاروا على الرَّجيع استصرخوا عليهم هذيلاً، فلم يشعروا وهم في رحالهم إلّا وبارقة[1] السيوف قد غشيتهم. فقاتلهم مرثد بن أبي مرثد وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت حتّى قُتلوا، وأمّا الآخرون فاستأسروا وحال بين الّذين قتلوا وبين رأس عاصم أن يأخذوه الدّبرُ، فتركوه وقالوا: حتّى نمسي فنأخذه، فبعث الله السَّيل إلى الوادي فاحتمل عاصماً فذهب به.

قال القاضي: والدَّبْرُ النَّحل، كما قال أبو ذُؤيب الهذلي[2]:

إذا لَسَعَتْـهُ الدَّبْـرُ لم يَرْجُ لَسْعَهَا   وخالفهـا في بيـتِ نـوبٍ عوامـلِ

ويُروى: عواسل. النوب: السود من النوبة واللوبة والأوبة[3]، ويروى إذا لسعته النحل. وقيل: إن النوب الذين ينوبون وليس من اللّون. وقوله: «لم يرجُ لسعها» معناه لم يَخَفْ. وقيل: في قول[4] الله تعالى: ﴿ما لَكُمْ لا تَرْجُون للّهِ وَقَاراً﴾ [نوح: ١٣] إنّ معناه لا تخافون لله عظمةً. ومن ذلك قول الراجز:

مـا ترتجي حين تُـلاقي الـزائـدا   أَسَبْعَـةً لاقـت معـاً أو واحـداً

وقول الشاعر[5]:

لعمركَ ما أرجـو إذا كنتُ مسلماً   على أيِّ جنبٍ كان في الله مصرعي[6]

يعني: ما أخاف، وقيل في قول الله عز وجلّ: ﴿وتَرْجُونَ من الله ما لا يَرْجُون﴾ [النساء: ١٠٤] إن معناه وتخافون من الله ما لا يخافون، وممّن قال هذا قطرب.

قال القاضي: كأنّما اختزل الرجاء بين الأمل والخوف لأنّهما ممّا ينتظر

---

(١) م: ببارقة.
(٢) شرح ديوان الهذليين ١: ١٤٤ واللسان (رجا).
(٣) م: والأبة.
(٤) اللسان (رجا)
(٥) هو خبيب بن عدي وقد قتل في يوم الرجيع، انظر السيرة ٣: ١٧٦ والاستيعاب ٢: ٤٤١.
(٦) في الاستيعاب: ولست أبالي حين أُقتل مسلماً؛ وفي السيرة: فوالله ما أرجو إذا مت مسلماً.

ويُرتجىٰ ويُتوقّع، وليس المخلوقون منه على أمرٍ يثقون به ويرقبونه ويقطعون عليه بعينه. وأنكر الفرّاء ما ذكره قطرب في هذا الموضع وقال: العرب لا تذهبُ بالرجاءِ مذهبَ الخوف في الإثبات، وإنّما تفعل هذا في الجحد والنفي. والأحوص بن محمّد الشاعر من ولد عاصم بن ثابت هذا.

[حنظلة الغسيل]

وأما ذكره في الخبر الغسيل فإنّ الغسيل حنظلة بن أبي عامر، واسم أبي عامرٍ عبد عمرو، وذلك أنّه استشهد مع رسول الله ﷺ يوم أُحد، فأخبر أصحابه أنّه رأى الملائكة تغسله، فأرسل إلى امرأته فسألها عن أمره فأخبرته أنّه كان مضاجعها فلما استنفر للجهاد مع رسول الله ﷺ قام عن بطنها مبادراً ولم يغتسل، فقال: إنّي رأيت الملائكة تغسله. وكان أبو حنيفة يرى أن شهيد المعركة إذا قُتِلَ جُنُباً فواجبٌ على المسلمين غسله، ويحتجّ بقّصة حنظلة هذه، وكان أصحابه وغيرهم ممّن يذهب إلى أن لا يغسل الشهيد يرون أنّ الجنب وغيره سواء في ترك الغسل، وإلى هذا نذهب والاحتجاج فيه مرسوم في كتبنا المُؤلّفة في الفقه. وأبو عامر أبو حنظلة كان يقال له الراهب، فسمّاه النبيّ ﷺ الفاسق، وكان ممّن سعى في بناء مسجد الضّرار الّذي ذكره الله عزّ وجلّ في كتابه، والله تعالى يقول: ﴿والّذين اتّخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المسلمين وإرصاداً لمن حاربَ اللّهَ ورسولَهُ مِنْ قبلُ وليحلفُنَّ إنْ أردنا إلاّ الحسنىٰ واللّهُ يشهدُ إنّهم لكاذبون﴾ [التوبة: ١٠٧].

[رواية أخرى في خبر الأحوص وزين الغدير]

قال القاضي: وقد كان ابن الأنباري أملى[1] علينا خبر الأحوص وزين الغدير بغير هذا الإسناد وعلى مخالفةٍ في مواضعَ من المتن، فإن كنت قد رسمته فيما مضى من هذه المجالس ففي هذه الرواية زيادةٌ ليستْ فيه، وإن كان فيما مضى فاتني فإنّني آتي بما أحفظه من جملته ليحصل بما أثبته منه ما

(١) م: أملّ (وهو بمعنى أملى).

فيه من زيادة من غير إطالة بذكر إسناده وأعيان ألفاظه، وهو في الرواية التي وصفت أمرها أن يزيد بن الوليد كتب إلى الضحّاك بن محمّد عامله على المدينة أنْ وَجِّهْ إليَّ الأحوص بن محمد الأنصاري الشاعر ومعبداً المغني، فجهزهما وأمرهما بالمسير، فكانا ينزلان في طريقهما للأكل والشرب إلى أن أتيا البلقاء، وهو منزل بين المدينة والشّام، فجلسا هنالك[1] فأكلا، وجلسا على نهرها. فإذا هما بجارية قد خرجت من قصرٍ هنالك ومعها جَرٌّ، فاستقت فيه من الغدير، ثم إنّها ألقت الجرّ فانكسر فجلست تبكي، فسألاها عن شأنها ولمن كانت، فقالت: لرجلٍ بمكّة من قريش، فاشتراني صاحب هذا القصر، وهو رجلٌ من بني عامر من آل الوحيد، بخمسين ألف درهم، فنزلتُ من قلبه ألطفَ منزلة، ثمّ إنّه تزوّج ابنةَ عمٍ لهم فَهُدِيَتْ إليه، فكانت تسيءُ إليّ وتكلّفني أن أستقيَ في كلّ يومٍ من هذا الغدير بجرّ، فشكوت ذلك إلى الرجل فقال: إنّما أنتِ أمةٌ وهذه ابنة عمّي، فربّما ذكرت ما كنتُ فيه فيسقط الجرّ من يدي فينكسر فتضربني على هذا، ولمّا رأيتكما وما أنتما عليه ذكرت ما مضىٰ من أيّامي فسقط الجرّ من يدي، ثم أخذت العود وغنّت[2]:

يا بَيْتَ عاتكةَ الذي أتعزَّلُ ... حَذَرَ العدى وبه الفؤادُ موكّلُ
إنّي لأمنحكَ الصّدودَ وإنّني ... قسماً إليكَ مع الصّدود لأميلُ
ولقد نزلتَ من الفؤادِ بمنزلٍ ... ما كان غيرك والأمانةِ ينزل
ولقد شكوتُ إليكَ بعضَ صبابتي ... وَلَما شكوتُ من الصبابة أطول
هل عيشنا بكَ في زمانكَ راجعٌ ... فلقد تفحَّشَ بعدك المتعلّلُ
أعرضتُ عنكَ وليس ذاك لبغضةٍ ... أخشىٰ مقالةَ كاشحٍ لا يعقل[3]

فقلنا لها: لمن هذا الشعر؟ قالت: للأحوص بن محمّد الأنصاري،

---

(١) م: هناك.
(٢) شعر الأحوص (عادل سليمان جمال): ١٦٦.
(٣) م: لا يغفل.

قلنا: فلمن الغناء؟ قالت: لمعبد المغنّي. فقال الأحوص: فأنا والله الأحوص، وقال معبد: وأنا والله معبد، فأنشأت تقول[1]:

إن تَـرَوْني الغـداةَ أسعى بجـرٍّ ... أستقي المـاءَ نحو هـذا الغـديـرِ
فـلقـد كنـتُ في رخـاءٍ مـن العَـيْشِ ... وفـي ظـلِّ نـعـمـةٍ وسـرور
ثم قـد تبصـران مـا فيـه أصبحتُ ... ومـاذا إليـه صـار مـصيـري
أبلغـا عنّيَ الإمـام ومـا بلغَ[2] ... صِـدْقَ الحـديثِ مثـلُ الخبيـر
أنّني أضـربُ الخـلائقِ بـالعـو ... دِ وأحـكـاهـمُ لـبـمٍّ وزيـر
فـلعـلَّ الالـه ينـقـذُ ممَّـا ... أنـا فيـه فـإنّني كـالأسيـر
ليتني متُّ يـوم فـارقتُ أهـلي ... وبـلادي وزرتُ أهـلَ القبـور

فقال الأحوص والله لا أبرحُ حتّى أقول فيها شعراً، فقال[3]:

إن زينَ الغـديـر مَنْ كَسَـر الجرْ ... رَّ وغنّىٰ غنـاءَ فحـلٍ مُـجيـدِ
قلتُ من أنت يـا ظعينَ فقـالت ... كنتُ فيمـا مضىٰ لآل الـوليـد
ثمَّ بُـدِّلْتُ بـعـد حيٍّ قـريشٍ ... في بني عـامر لآل الـوحيـد
فـغنـائي لمعبـدٍ ونشيـدي ... لفتىٰ النّاسِ الأحوص الصنديد
فتبسّمتُ ثـم قـلتُ أنـا الأحـ ... ـوص والشيخُ معبدٌ فـأعيـدي
فـأعـادتْ فـأحسنتْ ثم ولَّتْ ... تـتـهـادى فـقـلت أمّ سـعيـد
يعجـز المـالَ عن شـراكِ ولكنْ ... أنـت في ذمَّـة الهمـامِ يـزيـد
إنْ نُـذَكِّرْ بـكِ الإمـامَ بصـوتٍ ... معبـديٍّ يزيل حَبْلَ الـوريـد
يـفعـل الله مـا يـشـاء فَـظُنّي ... كـلُّ خيـرٍ منّـا هنـاكَ وزيـدي

---

(١) الأغاني ٢١: ١٢٢.
(٢) الأغاني: يعرف.
(٣) الأغاني ٢١: ١٢٤ مع بعض اختلاف في الرواية؛ وفي التعليق على هذه القصيدة قال الزبير بن بكار راوياً عن عمه المصعب: أظن القصة كلها مصنوعة وليس يشبه الشعر شعر الأحوص ولا هو من طرازه، وكذلك قال عمر بن شبة في خبره؛ قلت: بل هي صنعة سادجة.

ثمّ ودّعاها وانصرفا، فلمّا دخلا على يزيد قال للأحوص: أنشدني أقربَ شعر قلته فأنشده:

إنَّ زين الغــديــر من كســر الـجــرَّ وغنَّـى غنــاء فـحــلٍ مجيــدِ

وقال لمعبد: غنّني أقرب غناءٍ غنّيته، فغنّاه إنّ زينَ الغـدير مَنْ كسـرَ الجرّ، فقال: لقد اجتمعتما على أمرٍ، فَقَصَّا عليه القصّة، فكتب إلى عامله على البلقاء: ابتعْ هذه الجارية بما بلغت، فابتاعها بمائة ألف درهم وأهداها إلى يزيد فحظيتْ عنده، وحلَّت ألطفَ محلٍّ من قلبه. قال: فوالله ما انصرفنا حتّى صار إلينا من الجارية مالٌ وَخِلَعٌ وألطافٌ كثيرة[1].

(١) جاء في م بعد هذا: «آخر المجلس السابع والثمانين، والحمد لله على سوابغ نعمه».

المجلس الثامن والثمانون

[لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي]

أخبرنا المعافى قال: حدَّثنا الحسين بن محمَّد بن سعيد المطبقي قال، حدّثنا عبد الرحمن بن الحارث قال، حدّثنا يزيد بن هارون قال، أخبرنا شريك عن علي بن بذيمة، عن أبي عبيدة عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «لمّا وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا، فجالسوهم في مجالسهم، (قال يزيد: وأحسبه قال: وفي أسواقهم). وواكلوهم وشاربوهم، فضرب الله جلّ ثناؤه قلوبَ بعضهم ببعض، فلعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. وكان رسول الله ﷺ متكئاً فجلس فقال: «لا والّذي نفسي بيده حتّى يأْطروهم على الحق أطراً».

[وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر]

قال القاضي: في هذا الخبر ما دلَّ على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهجر أهلِ المعاصي ومجانبة المجالسة لهم والأُنْس بهم، وإيناسِهم بالمقاربة ومخالطتهم بالمؤاكلة والمشاربة، والتنزّهِ عن مداهنتهم، ولزومِ المسلمين عطفَهم على واجبات الدّين وردَّهم إلى اتّباع سبيل المُؤمنين. وقوله «حتّى يأطروهم على الحق أطرا» معناه يعطفونهم عليه عطفاً، يقال:

أطرتُ الرجل على الشيء آطرُه أطراً، فأنا آطر به، وهو مأطور، ومن ذلك قول طرفة بن العبد[1]:

كـأن كِنـاسَيْ ضـالـةٍ يَكْنُفَـانِهَـا وأَطْرَ قِسَيٍّ تحت صلب مُؤيد[2]

الضّالة: السّـدرة في البريّـة البعيدة من المـاء تُجمع ضـالاً كما قـال الشاعر[3]:

يا ما أميلح غـزلانـاً شـدنَّ لنـا من هؤليـائكن الضـال والسَّمُـرِ

والعبرية السدرة على الماء تُجمع عُبريّاً كما قال الشاعر[4]:

لاثٍ به الأَشاءُ والعُبْرِيُّ

وأمّـا السّدرة التي تكـون متوسـطة بين المـاء وبين البـرّ فـإنّهـا تُسمَّىٰ الأشكلة. وقال آخر[5]:

وأنتم أنـاس تَقْمُصُـون من القنـا إذا مـارَ في أكتـافكم وتـأطَّـرا

[امتحان شمر يرعش لبنيه]

حَدَّثنا محمَّد بن الحسَن بن دريد قـال: أخبرنـا السكن بن سعيد عن محمّد بن عبّاد عن ابن الكلبي عن الشّرقي بن القطامي قال: كان شمر يرعش الملك الحميري ميمونَ النقيبـة مغضور النـاصية مـظفراً بعيـدَ الصّيت وطّاءً للسَّعد، وملك ثمانياً وأربعين سنة، هكذا يقول أهل اليمن في سيرة ملوكهم. فلمّا تقاربت أيّامه وأشفى على انقضاء مدّته، وهـو شمر يرعش بن تبع بن

(١) ديوانه: ١٦ وشرح السبع الطوال: ١٦٢ (البيت رقم: ٢٠) واللسان (أطر).

(٢) في الأصل: تحت مـور معبد، وهذه قافية البيت: ١٨. الكناس: أن يحتفر الثور كناً يقيه الحر والبرد في أصل شجرة ضال أو غيره. وأطر قسي معناه كان قسياً مأطـورة تحت صلب تلك الناقة، والماطـور: المعطوف، والمؤيد: المشدد القويّ.

(٣) هو علي بن أحمد العُرَيني كما في اللسان (شدن) وانظر أيضاً اللسان (أولي).

(٤) اللسان (عبر) و(لوث) ولاث: مقلوب لائث.

(٥) هو المغيرة بن حبناء كما في اللسان (أطر).

ياسر يَنعم تبع بن عمرو ذي الأذعار تبع بن أبرهة ذي المنار تبع بن الرائش تبع بن قيس بن صيفي، جمع بنيه وهم ثلاثة: دريد ومكنف وشرحبيل، فقال: تناهت المدَّة، وتقضّت العِدّة، وجاء ما لا يُدْفَع، وحلَّ ما لا يُمْنَع، وقد بلغتُ من السِّنّ مدىً في دونه تُنجِّذُ التجاربُ ذا الحجىٰ، وإنّي مُلْقٍ إليكم كلاماً أستدلُّ بجوابه على ألبابكم، وأسبرُ به حصافةَ رويَّتكم، لتطمئنَّ نفسي عند فراقكم أنَّ لي خلفاً أُذْكَرُ به، وإن كان غناءُ ذلك عنّي قليلاً. فقالوا: قل، فقال: ما المجْد؟ فقالوا: ابتناء المكارم، وحملُ المغارم، والاضطلاع بالعظائم، وظَلَفُ النفس عن ركوب المظالم. قال: فما الشرف؟ قالوا: كَرَمُ الجوارِ، وصيانةُ الأقدار، وبذلُ المطلوب في اليُسر والإعسار. قال: فما الدناءة؟ قالوا: تتبّع التّافه اليسير، ومنع النزر الحقير. قال: فما المُروّة؟ قالوا: سموّ الهمّة، وصيانة النفس عن المذمّة. قال: فما الكلفة؟ قالوا: التماس ما لا يعنيك، ومطالبة ما لا يؤاتيك. قال: فما الحلم؟ قالوا: كظم الغيظ، وضبط النفس عند الغضب، وبذل العفو عند القدرة. قال: فما الجهل؟ قالوا: معاجلةُ الوثوب، والغباوة بعواقب الخطوب. قال: فما الجرأة؟ قالوا: حفظ ما استرعيت، ومجانبة ما استكفيت. قال: فما الأربة؟ قالوا: انتظار الفرصة، والتوقّف عند الشبهة. قال: فما الشجاعة؟ قالوا: صدق الباس، والصبر عند المراس. قال: فما العجز؟ قالوا: العجلة قبل الاستمكان، والتأنّي بعد الفرصة. قال: فما الجبن؟ قالوا: النزق عند الفزع، والهلع عند الجزع. قال: فما السماحة؟ قالوا: حسن البشر عند السؤال، واستقلال كثير النوال. قال: فما الشح؟ قالوا: أن ترى القليل إسرافاً، والبذل إتلافاً. قال: فما الظرف؟ قالوا: حسن المجاورة، ولين المعاشرة. قال: فما الصَّلف؟ قالوا: التّعظُم مع صغر القدر، واستشعار الكِبْرِ مع قّلة الوفر. قال: فما الفهم؟ قالوا: لسان مُراعٍ، وقلب واعٍ. قال: فما الغنى؟ قالوا: قلّة التّمنّي، والرضا بما يكفي. قال: فما السُّؤدد؟ قالوا: اصطناع العشيرة، وحمل الجريرة. قال: فما السّنا؟

قالوا: حُسْن الأدب، ورعاية الحسب. قال: فما اللُّؤم؟ قالوا؛ إحراز النَّفس، وإسلام العرس. قال: فما الدناءة؟ قالوا: الجلوس على الخسف، والرِّضا بالهوان. قال: فما الفقر؟ قالوا: شَرَهُ النَّفس، وشدة القنوط. قال: فما الشرف؟ قالوا: الفعل الكريم، والحَسَبُ الصميم، والفرع العميم. قال: انصرفوا يا بَنِيَّ، الآن أسمحتْ للموت قَرونتي، وأنشأ يقول:

هَوِّن فَقْدَ الحياة أنّي خلَّفتُ ذكْراً على الزمانِ
أخلافَ أسلافِ بيتِ مُلْك مُؤَيّدِ الأُسِّ والبواني[1]
فالآن فلترشف المنايا ما أسْأر الدهرُ من جَناني

[تعليقات]

قال القاضي: قول الشرقي في شمر يرعش «ميمون النَّقيبة مغضور النَّاصية» وصفهَ باليُمن والبركة مع خلوص الحريّة وكَرَم النَّجْرِ والشِّيمة، يقال للأرض الحرّةِ الطّينِ الطَّيّبةِ الترب غضراء، ومنه غضارةُ العيش وغضارة النعمة، ومنه اشتق اسم غاضرة من بني أسد، ويروى بيت توبة بن الحمير[2]:

أبيني لنا لا زال ريشُكِ ناعماً ولا زلتِ في غَضْراءَ غضٍّ نضيرُهَا

على وجهين: غضراء وخضراء.. وقوله «لا يمنع» بمعنى لا يُرَد ولا يدفع، وقوله «مدىً في دونه تنجّذُ التجارب ذا الحجىٰ» معنى تنجّذه: تحكّمه وتقرّ عقله وحلمه، والنواجذُ الأضراس واحدها ناجذ، وفيها ناجذ ينبت عند تناهي الشَّباب ومقاربة التكهُّل يقال له ضرس الحلم، وتسمّيه العامة ضرس العقل، قال سحيم بن وثيل[3]:

---

(١) خ بهامش م: والمباني.

(٢) الشعر والشعراء: ٣٥٧ والأغاني ١١: ١٩٨ (وفيه: خضراء دانٍ بريرها).

(٣) الأصمعيات (آلورد البروسي): ٧٤ وسمط اللآلي: ٥٥٨ والخزانة ١: ١٢٦ وحماسة البحتري: ٢٥.

ومـاذا يـدَّري الـشعـراءُ مـنّي وقـد جـاوزْتُ حـدَّ الأربـعيـنِ
أخـو خمسينَ مجتمـعُ أشُـدِّي ونـجَّـذني مـجـاورةُ الـشؤون

كسر نون الجمع في «الأربعين» لتتفق حركاتُ الإطلاق في قوافيه، وهي لغة ضعيفةٌ جارية في شذوذها مجرى فتح نون الاثنين كقول الشاعر(١):

على أحوذِيِّينَ آستقلَّت ركـابَهـا فمـا هي إلّا لـمحـةٌ فتَـغيـبُ

وقد يقال في الناب ناجذة. وقول بني شمر «الجلوس على الخَسْف» معناه الهوان والمذلة، وفيه لغتان: الخَسْف والخُسف، قال الراجز يصف النبيّ ﷺ:

إنْ سيم خسفاً وجهُهُ تربَّدا

في إعراب هذا البيت وجهان: أحدهما أن يكونَ سيم فعلاً فارغاً لقوله وجهه، ووجهه مرفوع لأنّه لم يُسَمَّ فاعله، والتقدير فيه إنّ سيم وجهه خَسْفاً، وهذا من الباب الّذي يقال فيه فعلتُ هذا لوجهك أي لك، والوجه الثاني أن يكون في سيم ضمير هو اسمٌ للنبيّ ﷺ أي سيم هو بمعنىٰ إن سيم رسول الله ﷺ خسفاً، وقوله تربَّدا ابتداء، وخبر جملته جواب الشرط «وهو إن سيم». كأنّه قال إن سيم رسول الله ﷺ خَسْفاً تربَّد وجهُهُ أي تنكّر، وأبى أنفاً وحميّة وغضباً. وقول شمر: «الآن أَسْمَحَتْ للموت قَرُونتي» أي طابت به نفسي واستسهلته، يقال: سمحت بالشيء وأسمحت قال ابن مقبل(٢):

هل القلبُ عن دهمَاءَ سالٍ فَمُسْمِحُ وتـارِكُـهُ منهـا الخيـالُ المبـرِّحُ

وقـولـه «قَـرونتي»: القَرُونَـةُ: النفس، وقولـه «فلترشـف المنـايا» أي

---

(١) اللسان (حوذ) وهو يصف جناحي قطاة؛ والأحوذي: الخفيف في الشيء.
(٢) ديوان ابن مقبل: ٤٨.

تمتصّ. وقوله «ما أسأر الدهر من جناني» ما أبقىٰ من قلبي، والسؤر البقية من كلّ شيء، من ذلك قول الأعشىٰ[1]:

بانتْ وقد أسأرت في النفس حاجَتَها   بعد ائتلافٍ، وخيرُ الودِّ ما نفعا

[لماذا سُوِّدَ الأحنف]

حدّثنا الحسين بن القاسم الكوكبي[2] قال، حدَّثنا محمد بن زكريا، الغلابي[3] قال: حدثنا العبّاس بن بكّار قال: حدّثنا شبيب بن شيبة عن خالد بن صفوان أنّه كان بالرصافة عند هشام بن عبد الملك. فقدم العبّاس بن الوليد بن عبد الملك فغشيه[4] الناس، فكان خالد في من أتاه، وكان العباسُ يصومُ الاثنين والخميس؛ قال خالد: فدخلتُ عليه في يومِ خميسٍ فقال: يا ابنَ الأهتم، خبّرني عن تسويدكم الأحنف وانقيادِكُم له، وكنتم حيّاً لم تُمْلَكُوا في جاهليّةٍ قطّ. فقلتُ: إن شئتَ أخبرتُكَ عنه بخصلة لها سُوِّدَ[5]، وإن شئتَ بثنتين، وإن شئتَ بثلاث، وإن شئتَ حدّثتك بقية عشيَّتِكَ حتّى تنقضي ولم تشعر بصومك. قال: هاتِ الأولى فإن اكتفينا وإلاّ سألناك. قال: فقلتُ: كان أعظمَ مَنْ رأينا وسمعنا ـ ثم أدركني ذهني فقلت: غيرَ الخلفاء ـ سلطاناً على نفسه فيما أراد حَملَها عليه وكفَّها عنه. قال: لقد ذكرتَهَا نجلاءَ كافيةً، فما الثانية؟ قلت: قد يكونُ الرّجل عظيمَ السّلطان على نفسه ولا يكون بصيراً بالمحاسن والمساوىء ولم يُرَ ولم يُسمع بأحدٍ كان أبصر بالمحاسن والمساوىء منه، فلا يحمل السلطنة إلاّ على حَسَن، ولا يكفّها إلاّ عن قبيح. قال: قد جئتَ

---

(١) ديوان الأعشى: ٧٣.

(٢) أورد ابن عساكر هذه القصة، انظر المصورة ٨: ٤٢٩ ـ ٤٣١ وينتهي نقله بانتهاء المجلس نفسه وقارن سراج الملوك: ١٤١.

(٣) ابن عساكر: محمد بن قاسم بن زكريا الغلابي.

(٤) في النسخ: فأتاه، وما هنا رواية م وابن عساكر.

(٥) ابن عساكر: لها سؤدد.

بصلةٍ للأولى لا تصلح إلاّ بها، فما الثّالثة؟ قلتُ: قد يكـونُ الرجـلُ عظيمَ السلطان على نفسه بصيراً بالمحاسن والمساوىء ولا يكون حظيظاً، فلا يفشو ذلك له في النّاس ولا يُذْكَرُ به فيكون عند النّاس مشهورا[1]. قال: وأبيك لقد جئتَ بصلةِ الأولتين[2]، فما بقيّةُ ما يَقْطَعُ عنّي العشيَّ؟ قلتُ: أيّامه السالفة قال: ومـا أيامُهُ السـالفة؟ قلت: يـوم فتـح خـراسان، اجتمعت لـه جموعُ الأعاجم بمرو الرّوذ فجاءه ما لا قِبَلَ له به، وهو في منزل مَضْيَعَةٍ[3]، وقد بلغ الأمرُ به فصلّى عشاءَ الآخرة ودعا ربَّهُ وتضرَّع إليه أن يوفّقه، ثمّ خرج يمشي في العسكر مَشْيَ المكروب يتسمَّعُ ما يقولُ النّاس، فمرّ بعبدٍ يعجنُ وهـو يقول لصاحبه[4]: العجبُ لأميرنا يقيمُ بالمسلمين في منزل مضيعةٍ وقد جاءه العدوُّ من وجـوه، وقد أطـافوا بـالمسلمين من نواحيهم ثمّ اتّخـذوهم أغراضـاً وله مُتَحَوَّلٌ. فجعل الأحنفُ يقول: اللهمَّ وفِّق، اللهمَّ وفّق، اللّهم سدِّدْ. فقال صاحب العبد للعبد: فما الحيلة؟ قال: أن ينادي الساعة بالرحيل، فإنما بينه وبين الغَيْضةِ فرسخ، فيجعلها خلفَ ظهره فيمنعه الله بها، فإذا امتنع ظهره بعث بمجنّبته اليمنى واليسرى فيمنع الله بهما ناحيته ويلقى عدوَّه من جانبٍ واحد. فخرَّ الأحنفُ ساجداً، ثم نادى بالرحيل مكانه، فارتحل المسلمون مكبّين على رايتهم حتى الغيضة، فنزل في قُبُلها وأصبح فأتاه العدوّ، فلم يجدوا إليه سبيلاً إلاّ من وجهٍ واحد، وضربوا بطبولٍ أربعةٍ، فركب الأحنفُ وأخذ الراية وحمل بنفسه على طَبْلٍ ففتقه وقتلَ صاحبه وهو يقول:

إنّ عـلى كـلِّ رئيسٍ حـقّـاً   أن يخضبَ الصَّعــدةَ أو تنـدقّـا

ففتق الطبولَ الأربعةَ وقتل حَمَلَتها. فلمّا فقد الأعاجمُ أصواتَ طبولهم

---

(1) في ما عدا م: مستوراً.
(2) ابن عساكر: الأوليين.
(3) م وابن عساكر: بمضيعة.
(4) ابن عساكر: لصاحب له.

انهزموا، فركب المسلمون أكتافهم فقتلوهم قتلاً لم يُقْتَلُوا مثلَهُ قطّ، وكان الفتح. واليومُ الثاني أنّ عليّاً رضي الله عنه حين ظهر على أهل البصرةِ يومَ الجمل أتاه الأشتر وأهلُ الكوفة بعدما اطمأنّ به المنزل وأثخن في القتل، فقالوا: أعطنا، إن كنّا قاتلنا أهلَ البصرة حين قاتلناهم وهم مُؤمنون فقد ركبنا حُوْباً كبيراً، وإن كنّا قاتلناهم كفّاراً وظهرنا عليهم عَنْوةً فقد حلَّتْ لنا غنيمةُ أموالهم وسبيُ ذراريهم، وذلك حُكْمُ الله تعالى وحكمُ نبيّه ﷺ في الكفّار إذا ظُهِرَ عليهم. فقال علي: إنّه لا حاجةَ بكم أن تهيجوا حربَ إخوانكم، وسأرسلُ إلى رجلٍ منهم فأستطلع[1] رأيهم وحجّتهم فيما قلتم. فأرسل إلى الأحنف بن قيس في رَهْطٍ فأخبرهم بما قال أهلُ الكوفة، فلم ينطق أحدٌ غيرُ الأحنف فإنّه قال: يا أمير المُؤمنين لماذا أرسلتَ إلينا؟ فوالله إنّ الجواب عَنَّا لعندك، ولا نتبعُ الحقَّ إلاّ بك، ولا علمنا العلمَ إلاّ منك. قال: أحببتُ أن يكونَ الجوابُ عنكم منكم ليكونَ أثبتَ للحجّة وأقطع للتهمة، فقُلْ. فقال: إنهم قد أخطأوا وخالفوا كتاب الله تعالى وسنَّةَ نبيّهم ﷺ، إنّما كان السبيُ والغنيمةُ على الكفّار الّذين دارهم دارُ كفرٍ، والكفر لهم جامعٌ ولذراريهم، ولسنا كذلك، وإنّها دارُ إيمانٍ يُنادَى فيها بالتوحيد وشهادةِ الحقِّ وإقامِ الصلاة، وإنّما بغت طائفةٌ أسماؤهم معلومة، أسماءُ أهلِ البغي؛ والثاني[2]: حجّتنا أنّا لم نستجمع على ذلك البغي، فإنّه قد كان من أنصارك، من أثبتهم بصيرةً في حقّك وأعظمهم غناءً عنك، طائفةٌ من أهل البصرة، فأيُّ أولئك يُجْهَلُ حقُّه وتُنْسَى قرابته؟ إن هذا[3] الذي أتاك به الأشتر وأصحابه قولُ متعلّمة أهل الكوفة، وايمُ الله لئنْ تعرضوا لها[4] ليكرهُنَّ عاقبتها ولا تكون الآخرة كالأولى. فقال عليّ رضي الله عنه: ما قلت

(١) ابن عساكر: فإنه سيطلع.
(٢) ابن عساكر: والثانية.
(٣) هذا: سقطت من م.
(٤) م: بها.

إلا ما نعرف، فهل من شيءٍ تخصُّونَ به إخوانكم لما قاسَوْا من الحرب؟ قالوا: نعم، أعطياتنا ما في بيت المال ولم نكن لنصرفها في عدلك عنّا، فقد طبنا عنها نفساً في هذا العام فاقسمها فيهم. فدعاهم عليّ كرّم الله وجهه فأخبرهم بحجج القوم وبما قالوا وبموافقتهم إيّاه، ثم قَسَمَ المالَ بينهم خمسمائة لكلّ رجل.
فهذا اليوم الثاني. وأمّا اليوم الثالث فإنّ زياداً أرسل إليه بليلٍ وهو جالسٌ على كرسيّ في صحن داره، فقال: يا أبا بحر ما أرسلتُ إليك في أمر تنازعني فيه مخلوجة، ولكنّي أرسلتُ إليكَ وأنا على صريمة، وكرهتُ أن يروعَكَ أمرٌ يحدث لا تعلمه. قال: ما هو؟ قال: هذه الحمراءُ قد كثرت بين أظهر المسلمين وكثر عددهم وخفتُ عَدْوَتَهُمْ، والمسلمون في ثغرهم وجهادهم عدوَّهم، وقد خَلَفوهم في نسائهم وحريمهم، فأردتُ أن أرسل إلى كلِّ من كان في عِرافةٍ من المقاتلة فيأتوا بسلاحهم ويأتيني كلُّ عريف بمن في عرافته من عبدٍ أو مولىً فأضربَ رقابهم فتؤمَنَ ناحيتهم. قال الأحنف: ففيم القولُ وأنت على صريمة؟ قال: لتقولنَّ. قال: فإنّ ذلك ليس لك، يمنعك منه[1] خصالٌ ثلاثٌ: أمّا الأولى فحكم الله في كتابه وحكم رسول الله ﷺ عن الله، وما قَتَلَ رسول الله ﷺ من الناس مَنْ قال: لا إله إلاّ الله وأن محمّداً رسول الله، بل حَقَنَ دمه، والثانية: أنّهم غلَّةُ النّاس لم يغزُ غازٍ فخلَّفَ لأهله ما يُصْلحهم إلاّ من غلاتهم، وليس لك[2] أن تحرمهم، وأمّا الثالثة: فهم يقيمون أسواقَ المسلمين، أفتجعل العربَ يقيمون أسواقهم قصّارين وقصّابين وحجّامين؟!
قال: فوثب عن كرسيّه ولم يعلمه أنّه قَبِلَ منه، وانصرف الأحنف. قال: فما بتُّ بليلةٍ أطولَ منها أتسمَّع الأصوات، قال: فلمّا نادى أوّل المُؤذنين قال لمولى له: إيتِ المسجد فانظر هل حَدَثَ أمرٌ، فرجع فقال: صلّى الأمير ودخل وانصرف ولم يَحْدُثْ إلاّ خير.

(١) خ بهامش م: يمنعك من ذلك.
(٢) م: وليس الحكم.

[إضاءة على الخبر السابق]

قال القاضي: قول زياد للأحنف «تنازعني فيه مخلوجة»: أي تعترضني فيه عارضةٌ متعرجةٌ ليست على سَمْتٍ ولا استقامة، فتقطعني عن الاستمرار فتجذبني إلى الانحراف عن المحجّة إلى الشبهة المُؤدّية إلى الحيرة، قال امرؤ القيس[1]:

نطعنهمُ سُلكى ومخلوجةً ... كرَّكَ لامينِ على نابلِ[2]

ويُروىٰ كرَّ كلامين، وفي رواية هذا البيت وتفسيره اختلاف، وشرحه مستقصىً في غير هذا الموضع. وأصلُ الاختلاج الاقتطاع والاجتذاب، ومنه سُمّي الخليج خليجاً لأنّه مخلوجٌ من البحر ومعظم الماء، بمنزلة مجروح وجريح ومقتول وقتيل. وقوله: «وأنا علىٰ صريمة» أي على أمرٍ أنا قاطعٌ عليه وواثقٌ به، من صَرَم الحبل إذا قطعه، فصريمةُ ذاك مقطوعٌ عليها غيرُ مرتابٍ بها. ومن ذلك قول الأعشىٰ[3]:

وكان دعا قومَهُ دعوةً ... هَلُمَّ إلى أمركم قد صُرِمْ[4]

أي قُطِعَ وأحكم. وفي هلمَّ لغتان أفصحهما اللُّغةُ الحجازيّة، وهي هلمَّ للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمُؤنّث على اختلاف أهلِ اللّغةِ في جمع المؤنّث، فمنهم من يقول هلمنَّ ومنهم من يقول: هلممن، وأمّا أهلُ الحجازِ

---

(١) ديوان امرىء القيس: ١٢٠.

(٢) سلكى: طعنة مستقيمة حيال الوجه؛ ويروى لفتك لامين، ولفتك: ردك؛ لأمين: سهمين، ومن رواه «كلامين» عنى ترديد القول للنابل: ارمِ، ارمِ. وفي رواية؛ بردّ كلامين.

(٣) ديوان الأعشى: ٣٤.

(٤) يتحدث عن صاحب الحضر وكيف دعا قومه للثبات في وجه سابور وتقبل الموت دفاعاً عن مدينتهم.

فلغتهم هلمَّ في المواضع كلّها على ما قـدّمنا ذكـره. وبنو تميم وأهـل نجد يقولون هلمًّا وهلمّوا وهلمّي وهلمُنَّ وهلممن. وقد روي بيت الأعشىٰ علىٰ اللُّغتين الحجازيّة والتميميّة هلمّ إلي أمركم وهلمّوا إلى، وجاء القرآن في هذا بلغة أهل الحجاز، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلُمَّ شهداءكم﴾ [الأنعام: ١٥٠] وقال تبارك وتعالى: ﴿والقائلينَ لإخْوانِهِمْ هَلُمَّ إلينا﴾ [الأحزاب: ٤٨].

المجلس التاسع والثمانون

[الملائكة وعيد الفطر]

أخبرنا القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريّا قال، حدّثنا نصر بن أحمد بن أزهر الخطاب قال، حدّثنا محمد بن طاهر بن عمران الموصلي قال، حدّثنا سليمان بن الفضل اليزيدي قال، حدثنا مسلم بن سالم البلخي عن سعيد بن عبد الجبّار الحمصي عن أبي توبة عن سعيد بن أوس الأنصاري عن أبيه قال، قال رسول الله ﷺ(1): إذا كان يوم [عيد] الفطر وقفت الملائكةُ عليهم السلام في أفواه الطرق فنادوا: يا معشرَ المسلمين اغدوا إلى ربٍّ رحيمٍ يأمرُ بالخير ويثيبُ عليه الجزيل، أمركم بصيام النهار فصمتم وأطعتم ربّكم عز وجل، فاقبضوا جوائزكم، فإذا صَلُّوا العيدَ نادى منادٍ من السَّماء: ارجعوا إلى منازلكم راشدين فقد غفر لكم ذنوبكم. ويسمّى ذلك اليوم في السماء يوم الجائزة.

قال القاضي: في هذا الخبر ما يُرَغّبُ المُؤمنين في طاعة ربّهم وتأدية فرضه عليهم وما يرجون نيله من ثوابه بحسب ما وعدهم في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ.

---

(1) ورد الحديث في مجمع الزوائد ٢: ٢٠١ عن سعيد بن أوس الأنصاري (وفيه بعض اختلاف) وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير وفيه جابر الجعفي وثقه الثوري وضعفه الناس وهو متروك.

[وريثُ ابن راعي الإبل]

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال: أخبرنا أبو حاتم عن الأصمعي قال[1]: قدم الراعي على خالد بن عبد الله بن خالد بن أُسيد ومعه ابنٌ له، فمات ابنه بالمدينة، فلمّا دخل على خالدٍ سأله عنه فقال: مات بعدما زوجته وأُصدقت عنه، فأمر له بديةِ ابنه وصداقه، فقال الراعي:

وديتَ ابنَ راعي الإبْلِ إذ حانَ يومُهُ ... وشقَّ لـه قبـراً بـأرضـكَ لاحـدُ

وقد كان مات الجودُ حتّى نشرته[2] ... وأذكيتَ نار الجودِ والجودُ خامـدُ

فــلا حملتْ أنثى ولا آب آيـبٌ ... ولا بَلَّ ذو سُقْمٍ[3] إذا مات خالدُ

قال القاضي: قول الراعـي «وديتَ ابن راعي الإبلِ»: أراد أدّيت ديته، يقال: وديت القتيل إذا أدّيت ديته إلى أهله، ووديت عنه من مالك دية جنايته، وقيل إنَّ هذا ممَّا عايى به الكسائيُّ محمد بن الحسن فلم يعرف الفرقَ بينهما. وأمّا قـوله «وشقَّ له قبراً بأرضك لاحد» فإنّ وجه الكلام في هذا أن يقال: شقّ شاقٌ ولحد لاحدٌ، ويقال: ألحد ملحد، وذلك أنّ الشق ما كان من الحفر في وسط القبر، واللحد ما كان في جانبه. بيَّن هذا قول النبي ﷺ: «اللحدُ لنا والشقّ لغيرنا». ولكنّه لمّا كان اللّحد شقّاً قد ميل به عن الوسط إلى الجانب قال: وَشَقَّ له. وأصل اللّحد مأخوذٌ من المَيْلِ، يقال فيه: لحد وألحد في الدين وغيره، من الميـل. وقد قُـرىء باللغتين في القـرآن فقرأ الجمهـور: ﴿وَذَرُوا الّذينَ يُلْحدون في أسمائه﴾ [الأعراف: ١٨٠] ﴿لسانُ الّذي يُلْحِدُونَ إليه أعْجَميٌّ﴾ [النحل: ١٠٣] ﴿وإنَّ الّذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا﴾ [فصلت: ٤٠]. وقرأ الآخرون الأحرف الثلاثة بالفتح؛ وممّن قرأ كذلك حمزة. وكان

(١) القصة والأبيات في مصورة ابن عساكر ١١: ١١ (عن غير المعافى بن زكريـا) وتهذيب ابن عساكر ٥: ٦٦، وعنه ديوان الراعي (فايبرت): ٧٣ وشعره (قيسي وناجي): ١٩٢ عن لباب الآداب: ١٠٥ ـ ١٠٦.

(٢) ابن عساكر: حتى نعشته.

(٣) ابن عساكر، ولا آب غائب ولا ولدت أنثى.

الكسائي يقرأ التي في الأعراف وحم السجدة بالضم، ويفتح الّذي في النحل لوضوح دلالته على الميل بقوله «إليه»، فكان أخصّ بالدّلالة إلى معنى الميل من «في». وقد يكون ما اختاره الكسائيُّ بعيداً في تفريقه بين اللفظين إلى الجمع بين اللغتين كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿فمهِّلِ الكافرينَ أمهلهم رُوَيْداً﴾ [الطارق: ١٧]، وقد كان الكسائي يفعلُ هذا كثيراً، من ذلك ما رُوي عنه من اختياره في قراءة: ﴿لم يَطْمُثْهُنَّ﴾ [الرحمن: ٥٦] ضم عين الفعل في أحد الموضعين وكسرها في الآخر. والّذي اختاره من القراءة على لغة من يقول «لحد» في موضع وعلى لغة من يقول «ألحد» في غيره حَسَنٌ جَميلٌ عندي.

وقول الراعي «وقد كان مات الجود حتّى نشرته»: اللّغة الصحيحة: أنشر الله الميّت، فَنُشِرَ هو، ونشره فهو منشور لغة قد قُرىء بها، وقد مضى من شرح هذا فيما تقدّم من مجالسنا هذه ما نكتفي به فنستغني عن إعادته. وقوله «ولا بَلَّ من سقم»: يقال بَلَّ الرجلُ من مرضه وأَبلَّ واستبلَّ إذا برأ وصحَّ، قال الشاعر[(١)]:

إذا بلَّ من داءٍ به ظنَّ أنّه نجا وبه الدّاءُ الّذي هو قاتله[(٢)]

وقال الأعشى[(٣)]:

وكأنّها محموم خَيْبَر بَلَّ من أوصابها

[هارون الرشيد يكتشف أن المأمون ينظم الشعر]

حدّثنا الحسين بن القاسم الكوكبي قال، حدّثنا أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي قال، حدّثنا عبد الله بن محمّد التيميّ قال[(٤)]: أراد الرشيد

(١) اللسان (بلل) دون نسبة.

(٢) اللسان: خال أنه، والداء الذي هو قاتله يعني الهرم.

(٣) ديوان الأعشى: ١٧٨ يصف الناقة التي شكت له الجهد والكلال.

(٤) أوردها ابن عساكر مع الأبيات (ولكن ترجمة المأمون سقطت من النسخة) انظر مختصر ابن منظور ١٤: ٩٥.

سفراً فأمر النّاسَ أن يتاهّبوا لذلك وأعلمهم أنّه خارج بعد الأسبوع، فمضى الأسبوع ولم يخرج، فاجتمعوا[1] إلى المأمون فسألوه أن يستعلم ذلك، ولم يكنِ الرشيدُ يعلمُ أن المأمون يقولُ الشعر، فكتب إليه المأمون:

يـا خيـرَ من دَبَّتِ المـطيُّ بـه ومن تقـدّى بسـرجِـهِ فَـرَسُ
هـل غـايـةٌ في المسيرِ نعرفهـا أم أَمْـرُنَـا في المسيـرِ مُـلْتَبِسُ
مـا عِـلْمُ هـذا إلاّ إلـى مـلكٍ من نـوره في الـظلام نَـقْتَبِسُ
إن سـرْتَ سـار الـرشـادُ متّبعـاً وإن تقفْ فـالـرشـادُ محتبسُ

فقرأها الرشيد فسرّ بها ووقّع فيها: يا بنيَّ ما أنت والشعر؟ أما علمتَ أنَّ الشعر أرفع حالات الدنيّ وأقلُّ حالات السّري، والمسير إلى ثلاثٍ إن شاء الله.

قال القاضي: قول المأمون في شعره ومن تقدّى بسرجه فَرَسُ: تقدَّى استمرّ كما قال ابن قيس الرقيّات[2]:

تقدَّتْ بي الشهباءُ نحو ابنِ جعفرٍ سـواءٌ عليهـا ليلهـا ونهـارهـا

أي استمرّت وَجَرَتْ قاصدةً إليه.

[تعزية يحيى بن زياد لبعض أهله]

حدّثنا عمر بن الحسن بن عليّ بن مالك الشيباني قال، حدّثنا محمّد بن زيد قال: كتب يحيى بن زياد إلى بعض أهله يعزّيه: أما بعدُ فإنّ المصيبةَ واحدة إن صبرت ومصائب إن لم تصبر، وقد مضى لك سلفٌ يحسنُ عليهم البكاء، وبقي خَلَفٌ في مثلهم العزاء، فلا البكاء يردُّ الماضي وبالعزاء يطيبُ عيشُ الباقي، ونحن عمّا قليل بهم لاحقون، فآثرِ الصّبرَ فإنّه أردُّ الأمرين عليك وأرجعهما بالنفعِ إليك.

(١) ابن منظور: فاجتمع الناس.
(٢) ديوان الرقيات: ٨٢ (وفيه تخريج كثير).

قال القاضي: ولمن تقدّمنا من التعازي ما يستحسنه الالباء لبلاغته وفصاحته وجودة معناه وقوته وجزالته، وتعزية يحيى بن زياد هذه من أحسن ما روي في هذا الباب وأبلغه.

[رؤبة في صغره]

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري قال، حدثني أبي قال، حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن آدم العبدي قال العجّاج: سقط خبالي عليَّ فاستغثت بولدي فلم يجبني أحد منهم، ثم جاءني رؤبة وهو صبي صغير فقلت له:

إنَّ بنيَّ للئامٌ زَهَدَهْ   ماليَ في صدورهم من مَوْدَدَهْ
إلاّ كَوُدٌ مَسَدٍ لقرمدَه

قال فقال رؤبة:

إنّ بنيك لكرامٌ مَجَدَهْ   ولو دعوتَ لأتوك حَفَدَه
عجّاجُ ما أنت بأرضٍ مأسدَه

قال: فضممته إليّ وقلت: ابني سيكون. قال أبو بكر: المسَدُ حبالٌ تعمل من ضروب من أوبار الإبل، والقرمد: الآجرّ.

قال القاضي: قد مضى خبر العجّاج هذا في بعض ما تقدّم من هذه المجالس، وفسَّرنا ما فيه من إعراب وغريب، وأوردناه عن شيخ حدّثنا به عن أبي بكر ابن الأنباري.

[شاهَكْ فما معنا في البيت أحد]

حدّثنا الحسن بن أحمد بن محمد بن سعيد الكلبي قال، حدّثنا محمد بن زكريا الغلابي قال، حدّثنا عبد الله بن الضحّاك ومهدي بن سابق قالا: حدّثنا الهيثم بن عدي[1] عن صالح بن حسان قال[2]: كان عبد الله بن

(١) م: القاسم بن سندي.
(٢) نقلها ابن عساكر في تاريخ دمشق، انظر مختصر ابن منظور ١٤: ٧٦ - ٧٧ وقارن بما ورد في عيون الأخبار ٢: ١٢٠ - ١٢١.

معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب صديقاً للوليد يأتيه ويؤانسه، فجلسا يوماً يلعبان بالشطرنج إذ أتى الآذن فقال: أصلح الله الأمير، رجلٌ من أخوالك من أشراف ثقيف قدم غازياً وأحبَّ السلام عليك، فقال: دعه، فقال عبد الله: وما عليك إئذن له، فقال: نحن على لعبتنا وقد أنجحتُ عليك. قال: فادعُ بمنديلٍ فضعْ عليها ويسلّمُ الرجلُ ونعود، ففعل، ثم قال: ائذن له، فدخل مشمرٌ له هيبة، بين عينيه أثر السجود، وهو مُعْتَمّ قد رجَّلَ لحيته، فسلّم ثم قال: أصلح الله الأميرَ قدمتُ غازياً وكرهتُ أن أجوزك حتّى أقضيَ حقّك، قال: حيّاك الله وبارك عليك، ثم سكتَ عنه. فلما أنس أقبل عليه الوليد فقال: يا خال هل جَمَعْتَ القرآن؟ قال: لا كانت تَشْغَلنا عنه شواغلُ. قال: حفظتَ من سنّةِ رسول الله ﷺ ومغازيه وأحاديثه شيئاً؟ قال: كانت تشغلنا عن ذلك أموالنا. قال: فأحاديث العرب وأيّامها وأشعارها؟ قال: لا. قال: فأحاديث أهل الحجاز ومضاحكها؟ قال: لا. قال: فأحاديث العجم وآدابها؟ قال: إن ذلك شيءٌ ما كنتُ أطلبه. فرفع الوليدُ المنديلَ وقال: شاهَكَ. قال عبد الله بن معاوية: سبحان الله، قال: لا والله ما معنا في البيت أحد. فلمّا رأى ذلك الرجلُ خرج فأقبلوا على لعبهم.

[الحسب بلا أدب]

قال القاضي: ما أعجبَ كلام الوليد هذا وألطفه وأحسنه وأظرفه. وشبيه هذا ما روي أنّ رجلًا خاطب معاوية فأكثرَ اللّغو في كلامه فضجر معاوية وأعرض عنه، فقال: أأسكت يا أميرَ المؤمنين؟ فقال: وهل تكلّمت؟ ولعمري إن ذا الجهل والغباوة إلى منزلة من النقص وسقوط القدر وبمعزل من الطبقة الّتي تستحقّ التهيُّب والأعظام والتبجيل والأكرام، وإن اتفق لهم بالجَد وطائر السعد إعظام كثير من النّاس لهم واغترار طائفة من الأغنياء بهم. وقد ذكر أن بزرجمهر سئل: ما نعمة لا يُحسد صاحبها عليها؟ قال: التواضع، قيل: فما بلية لا يُرحَمُ صاحبها؟ قال: الكِبْر، قيل: فما الّذي إذا انفرد لم يساوِ شيئاً؟ قال:

الحسب بلا أدب[1]. وفي استقصاء القول في هذا الباب طولٌ لا يحتمله هذا الموضع.

[حلم سلمى بن نوفل]

حدّثنا محمد بن يحيى الصُّولي قال، حدّثنا محمّد بن يزيد قال، حدّثنا محمّد بن صفوان عن أبيه قال: كان سلمى بن نوفل الدِّيلي سيداً في كنانة، فوثب رجل من أهله على ابنه فجيء به إليه، فقال له: ما أمَّنك منّي وأجرأك عليَّ؟ أما خشيت عقابي؟ قال: لا، قال: ولم؟ قال: لأنّا سوّدناك لكظم الغيظ والحلم عن الجاهل، فخلّى سبيله.

[ولِّ البكاء أهله ـ مصرع أبناء الحارث الباهلي]

حدّثنا عبد الله بن منصور الحارثي قال، حدّثنا محمّد بن زكريا الغلابي قال، حدّثنا إبراهيم بن عمر بن حبيب قال، حدّثني سعيد بن سلم الباهلي قال[2]: كان الحارث بن حبيب الباهلي كثير البنين فنحّى بنيه عن قومه يخشى معرّتهم عليهم، فغاب الحارث بن حبيب وشوى بنوه شاةً لهم فأُخرجت وغطوها فأكلوا منها فماتوا وهم ثمانية، فجاء فرآهم موتى حول الشاة، فأكل منها وأكثر ليموتَ فلم يمت، فركب ناقةً له يريد قومه ليعينوه على دفنهم، فمرَّ وهو راكب برجلٍ جالسٍ يبكي، وهو رجل من بني قشير، فقال: ما لك؟ قال: كانت لي شاة فأكلها الذئب فنزل عن راحلته فقال: هذه لك بدل شاتك وولِّ البكاءَ أهلَه، ثم قال:

يـا أيُّها البـاكي على شـاتـه ... يـبـكي جـهـاراً غيـر إسـرارِ
إنّ الـرزيّـاتِ وأشـبـاهَـهَـا ... مـا غـادر الحـارثُ في الـدار

---

(١) إلى هنا انتهى نقل ابن عساكر.
(٢) القصة (باختلاف أساسي) والأبيات في تعازي المدائني: ٣٩ والتعازي والمراثي للمبرد: ٥٣ والكامل له ٤: ٣٦ ـ ٣٧.

والحارث الّذي يقول[1]:

المرءُ يأمُلُ أن يعيشَ وطولُ عيشٍ قد يضرُّهْ
تفنى بشاشتُهُ ويبقى بعد حُلْوِ العيشِ مُرُّه
وتسوءه الأيام حتى لا يرى شيئاً يسرّه
كم شامتٍ لي إن هلكتُ وقائلٍ للّه درّه

[الحطيئة يعجب بابن عباس]

حدّثنا الحسين بن أحمد بن محمّد بن سعيد الكلبي قال، حدّثنا محمد بن زكريّا قال، حدّثنا محمّد بن سلام عن محمّد بن حفص قال، وحدّثنا محمّد بن زكريا قال وحدّثنا ابن عائشة عن أبيه قال[2]: نظر الحطيئةُ إلى ابن عبّاسٍ في مجلس عمر وقد فرغ من كلامه، فقال: من هذا الّذي قد نزل عن القوم في سنه وعلاهم في قوله؟ قالوا: هذا ابن عبّاس، هذا ابن عمّ رسول الله ﷺ، فأنشأ يقول:

إنّي وجدتُ بيانَ المرءِ نافلةً تُهدىٰ له ووجدتُ العيَّ كالصَّممِ
المرءُ يبلى ويبقى الكلمُ سائِرُهُ وقد يلام الفتىٰ يوماً ولم يُلِمِ

[الكَلْم والكَلِم]

قال القاضي: قوله «وتبقى الكلم»: الكلم ها هنا جمع كلمة، وأصل الكلم بكسر اللّام فسكّنه تخفيفاً لأقامة وزن البيت كما قالوا في مَلِك مَلْك، وفخْذ وكبْد في فخِذ وكبِد. قال الله تعالى: ﴿يحرّفون الكلِم عن مواضعه﴾ [المائدة: ١٣]. وقد رُوي عن تميم بن حذْلم[3] أنّه قرأ: ﴿تحرفون الكلامَ﴾. وقد

---

(١) نسبت هذه الأبيات للنابغة الجعدي وهي في ديوانه: ١٩١ وأمالي القالي ٢: ٨ وأخبار الزجاجي: ٩٧ وأماليه: ١١١ وأمالي الشريف المرتضى ١: ٢٦٦ والبصائر ٨: ١٦٥.
(٢) لا وجود لهذه القصة والشعر المتصل بها في ديوان الحطيئة.
(٣) تميم به حدلم: أبو أسلم الضبي، قرأ على عبد الله بن مسعود (غاية النهاية ١: ١٨٧).

قرأه علماء الأمصار[1] ﴿يريدونَ أن يبدّلوا كلام الله﴾ [الفتح: ١٥] و﴿كلِم الله﴾. وممّا قيل في هذا وهو ممّا يُستحسن لبعض المحدثين:

قالت عييتَ عن الشكوى فقلتُ لها   جَهْد الشكايةِ أن أعيا عن الكَلِم

فأمّا الكلم الّذي عيْنُ فعلِهِ ساكنة في أصل بنائه فإنه مصدر كَلَمه يكلمه كَلْماً، بمعنى جرحه يجرحه جرحاً كما قال الشّاعر[2]:

لعمرك إنّ الدّار غَفْرٌ لذي الهوى   كما يَغْفِرُ المحمومُ أو صاحبُ الكَلْمِ [3]

يعني إن ذا الهوى يهتز لذكرها كما يهتز المحموم والمكلوم أي المجروح ويهتران. ويجمعُ الكَلْم كِلاماً مثل جَرْح وجراح، وجمع فَعْل على فِعَال كثير جداً في القلّة مثل كلب وكلاب وسهم وسهام، ومنه قول الشاعر:

أَجِـدَّكَ مـا لـعينـك لا تنـامُ   كـأنّ جفـونها فيها كِـلامُ

وروي عن النبي ﷺ أنّه قال: ما من أحدٍ يُكْلَمُ كلماً في سبيل الله عزّ وجلّ إلّا جاء يوم القيامة وأوداجه تشخُبُ دماً: اللونُ لونُ دمٍ والريحُ ريحُ مسكٍ. ويجمع الكلم أيضاً كلوماً مثل فَلْس وَفُلوس، وصَقْر وصقور، ومثله كثير. ومن الكلوم قول بعض الشعراء:

فلو أنّ قولاً يكلِمُ الجلدَ قد بدا   بجلديَ من قولِ الوشاةِ كُلومُ[4]

وقولـه «سائرُهُ» يعني أنّه يبقى سائر الكلام يريد الحِكَم السائرة من الكلم، يقال: قولٌ سائر ومثلٌ سائر، وقوله «سائرُهُ» بَدَل من الكلم تابعٌ له في إعرابه كقولك يعجبني القول بليغُهُ.

---

(١) م: قرأة الأنصار.

(٢) البيت للمرار الفقعسي كما في اللسان والصحاح (غفر).

(٣) غفر الجريح والمريض: نكس وانتقض.

(٤) الأشهر نسبته إلى ابن الدمينة، وينسب إلى مجنون ليلى: انظر ديوانه والتخريج: ٢٤٧.

[لماذا أكلت الفأر أذن الإسرائيلي]

حدثنا أبي رضي الله عنه قال، حدّثنا أبو أحمد الختلي، أخبرنا عمّي يعني النسائي قال، حدّثني سليمان بن عبد الحميد المهراني قال، حدّثنا يحيى بن صالح الوحاظي قال، حدّثنا إسماعيل بن عيّاش قال: حدّثني بشر بن عبد الله بن سيّار أنّ رجلاً من بني إسرائيل حضره الموت، فرأى جزع امرأته عليه فقال: أتحبّين أن لا أفارقك؟ قالت: نعم، قال: فاصنعي لي تابوتاً ثم اجعليني في بيتك هذا فإنّه لا يتغيّر جسدي، ففعلت، فاطلعت بعد زمانٍ فإذا هي بإحدىٰ أذنيه قد أُكِلَتْ، فقالت: فلانٌ ما كذبتني قبلها، قال: فاستأذن ربّه عز وجل فردَّ الله عزّ وجلّ عليه روحه، فقال لها: إنَّ الّذِي رأيت من أذني أني سمعتُ ملهوفاً يوماً من الأيّام يستغيث فلم أُغِثْهُ فأُكلَتْ أذني الّتي كانت تليه.

[عمر بن عبد العزيز يرد المظالم]

حدّثنا إبراهيم بن محمّد بن عرفة الأزدي قال، حدّثنا عبد الله ابن أخت أبي الوزير عن أبي محمّد الشامي قال[1]: كنت غلاماً في خلافة عمر بن عبد العزيز، فلمّا أخذ عمر في ردّ المظالم غلظ ذلك على أهل بيته وعلى جميع قريش، فكتب إليهم عبد الرحمن بن الحكم بن هشام:

فأبلغ هشاماً والّذين تجمّعوا بدابقَ لاسَلِمْتُمُ آخر الدهرِ[2]

ويروى:

فقل لهشامٍ والّذين تجمّعوا بدابق موتوا لاسلمتمْ يَدَ الدّهرِ
فأنتم أخذتم حَتْفَكُمْ بأكفّكم كباحثةٍ عن مُدْيةٍ وهي لا تدري

(١) وردت القصة والشعر في مصورة ابن عساكر ١٣: ٢٨٤ - ٢٨٥ وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم: ١٢٢

(٢) ابن عساكر: يدَ الدهر؛ بدابق موتوا لاسلمتم يد الدهر. ابن عبد الحكم: بدابق عني لا وقيتم ردى الدهر.

عشيّةَ بـايعتم إمـامـاً مخـالفـاً | لـه شَجَنٌ بين المدينـة والحِجـر

فأجابه بعض ولد مروان عن هشام بن عبد الملك:

لئن كان ما تدعو إليه هو الـردى | فما أنت فيه ذو غنـاء ولا وفر[1]
وأنت من الريش الذنابي ولم تكن | من الجزلة الأُولى ولا وَسَطِ الظهر[2]
ونحن كفينـاك الأمـورَ كمـا كفى | أبونا أباك الأمرَ في سالف الدّهر

[صرف دابق وعدم صرفه]

قال القاضي: قال عبد الرحمن بن الحكم في شعره هذا «بدابقَ» فلم يصرفه في موضعين، وفي صرفه وترك صرفه وجهان معروفان في كلام العرب، والعرب تذكّره وتُؤنّثه، فمن ذكّره صرفه كما قال الشّاعر:

بـدابـقٍ وأيـنَ مـنّـي دابـقُ

ومَن أنّثه لم يصرفه كما قال الآخر:

لقـد خاب قـومٌ قلّدوك أمـورَهم | بـدابقَ إذ قيـل العـدوُّ قـريبُ

[الباحثة عن حتفها]

وقوله «كباحثة عن حتفها وهي لا تدري»: هذا مثل يُضرب للّذي يثير بجهله ما يُؤدّيه إلى هلاكه أو الاضرار به. وأصله أن ناساً أخذوا شاةً ليست لهم فأرادوا أكلها، فلم يجدوا ما يذبحونها به فهموا بتخليتها، فاضطربتْ عليهم، ولم تزل تثيرُ الأرض وتبعثرها بقوائمها، فظهر لهم فيما احتفرته مديةٌ فذبحوها بها، وصارت هذه القصّة مثلاً سائراً فيما قدّمنا ذكره. وقول المرواني «وأنت

(١) ابن عبد الحكم: لما كنت فيه ذا غناء ولا وفر.
(٢) ابن عبد الحكم: من الزمرة الأولى ولا منبت الصبر.

من الريش الذنابى»: يقال ذنب الفرس وغيره، وذنابى الطّائر وذنابى الوادي وذنابته ومذنب النهر قال الشّاعر[1]:

أيا جحمتا بكي على أمٍّ صاحبٍ قتيلةِ قِلَّوْبٍ باحدى الذنائبِ[2]

ويروى المذانب، والجحمتان: العينان، والواحدة جحمة، ويقال إنّها بلغة أهل اليمن، والقِلَّوْبُ: الذئب.

[شعر ابن البختري في خالد بن الوليد]

حدّثنا أحمد بن العبّاس العسكري قال، حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال، حدّثني عبد الرحمن بن حمزة اللخمي قال، حدّثنا أبو علي الحرمازي قال[3]: دخل هشام بن البختريّ في ناسٍ من مخزوم على عمر بن الخطّاب رضي الله عنه فقال له: يا هشام أنشدني شعرك في خالد بن الوليد، فأنشده، فقال: قَصَّرْتَ في البكاء[4] على أبي سليمان رحمه الله، إنْ كان ليحبُّ أن يُذِلَّ الشركَ وأهله، وإن كان الشّامت به لمتعرضاً لمقتِ الله. ثم قال عمر رضي الله عنه: قاتل الله أخا بني تميم ما أشعره[5]:

فقل للّذي يبقى خلاف الّذي مضى تهيّأ لأخرى مثلِها فكأنْ قَدِ
فما عيشُ مَنْ قد عاش بعدي بنافعٍ ولا موتُ من قد مات يوماً بمخلدي

ويُروى: «ولا موتُ من قد مات قبلي». ثم قال: رحم الله أبا سليمانِ ما عند الله خيرٌ له ممّا كان فيه، ولقد مات فقيداً وعاش حميداً، ولكن رأيتُ الدهرَ ليس يقاتل.

---

(١) اللسان (جحم، قلب).
(٢) يروى: فيا جحمتي، على أم مالك، أكيلة قلوب ببعض (بأعلى) المذانب.
(٣) نقل ابن عساكر هذه القصة ٥: ٥٦٧ (ترجمة خالد بن الوليد).
(٤) ابن عساكر: الثنا.
(٥) البيتان في أمالي القالي ٣: ٢١٨ دون نسبة.

قال القاضي: لقد أحسن عمر بن الخطّاب رضوان الله عليه الثناءَ على خالد بن الوليد رحمه الله على تشعُّثٍ قد كان بينهما، فلم يَثْنِهِ ذلك عن معرفة حقّه وصحبته وصلة رحمه، وكان ابنَ خالته. وقد كان الصحابة، رضوان الله عليهم، ربَّما عرض فيما بينهم بعضُ العَتْبِ وبعضُ ما يوحش الإخوان فلا يخرجهم ذلك عن الولايةِ إلى العدواة.

المجلس التسعون

[ما أعده الله للصالحين]

حدّثنا طلحة بن محمّد بن إسرائيل الجوهري قال، حدّثنا يحيى بن أبي طالب [أبو بكر] قال، حدّثنا عبد الوهّاب قال، حدّثنا أبو محمّد الحماني عن أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري عن النبيّ ﷺ قال[1]: إنّي رُفِعْتُ إلى الجنّة فاستقبلتني جاريةٌ فقلتُ: لمن أنت يا جارية؟ قالت: لزيد بن حارثة. وإذا بأنهارٍ من ماء غير آسن، وأنهارٍ من لبنٍ لم يتغيَّرْ طعمُهُ، وأنهارٍ من خمر لذّة للشاربين، وأنهارٍ من عَسَلٍ مُصَفًّى، وإذا رمَّانها كأنّه الدلاء عِظَماً، وإذا بطائرها كأنّه بُختكم هذه، فقال عندها ﷺ: «إن الله عز وجل أعدَّ للصالحين ما لا عينَ رأتْ ولا أُذنَ سمِعتْ ولا خطر على قلب بشر».

[مكانة زيد بن حارثة]

قال القاضي: قد جاء عن النبي ﷺ في فضل زيد بن حارثة وفي أنه صادفه في الجنّة، وكان من أبرِّ الناس بأمّه، وقال [النبيّ] ﷺ حين أخبر بإكرام الله تعالى زيداً وإسكانه جنّته: كذلكم البَرُّ كذلكم البَرُّ، ولن يضيع لأولياء الله عند ربّهم إحسانُهُم بطاعته إلى أنفسهم. نسأل الله التوفيق لطاعته والعصمةَ من معصيته، إنّه رؤوفٌ رحيم جواد كريم.

(١) أورده البرهان فوري في كنز العمال ١٣ : ٣٩٨ عن ابن عساكر.

[النابغة الجعدي]

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد، حدثنا أبو حاتم قال، قال النابغة الجعدي أبو ليلى، واسمه قيس بن عبد الله بن عُدس، وقال القحذمي: اسمه حِبَّان بن قيس بن عبد الله بن وَحْوَح بن عُدَس بن ربيعةَ بن جعدةَ بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وكان أسنَّ من النّابغة الذبياني، والدليل على ذلك قوله[1]:

تذكّرت والذكرى تَهيجُ على الهوى ... ومن حاجةِ المحزونِ أن يتذكّرا
نداماي عند المنذر بن محرِّقٍ ... أرى اليوم منهم ظاهرَ الأرضِ مقفرا
كهولٌ وفتيانٌ كأنّ وجوههم ... دنانيرُ ممّا شِيفَ في أرض قيصرا

قال: فهذا[2] يدلّك على أنّه كان مع المنذر بن محرق، والنابغة كان مع النعمان بن المنذر بن محرق، وكان النابغة غبر ثلاثين سنة لا يتكلّم، ثم تكلّم بالشعر، ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة بأصبهان، وكان ديوانه[3] بها، وهو الذي يقول[4]:

فمن يكُ سائلاً عنّي فإنّي ... من الشبّان أيّام الخُنَانِ

وأيّام الخنان كانت أياماً في العرب قديمة لداءٍ هاج فيهم:

مَضَتْ مائةٌ لعامٍ ولدتُ فيه ... وعشرٌ بعد ذاك وحجّتان
فأبقى الدّهرُ والأيامُ منّي ... كما أبقى من السيف اليماني
تحسّر وهو مأثور جُرازٌ ... إذا جمعت لقائمه اليدان

وقال أيضاً في طول عمره[5]:

---

(١) ديوان النابغة الجعدي: ٣٦ ـ ٣٧، ٧٠ والشعر والشعراء: ٣٠٩.
(٢) م: هذا.
(٣) ديوانه: يعني ان اسمه مسجل في ديوان أصبهان.
(٤) طبقات ابن سلام: ١٢٤ والأغاني ٥: ٦ والشعر والشعراء: ٢١٢ والديوان: ١٦٠ ـ ١٦٢.
(٥) الأغاني ٥: ٦ ـ ٧ والشعر والشعراء: ٢١٧ ـ ٢١٨ والديوان: ٧٧ ـ ٧٨.

لبستُ أُناساً فأفنيتهم وأفنيتُ بعد أُناسٍ أناسا
ثلاثةَ أهلينِ أهلكتهم وكان الإلهُ هو المستآسا

قال أبو حاتم، قال أبو عبيدة: وكان النابغة ممّن فكَّر في الجاهليّة فأنكر الخمر والسكر وما يفعل بالعقل، وتجنَّبَ الأزلامَ والأوثان، وقال قصيدته التّي أوّلها[1]:

الحمد لله لا شريكَ له مَن لم يقلها فنفسَهُ ظَلَما

وكان يذكر دينَ إبراهيم وإسماعيل صلّى الله عليهما، ويصوم ويستغفر ويتوقّى أشياء لعواقبها، ووفد على النبيّ ﷺ وقال في ذلك[2]:

أتيتُ رسولَ الله إذ جاء بالهدى ويتلو كتاباً كالمجرَّةِ نيِّرا
وجاهدتُ حتّى ما أُحسَّ ومن معي سُهَيْلاً إذا ما لاح ثم تغوّرا

يقول: كنت بالشّام وسهيلٌ لا يكاد يُرى هناك.

يقومُ على التقوى ويوصي بفعلها وكان من النّارِ المخوفةِ أوجرا

قال أبو حاتم، وأخبرنا داود بن رشيد قال، أخبرنا يعلى بن الأشدق العقيلي قال: سمعتُ النابغةَ يقول: أنشدتُ رسول الله ﷺ[3]:

بلغنا السماءَ مَجْدُنَا وجدودُنَا وإنّا لنرجو فوقَ ذلك مَظْهَرا

فقال: أين المظهر يا أبا ليلى؟ قلتُ: الجنة، قال: أجل إن شاء الله. ثم أنشدته قولي[4]:

ولا خيرَ في حلمٍ إذا لم يكنْ له بوادرُ تحمي صَفْوَهُ أنْ يُكَدَّرا
ولا خيرَ في جهلٍ إذا لم يكن له حليمٌ إذا ما أوردَ الأمر أصدرا

(١) الأغاني: ٥: ٩ - ١٠ والشعر والشعراء: ٢١٢.
(٢) الشعر والشعراء: ٢٠٨ والأغاني ٥: ٩ والديوان: ٦١.
(٣) الأغاني ٥: ٨.
(٤) الأغاني ٥: ٩ والديوان: ٧٣ والشعر والشعراء: ٢٠٨ - ٢٠٩.

فقال النبيّ ﷺ: «لا يُفْضَضَ فوك»[1]. فمات وله عشرون ومائة سنة لم يُغَيَّرْ له سنّ.

[استطراد في شرح شيف وغيرها]

قال القاضي: قول النابغة «شيفَ في أرض قيصرا»: معنى شِيفَ جُلي ومُسِح حتّى أنار وصَفَا، كما قال عنترة[2]:

ولقد شربتُ من المدامةِ بعدما ... ركد الهواجرُ بالمشوفِ المُعْلَمِ[3]

يقال للدينار والدرهم المجلوّين: دينار مَشُوفٌ ودرهمٌ مشوف، ويقال شافه يشوفه شوفاً كما قال امرؤ القيس[4]:

بأسحم ملتفَ الغدائرِ واردٍ ... وذي أُشُرٍ تَشُوفُهُ وَتَشُوصُ

قال القاضي: قوله «تشوفه» أي تجلوه، والأُشُر: تحديد أطرافِ الأسنان ورقّتها. وذكر أن أعرابيّاً أتي بطفل لم تنبت أسنانه فجعل يقبّله ويقول: وا بأبي دُرْدُرك، فرأته امرأته ولم تكن حظيّةً عنده، فظنّت أن الفم الأدرد يعجبُهُ، فعمدتْ إلى فهرٍ فَصَكَّتْ به أسنانها حتّى ألقتها ثم جاءته فلمّا رآها قال: أعييتني بأُشُرٍ فكيف بدُرْدُرٍ[5]؟! والأدرد: الّذي ليس في فيه شيء من الأسنان، يقال: دَرِدَ الرجل يَدْرَدُ إذا لم يبقَ له سنّ. وروي عن النبي ﷺ أنّه قال[6]: «أوصاني جبريل عليه السلام بالسواك حتّى خفتُ أن أدرد». ويقال: رجل أدرد وامرأة درداء، ودريْدٌ تصغير أدرد، ويُسمّي هذا البصريّون من النحويّين تصغيرَ الترخيم

---

(١) انظر تعليقات ابن حجر في الإصابة (٦: ٢٢٠) على هذا الحديث.

(٢) شرح السبع الطوال: ٣٣٧.

(٣) المعلم هنا دينار فيه كتابة، وقال ابن الأعرابي: عنى بالمشوف المعلم بعيراً مطلياً بالقطران.

(٤) ديوان امرىء القيس: ١٧٨.

(٥) انظر هذا المثل في فصل المقال: ١٨٣ والميداني ١: ٣٠٦.

(٦) الحديث في الجامع الصغير ١: ٦٦ واللسان (درد).

لحذف ما حَذف منه، ولو صُغِّر على أصله وتمامه لقيل أُدَيْرِد. ومثل هذا أحمد وأحيمد وحميد وأزرق وأزيرق وزُريق. ومن الأدرد قول الشاعر[1]:

فما تَدَّري من حيَّةٍ جبليَّةٍ سُكاتٍ إذا ما عضَّ ليس بأدردا

وقول امرىء القيس «وتشوص» أي تغسلُهُ غسلاً تبالغُ فيه بالمضمضة. ورُوي عن النبي ﷺ أنّه كان إذا قام من اللّيل يشوصُ فاه بالسواك.

[طوق بن مالك وأعرابية]

حدّثنا الحسين بن القاسم الكوكبي قال، حدّثنا علي بن هشام الرقي قال، حدّثني محمّد بن يحيى بن مسلم الحرّاني قال: كان طوقُ بن مالك يتولّى الدبار[2] وكان من عادته إذا صلّى الجمعة أن ينادي مناديه: من له مظلمة، مَن له قصَّة، من له حاجة فليشهد الباب ولينصرف. ففعل هذا في جمعة من الجمع، فلمّا صار بين باب داره والمسجد اعترضته امرأةٌ أعرابيّةٌ من بني كلاب كاللبُؤة المُجْرِيةِ، فأخذت بعنانِ دابّته ثم أنشأت تقول:

يا طوقُ يا ذا الجودِ فاسمعْ إلى مقصدِ هذي المرأةِ المسلمَهْ
ناديتَ من كانت له قصَّة أو حاجةٌ أو مَن له مظلمه
فليشهدِ البابَ، فقد جئتُهُ أشكو إليك السّنة المظلمهْ
أمّ بنين كلّ يوم لها قتلٌ وفي أموالنا مِلحمه
أَعْدِ بني الدنيا على دهرهمْ وآبنِ لعدنانَ بها مكرمه

---

(١) اللسان (سكت) وفيه: فما تزدري.

(٢) الدبار: المزارع ولعل معناها هنا ـ على التحديد ـ الضياع. وطوق بن مالك التغلبي كان في زمن الرشيد والأمين، وجه سنة ١٩١ لمحاربة خارجي بالسواد؛ ولم يشارك لا في ثورة نصر بن شبث العقيلي ولا في القضاء عليها (انظر تاريخ الطبري ٣: ٧١١، ٨٤٥ وابن الأثير ٦: ٢٠٥، ٣٠٤). وتوفي طوق سنة ٢١٦ وابنه مالك هو صاحب الرحبة (تاريخ الموصل، انظر فهرسه) وله قصة في الجود أوردها أسامة في لباب الآداب: ١١٣.

فقال: أي والله أيّتها المرأة، نُعديك على دهرك. ثم أمر الخدم بضمّها، فرأيتها بعد ذلك بحال حسنةٍ وبزةٍ جميلة.

[الشعراء يستأذنون على عقيلة بنت عقيل بن أبي طالب]

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري قال، حدّثنا أبو الحسن أحمد بن محمّد بن عبد الله بن صالح قال، حدّثنا أبو عبد الله ابن النطاح قال، حدّثنا أبو عبيدة عن أبي عبد الرحمن عن صالح بن كيسان، قال: كانت عقيلة بنت عقيل بن أبي طالب تجلسُ للرجال، فاستأذن عليها جميلٌ فأذنت له، فلمّا دخل قيل لها: هذا كثيّر بالباب، فقالت: أدخلوه، فما لبث أن قيل لها: هذا الأحوصُ بالباب، [فقالت: أدخلوه]. فأقبلت على جميل وقالت: ألسْتَ القائل(١):

فلو تركَتْ عقلي معي ما طلبتُهَا ... ولكنْ طِلابيها لما فاتَ مِنْ عقلي

أما تطلبها إلاّ لذهابِ عقلك؟! أما والله لولا أبياتٌ قلتَها ما أَذِنْتُ لك، وهي(٢):

علقتُ الهوى منها وليداً فلم يزلْ ... إلى اليوم ينمي حُبُّها ويزيدُ

فلا أنا مرجوعٌ بما جئتُ طالباً ... ولا حُبُّها فيما يبيد يبيدُ

يموتُ الهوى منّي إذا ما لقيتها ... ويحيا إذا فارقتها فيعودُ

ثم أقبلت على كثيّر فقالت: وأمّا أنت يا كثيّر فأقلُّ الناس وفاءً في قولك(٣):

أُريدُ لأنسى ذِكْرَهَا فكأنَّما ... تمثَّلُ لي ليلىٰ بكلِّ سبيلِ

---

(١) ديوان جميل: ١٧٥.

(٢) ديوان جميل: ٦٤، ٦٣، ٦٧.

(٣) ديوان كثير: ١٠٨.

أما تريدُ أن تذكرها حتّى تمثّل لك؟! أما والله لولا أبياتٌ قلتها ما أذنت لك، وهي[1]:

عجبتُ لسعي الدّهرِ بيني وبينها فلمّا انقضى ما بيننا سَكَنَ الدّهْرُ
فيا حبَّ ليلىٰ قد بلغتَ بيَ المدى وزدتَ على ما ليس يبلغُهُ الهجرُ

قال القاضي: المشهور من هذين البيتين أنّهما من كلمة لأبي صخر الهذلي منسوبة إليه أوّلها[2]:

لليلىٰ بذاتِ الجيش دارٌ عرفتُها وأخرىٰ بذاتِ البين آياتها سَطْرُ

وقد أملَّها علينا عن أحمد بن يحيى عن عبد الله بن شبيب معزوّةً إلى أبي صخر، محمد بن القاسم الانباري ومحمّد بن يحيى الصولي.

ثم أقبلَتْ على الأحوص وقالت: وأمّا أنت يا أحوص فألأم العربِ في قولك[3]:

من عاشقين تراسلا وتواعدا ليلاً إذا نجم الثّريّا حلّقا
باتا بأنعم عيشةٍ وألذّها حتّى إذا وضح النّهارُ تفرّقا

لِمَ قلتَ: تفرّقا؟! أما والله لولا شيءٌ قلتَهُ ما أَذِنْتُ لك، وهو[4]:

كم من دنيٍّ لها قد صِرْتُ أتبعُهُ ولو صحا القلبُ عنها كان لي تبعا

قال: ثم قالت لكثّير: يا فاسق أخبرني عن قولك[5]:

أإن زُمَّ أجمالٌ وفارق جيرةٌ وصاح غرابُ البينِ أنت حزينُ

---

(١) هي كما يقول المؤلف لأبي صخر (شرح أشعار الهذليين ٣: ٩٥٨) وليست لكثير.
(٢) شرح أشعار الهذليين ٣: ٩٥٦ وفيه آياتهما عفر، آياتها سفر.
(٣) شعر الأحوص: ١٦٢.
(٤) شعر الأحوص: ١٥٣.
(٥) ديوان كثير: ١٧٠.

أين الحزنُ إلّا عندها؟ فقال كثيّر؟ أعزّك الله، قد قلتُ شيئاً أذهَبَ هذا العيبَ عنّي، وهو[1]:

وأزمعْنَ بيناً عاجلًا وتركنني بصحرا خُرَيمٍ قاعداً أتبلَّدُ
وبين التراقي واللهاةِ حرارةٌ مكان الشجا لا تطمئنُّ فتبرد

وقد كانت قالت لجواريها: مزِّقْنَ ثيابه عليه، فلمّا أنشد هذين البيتين قالت: خلِّين عنه يا خبائث، وأمرتْ له بحلَّةٍ يمانيةٍ وبمائة دينار فأخذهما وانصرف.

[دعوى عريضة تنسب للجرمي]

حدّثنا محمد بن يحيى الصّولي قال، حدّثنا محمّد بن يزيد قال، قال أبو عمر الجرمي يوماً[2]: أنا أعلم النّاس بكلام العرب، فسمعه الأصمعي فقال: كيف تنشد هذا البيت:

قد كنَّ يخبأنَ الوجوهَ تستّراً فالآن حين بدأنَ للنظّارِ

أو حين بدين؟ قال أبو عمر: حين بدأن، فقال: أخطأت، فقال: بدين، فقال: أخطأت يا أعلم النّاسِ بكلام العرب، حين بَدَوْنَ[3].

[القاضي ينفي الدعوى عن الجرمي، ويخطئه]

قال القاضي: أبو عمر الجرمي أرفعُ طبقةً عندنا في علم العربيّة من أن يذهب مثلُ هذا عليه[4]، ولكنّه أجاب على البديهة، وترك التبين والرويّة، فوقع

(١) ديوان كثير: ٤٣٩، ٤٣٧ (مع بعض اختلاف في الرواية).
(٢) معجم الأدباء، الترجمة رقم: ٥٩٦ (من تحقيق احسان عباس) ولم ترد القصة في الطبعة المصرية.
(٣) القصة في التصحيف للعسكري (دمشق): ١٤١ وانظر مجالس العلماء رقم ٦٥، ١٤٠ وإنباه الرواة ٣: ٨١ ـ ٨٢. والبيت للربيع بن زياد العبسيّ في مقتل مالك بن زهير (الحماسية رقم: ٣٤٧ عند المرزوقي).
(٤) هذا هو أيضاً رأي المبرد كما ذكر العسكري في التصحيف.

في خطأ العجلة، وهو أعلم بالتصريف والأبنية وأمضى في معرفة المهموز والفصل في غير المهموز من بنات الواو وبنات الياء من الأصمعي. وأمّا تخطئةُ الأصمعي له في قوله بدأن في البيت الّذي أنشده فهو كما ذكر، وقد أصاب في تخطئته. وأمّا تخطئته إيّاه في قوله بدين فكما قال أيضاً، وإنّما يقال بدأن بكذا إذا ابتدأن به بتحقيق الهمزة، وبدان بتليين الهمزة، وبدين على قلبها ياء حين ألقاها، كما يقال قرأت وقريت، وصحيفة مقروءة على تحقيق الهمزة، ومقروّة على تليينها، ومقراةٌ على الطرح والقلب، وقد قرأ جمهورُ القرأةِ: ﴿أرأيت﴾ بالتحقيق وقرأ نافع: ﴿أرايت﴾ بالتليين والجمع بين ساكنين، وقرأ الأعمش: ﴿أرَيْتَ﴾ بالطرح، واختار الكسائي هذا الوجه فقرأ به، وهو معروفٌ في العربيّة، وفيه تفريق بين الخبر والاستخبار. ومن هذه اللّغة قول أبي الأسود الدؤلي[1]:

أرَيْتَ امرءاً كنتُ لم أبْلُهُ ... أتاني فقال اتّخذني خليلاً

وقال آخر:

أريتِ الآمريكِ بِصَرْم حبلي ... مُريهمْ في أحبتهم بذاكِ

وقال آخر[2]:

أريتكَ أن مَنَعْتَ كلامَ ليلى ... أتمنعني علىٰ ليلى البكاءَ

وقال آخر[3]:

أريتَ أن جاءت به أُملودا

(1) ديوان أبي الأسود: ٣٨ ونور القبس: ١٤ ومجاز القرآن ٢، ١١ واللسان (رأى) وفي الديوان مزيد من التخريج.

(2) اللسان (رأى) وفيه: كلام حبّى، وقبله:

فقولا صادقين لزوج حبى ... جعلت لها وإن بخلت فداءَ

(3) اللسان (رأى) وفيه: أقائلنّ وعلق ابن بري عليه فقال: فيه شذوذ وهو لحاق نون التأكيد لاسم الفاعل. وأورد ابن جني الأشطار الثلاثة (الخصائص ١: ١٣٦) وروايته أريتَ إن جئتُ به - بضم التاء من جئت - لأنه على لسان جارية حملت وجحد الرجل الحمل (الخزانة ٤: ٥٧٤).

مـعـــمًـمــا ويلـبـــسُ الــبــرودا
أقـــائـــلـــون أحـضـــروا الشـهــودا

وهذا باب مستقصى في كتبنا المرسومة في علوم القرآن.

[أبو خليفة وطفلة تصبو إلى زين الورى]

حدثنا محمد بن الحسن بن زياد المقري قال: ألقيتْ رقعةٌ إلى أبي خليفةَ الفضل بن الحباب القاضي فيها[1]:

قــل لـلحكـيـم أبـي خـليـفَــهْ — يــا زيـن شيـعـةِ آبي حـنيفـهْ
إنـــي قـــصـــدتـــك لـلـــذي — كـــاتـمتُ مـن حَــذَرٍ وخـيـفـه
مـــاذا تـــقـــول لِـطَفْـلَةٍ — في الجسـرِ منـزلُهـا شــريفـه
تــصــبــو إلـــى زيـــن الـــورى — مــن غـيــر مــأثـمــةٍ عـفـيـفـه

فقلب الرقعة وكتب على ظهرها:

يــا مَــنْ تـكــامــلَ ظَــرْفُــهــا — حــالُ الهــوى حــالٌ شــريفــهْ
إن كـــنــتِ صــادقــةَ الـــذي — كـــاتـمتِ مـن حَـذَرٍ وخـيـفـهِ
فـــلك الـــســعـــادة والـــشـــهـــا — دةُ والــجـلالــةُ يــا شــريـفــه
هـــذا الـــفـــصـــاح بـــعـــيـــنـــه — وبـــه يـــقـــول أبـــو حـنـيـــفـــه

[رقعة تلقى إلى القاضي الأنطاكي وجوابه عنها]

قال أبو بكر النقاش: وأُلقِيَتْ رقعةٌ إلى أبي بكر القاضي أحمد بن موسى الأنطاكي مكتوب فيها:

أيهــا الفـاضــلُ الكثيـرُ العِـدَاتِ — صــانـك الله عن مقــام الـدُّنَـاةِ

---

(1) وردت هذه «المحاورة» الشعرية في معجم الأدباء ١٦: ٢٠٦ وفي الوافي بالوفيات (ترجمة الفضل بن الحباب) وهو جزء لم ينشر بعد.

أيكون القصاصُ من فتكِ لحظٍ من غـزالٍ مُـوَرَّدِ الـوَجَنـاتِ
أم يخافُ العذابَ من هـو صَبٌّ مبتلىً بـالـزفيـر والـحَسَـراتِ
ليس إلا العفـاف والصوم والنسـ ـك لـه زاجـراً عن الشبهـات

فأخذ الرقعة وكتب على ظهرها:

يـا ظـريفَ الصنيـع والآلات وعـظيمَ الأشجـان واللوعـات
إن تكنْ عـاشقـاً فلم تـأت ذنبـاً بـل تـرقيتَ أرْفَع الـدرجـات
فلك الحقُّ واجبـاً إن عـرفـنـا مـن تعـلَّقَـتْـهُ من الـحجـرات
أن أكـونَ الـرسـول جهـراً إليـه إذ تَـنَكَّبْتَ مُـوبِقَ الشـبهـات
ومتى أَقضِ بالقصاصِ على اللحـ ـظ حبيبي أُخْطىءْ طريقَ القُضاةِ

الفتك: بطشُ الإنسان بغيره على وجه المكر والغدر، يدلّ على ذلك ما روي عن النبي ﷺ أنه قال[1]: «الإيمان قَيَّدَ الفتـكَ، لا يفتك مؤمن»، وفيه ثلاث لغـات فَتْك وفُتْك وَفِتْك.

[خبر آخر لذي القرنين]

حدثنا عبيد الله [بن محمد] بن جعفر الأزدي قال، حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا قال، حدثني يعقوب بن إسماعيل قال، أخبرنا حيـان بن موسى قـال، أخبرنا عبد الله بن المبارك قال، أخبرنا رشيد[2] بن سعد قال: حدثنا عمرو بن الحارث عن سعد بن أبي هلال أنه بلغه أن ذا القرنين في بعض مسيره دخل مدينةً فاستكفَّ عليه أهلها ينظرون إلى موكبه: الرجال والنساء والصبيان، وعند بابها شيخٌ على جمل، فمرَّ به ذو القرنين فلم يلتفت الشيخ إليه، فعجب ذو القرنين له. فأرسل إليه فقال: ما شأنك؟ استكفَّ الناسُ ونظروا إلى موكبي،

(١) مسند أحمد ٤: ٩٢ وأوردته بعض كتب الأمثال، انظر الفاخر: ١٩٣، ١٩٤ وفصل المقال: ١٤.

(٢) رشيد. رواية م، وفيما عداها: الوليد.

فما بالك أنت؟ قال: لم يُعْجِبْني ما أنت فيه، إني رأيتُ ملكاً مات في يوم كذا هو ومسكين، ولموتانا موضعٌ يُجْعَلون فيه، فأدخلا جميعاً فأطلعتها بعد أيام وقد تغيرت أكفانهما، ثم أطلعتهما وقد تزايلت لحومهما، ثم رأيتهما وقد تفصلت العظام واختلطت فما أعرفُ المسكينَ من الملك، فما يعجبني ملكك. فلما خرج استخلفه على المدينة.

[هذا الذى تعرف البطحاء وطأته]

حدثني أبو النضر العقيلي قال، حدثنا محمد بن زكريا قال، حدثنا عبد الله بن محمد بن عائشة قال[1]: حدثني أبي أن هشام بن عبد الملك حجَّ في خلافة عبد الملك أو الوليد، فطاف بالبيت وأراد أن يستلم الحجر فلم يقدر عليه من الزحام، فنصب له منبر فجلس عليه، وأطاف به أهل الشام، فبينا هو كذلك إذ أقبل عليّ بن الحسين بن علي عليهم السلام عليه إزار ورداء، أحسن الناس وجهاً، وأطيبهم رائحةً، بين عينيه سَجَّادة كأنها ركبة عير، فجعل يطوفُ بالبيت، فإذا بلغ الحَجَر تنحّى الناسُ حتى يستلمه هيبةً له وإجلالاً. فغاظ ذلك هشاماً، فقال رجل من أهل الشام لهشام: من هذا الذي قد هابه الناسُ هذه الهيبةَ وأفرجوا له عن الحَجَر؟ قال هشام: لا أعرفه، لئلا يرغبَ فيه أهل الشام، فقال الفرزدق وكان حاضراً: لكني أعرفه، فقال الشامي: من هو يا أبا فراس؟ فقال الفرزدق:

هذا الذي تعرفُ البطحاءُ وطأته ... والبيتُ يعرفُهُ والحِلُّ والحَرَمُ
هذا ابنُ خيرِ عبادِ الله كلّهم ... هذا النقيّ التقيُّ الطاهرُ العلم

---

(١) القصة وبعض الشعر في الأغاني ١٥: ٢٦١ - ٢٦٢، ٢١: ٤٠١، قال أبو الفرج، ومن الناس من يروي هذه الأبيات (عدداً من أبياتها) لداود بن سلم في قثم بن العباس. ومنها بيتان يرويان للحزين الكناني أو للمتوكل الليثي (لباب الآداب: ١٠٨). قلت: ومثل هذه القصيدة عرضة للزيادة على مرّ الزمن، ولا يمكن أن يكون الفرزدق قد ارتجل كل هذه الأبيات بحسب ما تذكر القصة، وعلى بعض أبياتها مسحة المدائح النبوية التقليدية.

إذا رأتــه قــريشٌ قــال قــائلهــا إلى مكــارمِ هــذا ينتهي الكــرم
ينمي إلى ذروة العزِّ التي قصرت عن نيلها عَرَبُ الإسلامِ والعجم
يكــاد يُمْسكه عــرفـانَ راحتــه ركنُ الحطيمِ إذا ما جـاء يستلم
يغضي حياءً ويُغْضَى من مهابته ولا يـكـلّم إلا حـيـن يـبـتـسـم
بـكفّـه خيــزرانٌ ريحُـهُ عَـبِقٌ من كفٍّ أروعَ في عـرنينـه شمم
مشتقــةٌ من رســول الله نَبْعَـتُـهُ طـابتْ عنـاصـرُهُ والخِيمُ والشِّيم
ينجابُ نورُ الهدى عن نورِ غرته كالشمس ينجابُ عن إشراقها الظُّلم[1]
حمَّـال أثقالِ أقـوامٍ إذا قُدِحُـوا حلو الشمـائـل تحلو عنــده نعم
هـذا ابنُ فاطمـةٍ إنْ كنتَ جاهلَه بجــدِّه أنبيـاءُ اللَّهِ قــد ختمــوا
اللَّهُ فَـضَّـلَهُ قِـدْمـاً وَشَــرَّفَـه جرى بذاكَ لـه في لَوْحِـهِ القلم
مَنْ جَدُّهُ دانٍ فضـلُ الأنبيـاءِ لـه وفضــلُ أمتــه دانـتْ لــه الأمم
عمَّ البريةَ بـالإحسانِ فـانقشعت عنهـا الغيايـة والإمـلاقُ والـظلم
ىىـا يـديـه غيـاثٌ عمَّ نفعهمـا يستـوكفانِ ولا يعـروهمـا العـدم
سهـلُ الخليقةِ لا تُخشى بـوادره يــزينُـهُ اثنتــان الحلم والكــرم
لا يُخْلِفُ الـوعـدَ ميمـونٌ نقيبته رحبُ الفِنــاءِ أريبٌ حينَ يعتـزم
من معشـرٍ حُبُّهُمْ دينٌ وبغضهـمُ كفــرٌ وقــربهمُ مَنْجىً وَمُعْتَـصَم
يُسْتَـدْفَـعُ السوءُ والبلوى بحبهم ويستــرقُّ بــه الإحســان والنعم
مُقَــدَّمٌ بعــد ذكــرِ الله ذكــرهمُ في كـلِّ يومٍ ومختـومٌ بـه الكلم
إن عُـدَّ أهلُ التقى كـانوا أئمتهم أو قيل مَنْ خيرُأهلِ الأرض قيل هُمُ
لا يستـطيـعِ جـوادٌ بُعْدَ غـايتهم ولا يــدانيهمُ قـومٌ وإنْ كــرمـوا
هم الغيـوثُ إذا مـا أزمـةٌ أَزَمَتْ والأُسْدُ أُسْدُ الشَّرى والبأسُ محْتَدِمُ
يأبى لهم أن يحلَّ الذمُّ ساحتَهم خِيمٌ كـريمٌ وأيـدٍ بـالنَّـدى هُضُم
لا يُنقِصُ العُسْرُ بسطاً من أكفهمُ سيان ذلك إن أثْـروا وإن عدمـوا

---

(١) م: القتم.

أيّ الخـلائـق ليست في رقابهم لأوليـة هـذا أو لـه نعـم
من يعـرفِ الله يعـرفْ أوّليَّــةَ ذا فالدّين من بيت هذا ناله الأمم[1]

قال[2]: فغضب هشام وأمر بحبس الفرزدق، فحبس بعسفان بين مكة والمدينة. فبلغ ذلك عليَّ بن الحسين عليهم السلام، فبعث إلى الفرزدق اثني عشر ألف درهم وقال: اعذر أبا فراس، ولو كان عندنا أكثر منها لوصلناك بها. فردَّها وقال: يا ابنَ رسولِ الله. ما قلتُ الذي قلت إلا غضباً لله ولرسوله، ما كنت لأرزأ عليه شيئاً. فردَّها إليه وقال: بحقّي عليكَ لَمَا قبلتها، فقد رأى الله مكـانك وعلم نيتك، فقبلها، فجعل يهجو هشاماً، فكان مما هجاه به:

أيحبسني بين المـديـنــةِ والتـي إليهـا قلوبُ الناس يهـوي منيبها
يقلِّبُ رأسـاً لم يكن رأسَ سيـد وعينين حـولاويـن بـادٍ عيــوبهـا

فبعث وأخرجه.

---

(١) زاد في هامش م بعد هذا قوله:
فلا يغر بني العباس ملكهم بنو عليّ ...
فأين من يقرأ القرآن عندهم .....
وهما يفضحان «النحل» المتزايد في هذه القصيدة. ألا ترى أن مبدأ الحكاية كان في زمن بني أمية، ثم ها هو الوضّاع «النبيه» يتحدث عن بني العباس.
(٢) تتمة القصة والشعر في الأغانى ٢١: ٤٠٢.

المجلس الحادي والتسعون

[وفد ثقيف إلى الرسول]

حدثنا إسماعيل بن يونس بن يس أبو إسحاق قال، حدثنا إسحاق بن إسرائيل قال، حدثنا مسعدة البصري عن خصيب بن جحدر عن النضر بن شُفَيّ عن أبي أسماء الرحبيّ عن ثوبان قال: قدم وفدُ ثقيف على رسول الله ﷺ في هيئة أهل الكتاب طويلةً أشعارُهم وشواربهم وأظفارهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «امكثوا وتعلَّموا القرآن، وَخُذُوا من أشعاركم وشواربكم وأظافركم»، فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا، فاستعرضهم رسول الله ﷺ، فوجد عثمان بن أبي العاص أطهرهم ثياباً وأكثرهم قرآناً قد فَضَلَهم بسورة البقرة، فأمَّره عليهم، فقال: إذا صَلَّيْتَ بقومك فصلِّ بأضعفهم فإنَّ خلفك الكبير والسقيم وذا الحاجة ولا يتخذون مؤذناً يطلب على أذانه الأجرة.

[تعليق على الحديث]

قال القاضي: في هذا الخبر أوضحَ دليلٍ على أنَّ رسول الله ﷺ كان يُؤْثِرُ التنظفَ وإماطةَ الأذى عن الجسد، ويكرهُ القذارة[1] التي هي من هيئات أهل الجفاء ومفارقة ما يؤثره ذوو الأدبِ والمروءة. وقد أتى عنه عليه السلام في هذا المعنى وما أشبهه أخبار كثيرة، وذلك أكثر وأوضح وأظهر من أن يحتاج إلى استقصاءِ ما ورد فيه لاشتراك الخاصة والعامة في معرفته، واستحسان تفصيله

(١) خ بهامش م: البذاذة.

وجملته. وفيه أيضاً الدلالة البيّنة على فضل أهلِ القرآن وحَفَظَته وحَمَلَته، وأنّ مَنْ جَمَعَهُ أوفرهم حظاً وأشرفُهُمْ منزلةً وأعلاهُمْ رتبةً وأولاهم بالتقدمة وأحقُّهم بالتأمر[1] عليهم. وما روي في هذا المعنى أكثر من أن يحيطَ الآدميون به، ولو لم يأتِ فيه إلا ما تواترت الأخبار به من قول النبي ﷺ[2]: «أهل القرآن أهل الله وخاصته»، وقوله[3]: «خيركم من تعلّم القرآن وعلمه». وفي بعض الروايات: أفضلكم. وكان رسول الله ﷺ يقدِّمُ الأقرأ فالأقرأ لكتاب الله من أصحابه. وروي أنه قال في من استشهد منهم يوم أحد[4]: «زمّلوهم بدمائهم ولا تغسلوهم، وادفنوا الاثنين والثلاثة في قبر واحدٍ، وقدِّموا إلى القبلة أكثرهم قرآناً».

[مقالة أعشى همدان في أهل البصرة والكوفة]

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال، حدثنا العكلي قال، حدثنا سعيد بن يحيى الأموي قال، حدثني عمي عبيد بن سعيد عن مجالد عن الشعبي قال[5]: قدمتُ البصرة فجلستُ في حلقةٍ فيها الأحنفُ بن قيس، فقال لي رجل من أهل الحلقة: ممن أنت؟ قلت: من أهل الكوفة، فالتفت إلى جليسه فقال: هذا مولانا، فقلت له: أتدرون ما قال أعشى همدان فينا وفيكم؟ قال: وما قال؟ قلت:

وإذا فاخرتمونا فاذكروا ... ما فعلناه بكمْ يومَ الجملْ
بين شيخٍ خاضبٍ عثنونَهُ ... وفتىً أبيضَ وضاحٍ رِفَلْ
جاءنا يهدرُ في سابغةٍ ... قد ذبحناه ضحىً ذَبْحَ الحَمَلْ

(١) خ بهامش م: بالتأمير.
(٢) الجامع الصغير ١: ١١٠.
(٣) الجامع الصغير ٢: ١٢ وهو في البخاري والترمذي.
(٤) الجامع الصغير ٢: ٢٨.
(٥) القصة والشعر في الأغاني ٥: ٥٤ وانظر ديوان أعشى همدان (مع ديوان أعشى قيس): ٣٣٧.

وعفونا فنسيتم عفونا ... وكفرتم نعمةَ الله الأجل
وقتلتم خشبيِّين بهم ... بدلٌ من قومكم شرّ بدل

قال[1]: فغضب الأحنف وقال لجاريته: هاتي تلك الصحيفة، فإذا فيها من المختار بن أبي عبيد إلى الأحنفِ بن قيس وَمَنْ قِبلَهُ من مضر: أما بعد فويل لمضر، من شرٍّ أمرٍ قد حضر، وإن الأحنفَ موردٌ قومَه حرَّ سقر، حيث لا يقدر لهم على صَدَر، ولقد بلغني أنكم تكذّبون رسلي، ولئن فعلتم لقد كُذِّبت الرسلُ من قبلي، وكتبت بخبر من كُذِّبَ منهم، والسلام. قال الأحنف: هذا منا أو منكم؟ قال: فقمتُ وما أُحير جواباً.

[دفن الرشيد محمد بن الحسن والكسائي بالريّ]

حدثني أبو النضر العقيلي قال، أخبرني أبو الحسن ابن راهويه الكاتب قال[2]: حُدِّثْتُ أن محمد بن الحسن وعلي بن حمزة الكسائي كانا بالري مع الرشيد، وأنهما ماتا في يوم واحدٍ بقرية من قرى الريِّ يقال لها الرّنبويه[3]، فجزع الرشيد عليهما وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، دفنتُ الفقهَ واللغةَ في يومٍ واحد، وكان اليزيدي[4] حاضراً فأنشأ يقول:

تَصَرَّمتِ الدنيا فليس خلودُ ... وما قد يُرَى من بهجةٍ سيبيدُ
أسِيتُ على قاضي القضاة محمدٍ ... فأذريتُ دمعاً والفؤادُ عميد
وقلتُ إذا ما الخطبُ أشكل من لنا ... بإيضاحه يوماً وأنت فقيد
فأوجعني موت الكسائي بعده ... وكادت بيَ الأرض الفضاءُ تميد
هما عالمان أوديا وَتُخُرِّما ... وما لهما في العالمين نديد

---

(١) نهاية القصة مختلفة هنا عما ورد في الأغاني، إذ جاء في رواية الاغاني: فضحك الأحنف ثم قال: يا أهل البصرة قد فخر عليكم الشعبي وصدق وانتصف فأحسنوا مجالسته.
(٢) انظر إنباه الرواة ٢: ٢٦٨.
(٣) تصحفت هذه اللفظة في معظم النسخ إلى «الزيتونة» وفي نسخة رنبويه بغير (أل).
(٤) يعني يحيى بن المبارك اليزيدي.

قال الرشيد: أحسنتَ يا بصريّ، قد كنت تظلمه في حياته وأنصفته بعد موته.

[شروح لغوية]

قال القاضي: قوله: «أوديا» معناه هلكا، كما قال الأعشى[1]:

ولم يُـودِ مَنْ كنتَ تـسعـى لـه   كمـا قيل في الحرب أَوْدَى دَرِمْ[2]

ومعنى «وتخرما» مثله، فهو الهلاك وانقطاع الأجل وتصرم العمر، كما قال أبو ذؤيب الهذلي[3]:

سبقـوا هَـوَيَّ وأَعنقـوا لسبيلهم   فَتُخُـرِّمـوا ولكـلِّ جنبٍ مصـرعُ

ويروى: ففقدتهم. وقال: «هَوَيَّ» وهي فيما قيل لغة هديل يجعلونها بمنزلة عَلَيَّ وإلَيَّ، وذكر أنها لغة بعض بني سُلَيم، وقد قرأت القرأة بهاتين اللغتين في القرآن. فأما جمهور القرأة فيقرأون بلغة أهل الحجاز وعامة العرب، وقد رويت القراءة الأخرى عن أبي طفيل عامر بن واثلة وعبد الله بن إسحاق الحضرميّ وعاصم الجحدري وعيسى بن عمر الثقفي، ورفع بعضهم ما روي عن أبي الطفيل إلى النبي ﷺ. ومن هذه اللغة قول الشاعر[4]:

فـأَبْـلُونـي بـلـيَّـتـكـم لـعـلّـي   أصـالحكـم واسـتـدرج نَـوَيّـا

يريد: نواي.

وقال آخر[5]:

يـطوِّفُ بـي عـكـبٌ في مـعـدٍّ   ويـطعنُ بـالصُّـمُلَّةِ فـي قَفَـيَّـا

---

(١) ديوان الأعشى: ٣١.

(٢) درم: اسم شخص شيباني قتل ولم يؤخذ بثأره، ولذلك قيل: أودى درم فصار مثلاً.

(٣) شرح ديوان الهذليين ١: ٧.

(٤) هو أبو دواد كما في الخصائص ١: ١٧٦، ٢: ٣٤١، ٤٢٤.

(٥) نسبهما في اللسان (عكب) للمنخل اليشكري، وعكب اسم رجل تولى عقوبة المنخل بأمر من النعمان، وانظر الخصائص ١: ١٧٧، والصملّة: العصا.

فــإنْ لم تثأرا لـي من معــدٍّ[1] فــلا أُرويتمــا أبــداً صَــدَيّــا

أراد: قفـاي وصـداي. وذكـر أن طلحـة قـال وقـد ذكـر لـه بيعتـه أميـر المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: بايعتُ واللجُّ على قَفَيَّ. اللج: السيف، وقيل إن طلحة تزوج امرأة هندية فتكلَّم بلغتها. وقد اختلف البصريون والكوفيون من النحاة في علة الفرق بين عَليَّ وإليَّ ولديَّ وبين هواي وقفاي وعصاي، وبيان هذا واستقصاء ما فيه مرسوم في كتبنا المؤلفة في القرآن. وقول اليزيدي «وما لهما في العالمين نديد»: النديد: النِدّ ومنه قول لبيد[2].

أحــمــدُ الله فــلا نــدَّ لــه بيــديــه الخيــرُ مــا شــاء فَعَــلْ

والندّ والنديد فيه لغات: ندّ ونديد ونديدة. فمن الند والنديد قول جرير يهجو عمر بن لجأ[3]:

أتيـتـم تـجـعـلونَ إلــيَّ نــدّاً ومــا تيمٌ بــذي حَسَبٍ نـديـدِ

وأما النديدة فإن الهاء ألحقت فيه للمبالغة، كقـولهم في المدح راويـة وعلامة ونسابة، وفي الذمّ هلباجة وفَرُوقَة وَمَلولة. وزعم الفراء أن الهاءَ أُدْخِلت في هذا يراد بها أن الممدوح بمنزلة الداهية والمذموم بمنزلة البهيمـة. ومن النديدة قول الشاعر[4]:

لئلاّ يكـونَ السنـدريُّ نـديـدتي وأتـركَ أعمـامـاً عمـومـاً عماعما

ويجمع الند أنداداً، قال الله عز وجل ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً﴾ [البقرة: ٣١] ومنه قول الأعشى[5]:

---

(١) الأصوب «من عكب» كما جاء في المصادر.

(٢) شرح ديوان لبيد، ١٧٤.

(٣) شعر عمر بن لجأ: ٥٧.

(٤) هو لبيد بن ربيعة، انظر ديوانه: ٢٨٦.

(٥) ديوان الأعشى: ٥٢ يتحدث عن سباء الخمر، فقد بذل فيها ناقة أدماء، فقال له التاجر، لا بل تزيدونني تسعة دراهم، وأمثالها (= أندادها) أغلى من ذلك.

فقال تزيدونني تسعةً وليس بكفؤٍ لأندادِها

وزعم بعض أهل اللغة أنه يقال للضد ندّ أيضاً وأنّه من حروف الأضداد.

[منازعات اللغويين في مجلس المهدي]

وقد كانت تجري بين الكسائي واليزيدي منازعةٌ وهفوات، ومماراة وخصومات، عند الملاحاة في اللغة، والمجادلة في مقاييس النّحو وأبواب العربيّة، وما منهما إلّا متقدم وَعَلَمٌ مبرز في معرفته، ذو حظٍّ عظيم من علم القرآن وإعرابه، وجملة النّحوِ وأبوابه، رحمة الله علينا وعليهما وبركاته. فممَّا دار بينهما من الخصومة واللحاء، والمنازعة والمراء، ما حدّثنيه عبيد الله بن أحمد الكاتب أحد إخواننا قال: حدثنا أبو عبد الله محمّد بن العباس اليزيدي قال، حدّثني عمّي عبيد الله بن محمد قال: حدثني أخي أحمد بن محمد قال: أخبرني أبي محمّد بن أبي محمّد قال: أخبرني أبو محمد أبي قال:(١) كنّا مع المهديّ ببلد(٢) في شهر رمضان قبل أن يُستخلف بأربعة أشهر، وكان الكسائي معنا، فذكر المهدي العربيّةَ وعنده شيبة بن الوليد العبسيّ عمُّ دفافة، فقال المهدي: يُبعث إلى اليزيدي وإلى الكسائي، وأنا يومئذ مع يزيد بن منصور خالِ المهدي، والكسائي مع الحسن الحاجب، قال: فجاءنا الرسول فجئت، وإذا الكسائيُّ على الباب، فقال لي: يا أبا محمّد أعوذُ بالله من شرّك، قال فقلت له: والله لا تُؤْتَى من قبلي حتّى أُوتى من قبلك، قال: فلمّا دخلنا عليه أقبل عليَّ فقال: كيف نسبوا إلى البحرين بحراني [ونسبوا] إلى الحصنين فقالوا: حصني ولم يقولوا حصناني كما قالوا بحراني؟ قال، قلت: أصلح الله الأمير، إنّهم لو نسبوا إلى البحرين فقالوا بحريّ لم يُعرف إلى البحرين نسبوه أم إلى البحر، ولما جاءوا إلى الحصنين لم يكن موضع آخر يقال له الحصن

(١) مجالس العلماء: ٢٨٨ ـ ٢٩٣ وأمالي الزجاجي: ٤٠ والأغاني ٢٠: ١٨٨.

(٢) بلد: مدينة فوق الموصل.

ينسب إليه غير الحصنين فقالوا: حصني. قال أبو محمّد: فسمعتُ الكسائي يقولُ لعمر بن بزيع، وكان حاضراً: لو سألني الأمير لأخبرته بعلّةٍ هي أحسنُ من هذه. قال أبو محمّد فقلت: أصلح الله الأمير إن هذا يزعم أنّك لو سألته لأجاب بأحسن ممّا أجبتُ [به]. قال: فقد سألته، فقال الكسائي: إنّهم لمّا نسبوا إلى الحصنين كانت فيه نونان، فقالوا حصنيّ فاجتزءوا بإحدى النونين عن الأخرى، ولم يكن في البحرين إلّا نون واحدة فقيل بحراني، فقلت: أصلح الله الأمير كيف ينسب رجلاً من بني جنان؟ يلزمه أن يقول جنّي لأن في جنّان نونين، فإن قال ذلك فقد سوّى بينه وبين المنسوب إلى الجنّ. قال المهدي: فتناظرا [في غير هذا]، قال: فتناظرنا في مسائل حُفِظَ قولي وقولُهُ فيها، قال: إلى أن قلت: كيف تقول إن من خير القوم أو خيرُهم بتةً[1] زيدٌ، قال: فأطال الفكر لا يجيبُ بشيءٍ قال: فقلت: أعزّ الله الأمير لأن يجيبَ فيخطىءَ فيتعلّم أحسنُ من هذه الإطالة، قال فقال: إن من خير القوم أو خيرهم نية زيداً، قال: فقلت: أصلح الله الأمير ما رضي أن يلحن حتّى لحن وأحال، قال: كيف؟ قال قلت: لرفعه قبل أن يأتي بالاسم ونصبه بعد رفعه، قال: فقال شيبة بن الوليد: أراد بأو بل، قال: فقلت: هذا تعني، فقال الكسائي: ما أردت غيرَ ذلك، قال فقلت: قد أخطآ جميعاً أيّها الأمير، لو أراد بأوْ بَل لرفع زيداً لأنّه لا يكون بل خيرُهم زيداً. قال فقال له المهديّ: يا كسائي لقد دخلتَ إليَّ مع سلمة النحوي وغيره فما رأيت كما أصابك اليوم. ثمّ قال المهدي: هذان عالمان ولا يَقْضي بينهما إلّا أعرابيٌّ فصيح تُلْقَى عليه المسائل التي اختلفا فيها فيجيب. قال: فبعث إلى فصيح من فصحاءِ الأعراب. قال أبو محمّد: فإلى أن يأتي الأعرابي أطرقت، وكان المهديّ محبّاً لأخواله، ومنصور بن يزيد بن منصور خاله حاضراً. قال فقلت: أصلح الله الأمير كيف يُنْشِدُ هذا البيت من هذه القصيدة:

---

(١) م والأغاني: نية.

يا أيّها السائلي لأُخبرَهُ عمن بصنعاءَ من ذوي الحَسَبِ
حِمْيَرُ ساداتها تُقِرُّ لها بالفضل طرّاً جحاجحُ العربِ
وإنّ من خيرهم وأكرمهم أو خيرهم بتةً أبو كَرِبِ

فقال المهدي: كيف تنشد أنت؟ قال فقلتُ: أو خيرَهم بتةً أبو كرب على معنى إعادة «إنَّ». قال فقال الكسائي: هو قالها السّاعة أصلح الله الأمير. قال: فتبسَّم المهدي وقال إنّك لتجيد[1] له وما تدري. قال: ثم طلع الأعرابي الّذي بُعِثَ إليه فألقيت المسائل عليه، وكانت ستُّ مسائل، فأجاب عنها كلّها بقولي. قال: فاستفزّني السّرور حتّى ضربت بقلنسوتي الأرض وقلت: أنا أبو محمّد. قال فقال شيبة بن الوليد: تكنّى باسمكَ أيّها الأمير!! فقال المهدي: والله ما أراد مكروهاً ولكنه فعل ما فعل للظفر، ولعمري لقد ظفر. قال فقلت: إن الله عز وجل أنطقك أيها الأمير بما أنت أهله، وأنطق غيرك بما هو أهله. قال: فلمّا خرجنا قال لي شيبة: تخطّئني بين يدي الأمير؟! أما لتعلمنّ. قال فقلت: قد سمعتُ ما قلتَ وأرجو أن تجدَ غبّها. قال: ثم لم أصبح حتّى كتبتُ رقاعاً عدّة، فلم أدع ديواناً حتّى دسستُ إليه رقعةً فيها أبيات قلتها، فأصبح النّاس ينشدونها وهي:

عش بجدٍّ ولا يضرّك نوكٌ إنّما عيش مَنْ تَرَى بالجدودِ
عش بجدّ وكن هبنّقةَ القيسيَّ نوكاً أو شيبةَ بن الوليد
شيبَ يا شيبَ يا جُدَيَّ بني القعقاع ما أنت بالحليم الرشيد
لا ولا فيك خُلَّةٌ من خلال الـ ـخير أحرزتها بحزمٍ وجود
غير ما أنّك المجيد لتقطيع غناءٍ أو ضَرْبِ دَفٍّ وعود
فعلى ذا وذاك يُحْتَمَلُ الدهرُ مجيداً له وغيرَ مجيد

قال أبو عبد الله، وحدّثني عمّي عبيد الله قال، حدّثني أبو جعفر أخي

(١) الأغاني: لتشهد، وفي بعض أصوله: لتجيد، لتجيز.

قال، حدّثني أبو محمّد قال: كانت تحتبس أرزاق الكسائي فيصير إليّ فيقول لي: اكتب لي رقعةً إلى جعفر بن يحيى فأكتب له.

قال القاضي: وقد أحسن اليزيدي فيما أجاب به، وألْطَفَ في نظره وقياسه، وأتى فيما بينه وبين الكسائي من الجفاء بما كان الأَوْلَى به خلافه، وما كان عليه لو حابَى الكسائيَّ وأغضى له، فقد كان يعرفُ فضله وتمكُّنَه من العلم وَنُبْلَهُ. والمسألة الّتي سأله عنها بحضرة المهدي لطيفةٌ، وتعرِضُ كثيراً في أمثالها الشبهة، وقد سأله عنها واستبطأه في جوابها وأنَّبه على تأخيره الجواب عنها، وما أرى اليزيدي حصَّل جوابها عند ابتداءِ وقوعها إليه على البدار والبديهة حتّى أنعم فيها نظره وأُعمل فيها فكره. وقد كنت أمللتُ في هذه المسألة كلاماً، وشرحت ما استدلَّ به اليزيدي فيها والوجهَ الّذي تعلّق به الكسائي في إجابته عنها، كرهتُ إعادته والإطالة هاهنا بذكره.

[الأصمعي والجارية]

حدّثنا الحسين بن القاسم الكوكبي قال، حدّثنا محمد بن القاسم بن خلّاد قال، قال الأصمعي[1]: دخلت على جعفر بن يحيى بن خالد يوماً من الأيّام فقال لي: يا أصمعي هل لك من زوجةٍ؟ قلت: لا، قال: فجارية؟ قلت: جارية للمهنة، قال: فهل لك أن أهبَ لك جاريةً نظيفة؟ قلت: إني لمحتاجٌ إلى ذلك، فأمر بإخراج جاريةٍ إلى مجلسه، فخرجت جاريةٌ في غاية الحسن والجمال والهيئة والظَّرْف، فقال لها: قد وهبتُكِ لهذا. وقال لي: يا أصمعي خذها، فشكرته؛ وبكت الجاريةُ وقالت: يا سيّدي تدفعني إلى هذا الشيخ مع ما أرى من سماجته وقبح منظره؟! وجزعتْ جزعاً شديداً، فقال: يا أصمعي: هل لك أن أعوِّضَكَ منها ألف دينار؟ قلت: ما أكره ذلك. فأمر لي بألف دينار ودخلت الجارية، فقال لي: يا أصمعي إني أنكرت على هذه الجارية

(١) قد مرّت هذه الحكاية في الجليس الصالح (المجلس التاسع والعشرون) ٢: ٦١ ـ ٦٢.

أمراً فأردت عقوبتها بك، ثم رحمتُها منك. فقلت: أيّها الأمير فألا أعلمتني قبل ذلك؟ فأني لم آتِكَ حتّى سرَّحت لحيتي وأُصلحتُ عمّتي، ولو عرفتُ الخبر لحضرتُ على هيئة خلقتي، فوالله لو رأتني كذلك لما عاودتْ شيئاً تكرهه منها أبداً ما بَقِيَتْ.

[النساء تمقت بحشلاً لدمامته وجهامة صورته]

حدثني الحسن بن محمّد بن إسحاق أحد إخواننا عن بحشل[1] القارىء، وكان مشهوراً بحسن الصوت ينتابه الناس لاستماع قراءته وعذوبة تلاوته، قال: كان بحشَل مشنوءَ الخلقة شتيم[2] الوجه جهم الصورة، وكان يريد النكاحَ، فإذا خطب النساء رُدَّ ولم يُرَدْ لبشاعة منظره، وإذا شرع في ابتياع الإماء أَبَيْنَهُ ونبون عنه، والتوين عليه، ورغبن عن مخالطته. فشكا إلى صديق له يأنس به ما يلقى من مضض التعزُّبِ وتعذّر المباعلة، ويقاسي من شدّةِ الشَّبق وفَقْدِ المباضعة ونفور النساءِ عنه لسماجة الخلقة، فقال له: أنا أسعى لك في هذا بما يُؤدّي إلى محبتك. ومضى إلى سوق الرقيق فابتاع جاريةً حلوة مقبولة وصار بها في آخر النهار إلى منزل بحشل، فلمّا استقرّا في منزله أحضر الطعام واجتمعا على العشاء ثم وثب الرَّجل فودَّع بحشلاً وخلَّف الجارية عنده فتعلقت بثوبه وقالت: إلى أين تمضي وتخلّفني؟ فقال: أمضي إلى منزلي وأنتِ عند مولاك. قالت: ومَن مولاي؟ فقال: هذا، فصرخت وقالت: ظننتُ أنك مولاي، وأما هذا فلو أُرغبت أو أُرهبت بكلِّ شيء ما خاليته في منزلٍ. فلم يزل الرجل يديرها ويلويها، ويستعطفها ويداريها، ويبذل لها فاخرَ الكساءِ ونفيسَ الحُلى والإخدام، والتكرمة والاعظام، وهي مصرَّةٌ على نفورها، مقيمةٌ على إبائها. فلمّا يئس من

---

(١) أبو عبيد الله أحمد بن عبد الرحمن بن وهب الحافظ المصري المعروف ببحشل، توفي سنة ٢٦٤. انظر ترجمته في الوافي ٧: ٤٧ وطبقات السبكي ٢: ٢٦ وسير أعلام النبلاء ١٢: ٣١٧ وفي هذا الأخير مزيد من التخريج.

(٢) شتيم الوجه: كريهه.

قبولها قال لها: فإني مباكرٌ إلى هاهنا وحاملك إلى السّوق للبيع. قالت: فأين أبيت؟ قال: هاهنا، قالت: لا أفعل، قال: فإنّا ندخلك بيتاً تبيتين فيه ونقفله عليك، قالت: على أن يكون مفتاحه معي. ففعل ذلك وانصرف الرجل، وقام بحشل وقت وِرْدِهِ من الليل لصلاته، ورفع بالقراءة صوته، فطربت إليه وشُغفت به، ووقع في قلبها حبّه، فجعلت تناديه: يا مولاي، يا مولاي، خذ المفتاح وافتح الباب وأخرجني إليك أو آدخلْ إليّ فأنا طوعُ يديك. فلم يلتفت إليها حتّى قضى صلاته، ثم فتح الباب فجعلت تعتذر إليه وقبّلت يديه ورجليه واستولدها.

قال القاضي: وقد روينا خبراً يُضارع هذا من وجهٍ بعض المضارعة وأخّرنا إثباته لئلاّ يطولَ المجلسُ به ويتجاوزَ حدّه، ونحن راسموه في المجلس الّذي يليه إن شاء الله.

المجلس الثاني والتسعون

[حديث: لا تحاسدوا ولا تباغضوا]

حدثنا عثمان بن إسماعيل بن بكر السكّري سنة تسع عشرة وثلاثمائة قال، حدثنا يعيش بن الجهم الحدثي قال، حدثنا أبو يحيى الحماني عن عبيد الله بن عمر عن الزهري عن أنس بن مالك قال، قال رسول الله ﷺ[1]: «لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحلّ لمسلمٍ أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام يلقاه هذا فيعرض، ويلقاه هذا فيعرض عنه، فأيهما بدأ بالتسليم سبق إلى الجنة».

قال القاضي: قد جاء عن النبي ﷺ بمثل هذا وبما في معناه أخبارٌ كثيرة من طرقٍ شتّى، وإسناد هذا الخبر غريب لم نسمعه إلا من هذا الشيخ، وحفّاظ الحديث لا يعرفونه إلا من روايته، وفيه حثّ من النبي ﷺ على التواصل والتبارّ والتباذل وحسم أسباب العداوة وتشتيت الألفة وتشعيث المودة بالحسد والتقاطع والتدابر والتمانع والمصارمة والتنازع.

---

(١) حديث أنس بطرقه المختلفة في صحيح مسلم ٤: ١٩٨٣ - ١٩٨٤ ومسند أحمد ٣: ١١٠، ١٩٩، ٢٠٩، ٢٧٧ (ببعض اختلاف).

[نصيحة لقمان لابنه]

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال، أخبرنا أبو عثمان الأشناندانى قال، حدثنا التوّزي قال، حدثني أبو عبيدة قال: حُدِّثْتُ أن لقمان قال لابنه: يا بنيّ عليك بخلالٍ إن تمسكت بهنّ لم تزل سيداً: آبسط حلمَكَ للغريب والقريب، وأمْسِكْ جهلك عن الكريم واللئيم، واحفظ إخوانَكَ، وصِلْ أقاربك، وليكن خلانك من إذا فارقتهم وفارقوك لم تبعهم ولم يبيعوك؛ وخصلتان يزينانك: اعلم أنه لا يطأ بساطك إلا راغب فيك أو راهب منك. فأما الراهب منك فأدن مجلسه، وتهلل في وجهه، وإياك والغمزَ من ورائه. وأما الراغبُ فيك فابذلْ له البشاشة وآبدأه بالنوال قبل السؤال، فإنك متى تلجئه إلى مسألتك تأخذْ من حُرِّ وجهِهِ ضعفي ما تعطيه.

[الفرزدق يمدح عمرو بن عتبة]

حدثنا الحسن بن القاسم الكوكبي قال، حدثنا محمد بن يزيد قال، أخبرنا المازني عن أبي عبيدة قال: دخل الفرزدق على عمرو بن عتبة في داره بالزاوية وهو يسلتُ العرقَ عن وجهه، فأنشده:

لولا ابنُ عتبةَ عمرو والرجاءُ له ... ما كانت البصرةُ الحمقاءُ لي وطنا
أعطانيَ المالَ حتى قلتُ يودعني ... أو قلتُ أودَعُ مالاً قد رآه لنا
فجودُهُ متعبٌ شكري ومنَّته ... فكلّما زدتُ شكراً زادني مننا
يرى بهمته أقصى مسافتها ... ولا يريد على معروفه ثمنا

قال: فقال عمرو بن عتبة: يا أبا فراس نحن نبتاعُ منك حماقةَ بصرتنا بألف دينار، وأمر له بها.

[من كان على شرط جالوت]

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري قال، حدثني محمد بن المرزبان قال، حدثنا الصلت بن مسروق الكوفي قال، حدثني أبي قال، قال رجل لأبي

حنيفة: ما بقي عليٌّ من العلم شيء، فقال له: من كان على شُرَطِ جالوتَ يوم لقي طالوت؟ قال: لا أدري، قال: فهذا شيء من العلم قد بقي عليك.

[تأبين ابن الحنفية لأخيه الحسن]

حدثنا أحمد بن العباس العسكري قال، حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال، حدثني حمزة بن القاسم بن حمزة بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام قال، حدثنا محمد بن علي بن عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام عن أبيه عن [جده عن] عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام قال[1]: لما قبض الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام وقف على قبره أخوه محمد بن علي فقال: يرحمك الله أبا محمد، فلئن عزَّتْ حياتُكَ لقد هَدَّتْ وفاتك، ولنعم الروح روح تضمَّنهُ بدنك، ولنعم البدن بدن تضمّنه كفنك، وكيف لا تكون هكذا وأنت سليلُ الهدى، وحليفُ أهل التقى، وخامس أصحابِ الكسا، غذتك كفُّ الحقّ، وربيتَ في حِجْرِ الإسلام، ورضعتَ ثديَ الإيمان، فطبتَ حيّاً وميتاً، وإن كانت أنفسنا غيرَ طيبةٍ بفراقك ولا نشكّ في الخيرة لك، يرحمك الله. ثم انصرف عن قبره.

[بَازِلُ عامين]

حدثنا محمد بن يحيى الصولي قال، حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب[2] قال: قال لي الرياشي يوماً: كيف تُنْشِدُ هذا[3]:

مـا تنقمُ الحـربُ العَـوانُ منّي بـازِلُ عـامينِ حـديثٌ سنّي

فقلت له: بازلُ عامين على الابتداء، وبازلَ عامين على الحال، وبازلِ

(١) مصورة ابن عساكر ٤: ٥٥٢.
(٢) مجالس العلماء: ٥٨ وإنباه الرواة ٢: ٣٧١ ومعجم الأدباء: ٥: ١١٠.
(٣) اللسان (نقم. عون. بزل) لأبي جهل ابن هشام.

عامين على البدل من الياء، والله يا أبا الفضل ما آتيك إلا لهذه المقطَّعات، قال أبو العباس: وكانت قطعه والله عسلا.

قال القاضي رحمه الله: وقد حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر بهذه القصة على خلاف هذا الوجه، فحكى أن أحمد بن يحيى قال: كنتُ عند ابن الأعرابي فسألني: كيف تنشد «بازل عامين»، فذكر أنه أخبر بهذه الأوجه الثلاثة، قال: فكأنه لم يرضَ ما قلت فقلت له: إياك أن تكلّمني في النحو فإنما آتيك لهذه الخرافات.

قال القاضي: ومما حكاه الصولي أن أحمد بن يحيى قال: «على البدل» وليس هذا من ألفاظ الكوفيين، وإنما يقولون في هذا النحو وما جرى مجراه أنه ترجمة وإتباع وردّ وتكرير، وإن كان أحمد بن يحيى لَفَظَ بالبدل فلعله قصد خطابَ الرياشي بما يعرفه من قول أصحابه البصريين.

[الاسكندر يمرّ على مدينة ملكها سبعة وبادوا]

حدثنا عبيد الله بن محمد بن جعفر قال، حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا قال، حدثني الحارث بن محمد التميمي عن شيخ من قريش قال: مرَّ الإسكندر بمدينةٍ قد ملكها أملاكٌ سبعة وبادوا، فقال: هل بقي من نَسْلِ الأملاكِ الذين ملكوا هذه المدينة أحد؟ قالوا: نعم، رجل يكونُ في المقابر. فدعا به فقال: ما دعاك إلى لزوم المقابر؟ قال: أردت أن أعزلَ عظامَ الملوك عن عظام عبيدهم فوجدتُ عظامهم وعظامَ عبيدهم سواء. قال له: فهل لك أن تتبعني فاحيي بك شرف آبائك إن كانت لك همة؟ قال: إن همَّتي عظيمةٌ إنْ كانت بُغْيتي عندك، قال: وما تبغي؟ قال: حياةٌ لا موتَ فيها، وشبابٌ ليس معه هرم، وغنىً لا فقر بعده، وسرور بغير مكروه، قال: لا، قال: فامضِ لشأنك ودعني أطلب ذلك ممن هو عنده ويملكه. قال الإسكندر: هذا أحكم من رأيت.

قال القاضي: وكنا رسمنا في المجلس الذي قبل هذا خبرين أحببت أن

أصلهما بخبر ثالث يضاهيهما من بعض وجوههما وكرهتُ إطالة المجلس بذكره، ووعدت بأن أثبته في المجلس الذي يليه وهو مجلسنا هذا، وها أنا راسمُهُ هاهنا إن شاء الله

[فم الحوت وعلي بن يقطين]

حدثنا أبو عمر[1] الحريري عبد الله بن الحسن بن محمد المعروف بصاحب المروي قال، حدثني محمد بن خلف وكيع القاضي قال، حدثني محمد بن موسى قال، حدثنا أبو عمرو العمراوي قال، حدثنا العتبي قال: قدم فم الحوت من المدينة بغداد فنزل على علي بن يقطين، وكان لاعباً بالشطرنج، فقال له علي: لاعبني، قال: إنّ عليَّ يميناً ألا ألعبَ أبداً إلّا في إمرة مطاعةٍ، قال: فها هنالك، فلاعبه فقمره فم الحوت، وكان مشوَّه الوجهِ أهدلَ الشفة السفلى مقلَّص العليا مائلَ الشدقِ قبيح الأسنان، فقال له: احتكم، قال: تقبّلني قبلة، قال: أو الفدية قال: ذاك لك، قال: ألف درهم، قال: لا والله، قال: ألفين، قال: لا والله، قال: ثلاثة آلاف، قال: لا والله، قال: أربعة آلاف، قال: هاتها. فدفعها إليه وركب عليٌّ بن يقطين إلى المهدي فأخبره فاستضحك وقال: ويحك أرنيه من حيثُ لا يراني، فأدخلته عليه من موضع يراه المهدي وهو لا يراه. فلما نظر إليه وإلى تشويه خَلْقه وقبح فمه قال له المهدي: ويحك يا علي قد والله ربحتَ ستة وثلاثين ألفاً، قال: وكيف؟ قال: من لا يفتدي قبلة من هذا بأربعين ألفاً؟! قد ربحت ستة وثلاثين ألفاً.

[إمرة وأمرة وجِلْسة وجَلَسة]

قال القاضي: قوله «إمرَةً مطاعة» الصواب فيها أَمرة - بفتح الهمزة - وهذا ممّا ذكره أهل العلم فيما تلحن فيه العامّة فتقول: إمرَة بالكسر، والامرة بالفتح معناها المرةُ الواحدة من الأمر، وأما الإمَرة فالولاية. وهذا باب مُطّردٌ منسحبٌ على قياسه جارٍ مستمرٌ في نوعه، يُقال هي الجِلسة والرِكبة والقِعدة

(1) م: أبو عمرو.

والنِيمة بمعنى الهيئة، فإذا أراد العبارة عن المرة والمرتين قيل جَلْسة وجلستان وَرَكْبَة وركبتان وَقَعْدَة وقعدتان ونَومة ونومتان، وفي هيئة نوم النائم نيمة ـ وأصلها الواو ـ لأنّها من النوم كما قيل خِيفة من الخوف، فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها. فأمّا حِجَّة فإنّها مكسورة الحاء، وزعم قومٌ أنّه إذا أريد بها المرّة وطريق العدد فُتِحَت حاؤها فقيل حَجَّ حَجَّةً واحدةً، وممّن قال هذا الفراء والأصمعيّ، وقال جمهور المحقّقين: الكلام فيها بالكسر في كلٍّ موضع. فأمّا الحِجَّة بمعنى السّنة فهي بالكسر لا غير، ومن ذلك قول زهير[1]:

وقفتُ بها من بعد عشرين حِجَّةً فـلأياً عـرفتُ الدارَ بعـدَ تـوهُّمِ

وقول النابغة الجعدي[2]:

مضت مـائـةٌ لعـامَ ولـدتُ فيــه وعـشــرٌ بعــد ذاكَ وَحِـجَّـتــانِ

[قضاء ابن شبرمة]

حدثنا محمد بن الحسن بن زياد المقرىء قال، أخبرنا ابن عبد العزيز، قال القاضي: وقد كتب بهذا إلينا الحسين بن أحمد بن عبد العزيز الجوهري من البصرة قال، أخبرنا أبو زيد يعني عمر بن شبَّة قال، أخبرنا زهير بن حرب عن جرير قال: قضى ابن شبرمة بقضيةٍ، فبلغه أنَّ بعض من كان بينه وبينه وحشة تكلَّم فيها، فقال ابن شبرمة[3]:

ما في القضاءِ شفاعةٌ لمخـاصمٍ عنـد اللبيبِ ولا الفقيهِ الحـاكمِ
أَهْـوِنْ عليَّ إذا قضيتُ بـسنَّـةٍ أو بـالكتابِ بـرغم أنفِ الـراغم
وقضيتُ في ما لم أجدْ أثـراً بـه بنــظائـرٍ معــروفــةٍ ومعــالـم

(١) شرح ديوان زهير: ٧. وشرح السبع الطوال: ٢٤١.
(٢) ديوان النابغة الجعدي: ١٦١.
(٣) أخبار القضاة لوكيع ٣: ٩٦ ـ ٩٧.

[أولياء الله والدفع عنهم]

حدثنا عمر بن الحسن بن علي بن مالك الشيباني قال، حدثنا أحمد بن يوسف بن يعقوب قال، حدثنا محمد بن علي قال، حدثنا عبد الله بن حماد عن أبان بن تغلب عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه أن لله تعالى أولياء مع ولاة الظلمة يدفعُ بهم عن أوليائه.

[بين عمر وجميل]

حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي قال، حدثنا أحمد بن يحيى عن أبي عبد الله القرشي قاز[1] خرج عمر بن أبي ربيعة إلى الشام، حتى إذا كان بالجناب لقيه جميل بن معمر، فاستنشده عمر بن أبي ربيعة فأنشده كلمته التي يقول فيها:

خليليَّ فيما عشتما هل رأيتما   قتيلاً بكى من حبِّ قاتله قبلي

ثم استنشده جميل، فأنشده قافيته التي أولها:

عرفتُ مصيفَ الحيِّ والمتربَّعا[2]

حتى بلغ إلى قوله فيها:

وَقَرَّبْنَ أسبابَ الهوى لمتيّمٍ   يقيسُ ذراعاً كلما قِسْنَ إصبعا

فصاح جميل واستحيا[3] وقال: لا والله ما أحسن أن أقول مثل هذا. فقال له عمر: اذهب بنا إلى بثينة لنتحدثَ عندها، فقال له: إن السلطانَ قد أهدر لهم دمي متى جئتها، قال: فَدُلَّني على أبياتها، فَدَلَّه. ومضى حتى وقف على الأبيات وتأنّس وتعرف، ثم قال: يا جارية أنا عمر بن أبي ربيعة فأعلمي

---

(١) الأغاني ٨: ١٤٥ ـ ١٤٦.

(٢) عجز البيت: ببطن حليات دوارس بلقعا.

(٣) الأغاني: واستخذى.

بثينةَ مكاني. [قال]، فأعْلَمَتها فخرجتْ إليه[1] فقالت له: لا والله يا عمر ما أنا من نسائك اللاتي تزعم أنْ قد قتلهنَّ الوجدُ بك، قال: وإذا امرأة طوالة أدماء حسناء، فقال لها عمر: فأين قول جميل:

وهما قالتا لو انّ جميلاً عرض اليوم نظرةً فرآنا
نظرتْ نحو تِربها ثم قالت قد أتانا ـ وما علمنا ـ منانا
بينما ذاك منهما رأتاني أوضَع النقضَ سيرَهُ الرَّتَكَانا[2]

[ويروى أعمل النقض سيره زفيانا].

فقالت له: لو استمد منك جميل ما أفلح، وقد قيل: آشدد العَيْرَ مع الفرس فإن لم يتعلم من جريه تعلَّم من خلقه.

[بعض أنواع السير]

قال القاضي: «أوضعُ النقضَ سيرَهُ الرتكانا» أنه يحمل على سرعة السير، قال الله تعالى: ﴿ولأَوْضَعُوا خِلاَلَكُمْ﴾ [التوبة: ٤٧] قال أبو عبيدة: الإيضاع سرعة السير، يقال: أوضعتُ بعيري وأوضعتُ ناقتي إذا أسرعتُ، فإذا كانت هي الفاعلة قلت: وضعت الناقة تضع وضعاً، ويقال وضع الرجلُ يضع إذا سار أسرع سير، قال دريد بن الصمّة[3]:

يا ليتني فيها جذع أخبّ فيها وأضعْ

من الخبب والوضع. وقد اختلف في بيت عمر بن [عبد الله بن] أبي ربيعة:

تبالهنَ بالعرفان لما عَرَفْنَني[4] وَقُلْنَ امرؤٌ باغٍ أَكَلَّ وأَوْضَعَا

(١) زاد في الأغاني: في مباذلها.

(٢) في نسخة: الزفيانا، وفي الأغاني: اعمل النصَّ سيره زفيانا.

(٣) الشعر والشعراء: ٦٣٦ وتفسير الطبري ١٤: ٢٧٨ وقد قال ذلك في يوم حنين، وكان شيخاً كبيراً.

(٤) في نسخة: لما نكرنني، وفي رواية: لما رأينني.

فرواه قوم هكذا وجعلوا أكلَّ من الكلال، وهو من الذروح والإعياء، وقالوا: إنه كدَّ في بغاء ناقته، وأوضع في طلبها، وأسرع مع الكلال ليدركها، فاجتمع عليه الكلالُ والإيضاع. ورواه آخرون: «وقلنَ امرؤ باغ أضلَّ وأوضعا» بمعنى أنه أضلَّ بعيره فجدَّ في بغائه وأوضع في طلبه. وقوله: «النقض» يريد الذي قد هزله السير فصار نِقْضاً بالياً ويجمع أنقاضاً. والزفيان كنحوه. وقوله: «امرأة طِوالة» يعني طويلة، وهذا مما جاء على فعيلٍ وفُعَال، يقال رجل طويلٌ وطُوَال وطُوَّال، قال الراجز:

جاءوا بصيدٍ عَجَبٍ من العجبْ أزيرقِ العينين طُوَّال الذنبْ

ويقال: أمر عَجَبٌ وَعُجَاب، قال الله عز وجل: ﴿إنَّ هذا لشيءٌ عُجَاب﴾ [ص: ٥] ومثله كبير وكُبَار وكُبَّار، قال الله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْراً كبّاراً﴾ [نوح: ٢٢] ومن الكُبَار قول الأعشى[1]:

كحلفةٍ من أبي رياحٍ يسمعها لاههُ الكُبَارُ[2]

وهذا باب واسع واستقصاؤه يطول وله موضع هو أولى به.

[عمرو وحيلته على أبي الأعور السلمي]

حدثنا الحسين بن أحمد الكلبي قال: حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال، حدثنا محمد بن خالد الغلابي قال، حدثنا القحذمي عن مسلمة بن أبي محارب قال: قال معاوية: إنَّ عمرو بن العاص احتجز دوننا خراج مصر، فعزله واستعمل أبا الأعور السلمي. فبلغ عمراً الخبر فدعا وردان مولاه وقال: ويحك يا أبا عثمان عزلنا أمير المؤمنين، قال: فمن استعمل؟ قال: أبا الأعور

(١) ديوان الأعشى: ١٩٣.

(٢) أبو رياح: رجل من بني ضبيعة قتل رجلاً فطولب بالدية فحلف ألا يفعل، ثم قتل أبو رياح بعد ذلك فبرَّت يمينه فضربت حلفته مثلاً. وروى أبو عبيدة، يسمعها الواحد الكبار، ولاهه رواية الفراء يريد إلاهه.

السلمي، فهل عندك من حيلة؟ قال: نعم، اصنعْ له طعاماً ولا تنظر له في كتاب حتى يأكل، ودعنا نعمل ما نريد. قال: نعم. فلما قدم علينا أبو الأعور السلمي وأخرج كتابَ معاوية بتسليم العمل إليه قال له عمرو: وما نصنع بكتابك؟ لو جئتنا برسالة لقبلنا ذلك منك، دع الكتابَ وَكُلْ، قال: انظر في الكتاب، قال: ما أنا بناظرٍ فيه حتى تأكل. فوضعه إلى جانبه وجعل يأكل، فاستدار له وردان فأخذ الكتابَ والعهد، فلما فرغ أبو الأعور من غدائه طلب الكتاب فلم يرَ شيئاً فقال: أين كتابي؟ فقال له عمرو: أليس إنما جئتنا زائراً لنحسنَ إليك ونكرمك ونبرَّك؟ فقال: استعملني أمير المؤمنين وعزلك، فقال: مهلا لا يظهرن هذا منك، إنه قبيح، نحن نصلك ونحسنُ جائزتك فارضَ بالجائزة. فبلغ معاويةَ الخبر فاستضحك وأقر عمراً على مصر.

قال القاضي: ويشبه هذا خَبَرُ المأمونِ ودينار لما أنفذه إلى المدائن لمحاسبة ياسر واستيفاء الأموال منه، ولعلنا إن عثرنا عليه نورده فيما بعد إن شاء الله[1].

[مواعيد عرقوب]

حدثنا عبد الله بن منصور الحارثي قال، حدثنا الغلابي قال، حدثنا محمد بن عبد الرحمن التيمي قال: حدثنا هشام بن سليمان المخزومي قال[2]: كان عرقوب رجلاً من الأوس فجاءه أخٌ له فقال: إذا أطلعت هذه النخلة فهي لك، فلما أطلعت قال: دعها حتى تصير بلحاً، فلما صارت بلحاً قال: دعها حتّى تشقح، فلما شقحت قال: دعها حتّى تصير رُطَباً، فلما صارت رطباً قال: دعها حتّى تصير تمراً، فلما صارت تمراً جاء ليلاً فجدَّها، فلذلك قال الأشجعي:

---

(١) لم يورده في ما يلي من مجالس ولعله لم يعثر عليه.

(٢) في المثل «مواعيد عرقوب» وتجده وتجد قصته في كتب الأمثال. انظر فصل المقال: ١١٣ ـ ١١٥ والميداني ٢: ١٧٧ والفاخر: ١٠٨، وديوان كعب بن زهير: ٨.

وعدتَ وكان الخلفُ منك سجيّةً   مواعيد عرقوبٍ أخاه بيثرب

فضربته العرب مثلاً:

[تحقيقات]

قال القاضي: ذكر بعضُ المحققين أن الكلام الفصيح بُلَحٌ بضم الباء، كما قال الأعشى[(١)]:

مثل ما مُدّت نصاحاتُ البُلَح[(٢)]

[ويروى: مثل ما مُدَّتْ نِصَاحاتُ الرُّبَحْ].

وقوله: «حتى تشقّح» أي حتّى تزهو وتظهر فيها حمرةٌ أو صفرة. وجاء عن النبيّ ﷺ أنّه نهى عن بيع الثمر[(٣)] حتّى يَشْقَح. وأرى أنّه قيل فيها ذلك لأنّها حينئذ يفارقها خلوص الخضرة ولما تتكامل فيها الحمرة أو الصفرة فليست لها حلاوة. وهذا من مشهور أمثال العرب وقد ذكره كعب بن زهير في كلمته الّتي قالها في النبي ﷺ ومدحه فيها، واعتذر إليه وأظهر توبته من سالف كفره، ورغب إليه في عفوه عنه، وإعفائه إيّاه ممّا توعّده به، فقال في ذلك[(٤)]:

نُبّئتُ أنَّ رسول الله أوعدني   والعفو عند رسول الله مأمولُ

وبيته الّذي ذكر فيه عرقوباً في هذه الكلمة قوله:

كانت مواعيدُ عرقوبٍ لها مثلاً   وما مواعيدها إلّا الأباطيلَ

---

(١) ديوان الأعشى: ١٦٣ واللسان (ربح، نصح):

(٢) فترى الشرب نشاوى كلهم   مثل ما مدت نصاحات الرُّبَحْ

والنصاحات: الحبال أو الجلود. والربح: القرد وعنى به هنا الفصيل. وقال الأزهري: أراد بالربح: الرُّبَع وهو الفصيل أي أن الشرب منبطحون ممتدون كأنهم حبال من جلد يربط بها فصيل على امتدادها. ولم يورد رواية «البلح».

(٣) في أصل م: الشجر.

(٤) ديوان كعب بن زهير: ١٩، ٨.

[استقلال اصطناع المعروف]

حدّثني عبيد الله بن مسلم الحارثي قال: حدثنا أبو الفضل الهاشمي الربعي قال، وحدثني سليمان بن أبي شيخ قال، قال يحيى بن خالد: مَن استقلّ اصطناعَ المعروف حُرِم، ثم أنشأ يقول(1):

إذا تكرَّمْتَ عن بَذْلِ القليلِ ولم ... تقدرْ على سعةٍ لم يَظْهَرِ الجودُ
بُثَّ النوالَ ولا تَمْنَعْكَ قِلَّتُهُ ... فكلُّ ما سدَّ فقراً فهو محمودُ

قال القاضي: استقلال المعطي عطاءه حتّى يمنعه، يحرمه أجره وشكره، واستقلال المُعْطَى يحرمه من مُسْتَقَلِّ العطاء كثيره ووفيره، وقد جاء في الأثر: من يستقلّ قليلَ الرزق يُحرم كثيره.

وروي في نحو هذا بإسناد لم يحضرني في هذا الوقت ذكره، وقد عُزي إلى المأمون أنّه قال وذكر هذا المعنى:

قدِّمْ طعامَكَ وابذله لآكِلِهِ ... واحلفْ على مَن أبى واشكرْ لمن أكلا
ولا تكنْ سابريَّ العَرضِ محتشماً ... من القليل فلسْت الدَّهرَ محتفلا

---

(1) ورد البيتان مع أبيات أخرى للعتابي في أمالي القالي ٢: ١٣٥ والبصائر ٥: ٦٧ (رقم: ٢٤٠) ولحماد عجرد في عيون الأخبار ٣: ١٧٨ والعقد ١: ٢٣٦ ولبشار في الأغاني ٣: ٤٧ وانظر: طبقات ابن المعتز: ٦٩ وتاريخ بغداد ١٢: ٤٩٠ وديوان المعاني ١: ١٥٤ - ١٥٥ والشعر والشعراء: ٦٦٤ وقال البكري في التنبيه: ١٠٦ إن نسبة الأبيات للعتابي غلط فاحش؛ وجزم أن الشعر لبشار.

المجلس الثالث والتسعون

[سراقة يتتبع آثار الرسول عند هجرته]

أخبرنا المعافى قال، حدّثنا محمد بن يوسف بن يعقوب أبو عمر القاضي سنة تسع عشرة وثلثمائة، حدثنا عبيد الله بن سعيد قال، حدّثني عمّي عن أبيه عن صالح عن ابن شهاب قال: حدّثني عبد الرحمن بن مالك بن جعشم المدلجي أنّ أباه أخبره أن سُراقة بن مالكٍ أخبره أنّه لما خرج رسول الله ﷺ من مكّة مهاجراً إلى المدينة جَعَلَتْ قريشٌ لمن ردَّه مائةَ ناقة، قال: فبينا أنا جالسٌ في نادي قومي إذ أقبل رجلٌ فقال: والله لقد رأيتُ ركباً ثلاثةً مرُّوا عليَّ آنفاً، إنّي لأراه محمّداً، قال: فأومأتُ إليه أن اسكُت، إنّما هم بنو فلان يبغون ضالَّتهم، قال: فمكثت قليلاً ثم قمت فدخلتُ فأمرتُ بفرسي فَقِيدَ إلى بطن الوادي، وأخرجت سلاحي من وراء حجرتي، ثم أخذت قِداحي التي أستقسم بها، ولبست لأمتي، ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها فخرج السّهم الّذي أكره «لا يضرّه»، قال: وكنت أرجو أن أردَّه وآخذ المائة ناقة.

قال القاضي: هكذا هو في الحديث[٢]، والوجة مائة الناقة، فتكون

---

(١) قصة سراقة بن مالك في السيرة ٢: ٤٨٩ وعيون الأثر ١: ١٨٢ وسيرة ابن كثير ٢: ٢٤٦.

(٢) في السيرة: المائة الناقة.

الألف واللّام في المضاف إليه دون المضاف كما يُقال غلام القوم، ولا يقال الغلام قوم.

فركبتُ على أثره، فبينما فرسي يشتدُّ بي عثر فسقطتُ عنه، فأخرجت قداحي فاستقسمْتُ بها فخرج السَّهم الذي أكره «لا يضرّه»، قال: فأبيتُ إلّا أن أتبعه، فركبتُ فلما بدا لي القوم فنظرت إليهم عثر بي فرسي وذهبت يداه في الأرض وسقطتُ عنه، فاستخرج يديه وانبعث دخان مثل الإعصار فعرفت أنّه قد مُنِعَ منّي وأنّه ظاهر، فناديتهم فقلت: انظروني فوالله لا أُريبكم ولا يأتيكم مني شيء تكرهونه، قال رسول الله ﷺ: ماذا تبتغي؟ قال: فقلت اكتبْ لي كتاباً يكون بيني وبينك آيةً، قال: اكتب له يا أبا بكر، قال: فكتب لي ثم ألقاه إليَّ. قال: فرجعتُ فَسُئلتُ فلم أذكر شيئاً ممّا كان، حتّى إذا فتح الله على رسوله مكّةَ وفرغ من حنين خرجتُ إلى رسول الله ﷺ لألقاه ومعي الكتاب الّذي كتب لي، فبينا أنا عامد له دخلتُ بين كتيبة من كتائب الأنصار فطفقوا يفزعونني[1] بالرماح ويقولون: إليك إليك، حتّى دنوت من رسول الله وهو على ناقته أنظر إلى ساقه في غرزه كأنّها جُمّارة. قال: فرفعت يدي بالكتاب وقلت: يا رسولَ الله، هذا كتابُكَ، فقال: رسول الله ﷺ: يوم وفاء وبرّ، قال: فأسلمت وسقتُ إليه صدقةَ مالي.

[دلالة قصة سراقة ودلائل النبي جملة]

قال القاضي: خبر سراقة بن مالك هذا وما كان من أمره آية من أعلام النبي ﷺ ودلائله الشاهدة بنبوّته والدّالة على صدقه، وقد تواترت الأخبار بأنّ قوائم راحلته ساخت في الأرض، فنادى رسول الله ﷺ مستغيثاً به ولاجئاً إليه في استنقاذه ممّا وقع فيه، وتائباً ممّا قصد له ومنيباً ممّا سلف من كفره، فدعا الله تعالى له حتّى نجاه ممّا نزل به، وصحب رسولَ الله ﷺ، وروى عنه

(١) السيرة: يقرعونني.

رواياتٍ من أخباره وسننه وآثاره. وقد ألَّف العلماءُ في أعلام النبيّ ﷺ وآياته الكثيـر الذي يحـجّ من بلغه ويقـطَعُ عُذْرَ من انتهى إليـه، ولعلي بن محمد المدائني كتابٌ ضَمَّنه من دلائل النبيّ ﷺ وآياته خمسمائة آية أو نحوها، ولو لم يكن له من الشواهد على رسالته والدلائل على نبوّته إلّا الكتاب الّذي أتى به من وحي الله تعالى إليه وتنزيله جلَّ اسمه عليه، الذي ذلَّتْ له الرقاب، وبهر بنوره ألبابَ ذوي الألباب، لكان ذلك بليغاً كافياً، وحاسماً للشكِّ ومن أدوائه شافياً، وهو في أيدينا إلى حيث انتهينا نتلوه ونقرأه في محاريبنـا وصلواتنا، ونرسمه في صحفنا ومصاحفنا، وتعلّمه أبناءَنا وعبيدَنَا وإماءَنا، ولا يزداد إلّا بهاءً وإشراقاً وضياء وائتلاقاً، ولا يزداد المؤمنون إلّا طمأنينة إليه وخلوصَ يقين به، ولا يزداد معاندوه الضّالون عنه الجاحدون له إلّا عياء بمعارضته وعجزاً عن مقـاومته. وقـد رتّبنا القـول في وجه إعجـازه ومفارقتـه أنـواع كـلام البلـغاء والفصحاء بما خصَّه الله به من بديع نظمه وعجيب رسمه ما كان كافيـاً من غيره.

وقول سراقة: «لأمتي» اللأمة: الدرع، يجمع لُؤَماً على غير قياس، قال الأعشى[1]:

وقـوفـاً بـمـا كـان من لأمـةٍ   وهـنَّ صيـامٌ يَـلُكـن الـلُجُـمْ

[موعظة علي لكميل بن زياد]

حـدثني محمد بن عمـر بن نصير الحـربي الجمال سنة ستَّ عشـرة وثلاثمائة إملاءً من حفظه قال، حدّثني نجيح[2] بن إبرهيم الزماني قال، حدّثنا ضرار بن صرَد عن ثابت بن أبي قتيبة عن عبد الرحمن بن جندب عن كميل بن زياد قال: أخذ بيدي عليّ بن أبي طالب عليه السَّلام فأخرجني إلى الجبّان، فلما

(١) ديوان الأعشى: ٣٠.
(٢) م: يحيى.

أصحر جلس ثم تنفّس ثم قال: [1]: يا كُمَيْل بن زياد، القلوب أوعية فخيرها أوعاها، احفظ عنّي ما أقول لك: الناس ثلاثة فعالمٌ ربّاني، ومتعلّمٌ على سبيل نجاةٍ، وهمجٌ رعاع أتباعُ كلّ ناعق يميلون مع كلّ ريح، لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلى رُكْنٍ وثيق. يا كميلُ بنَ زياد، العلمُ خيرٌ لكَ من المال، العلمُ يحرسُكَ وأنت تحرسُ المال، العلمُ يزكو على العمل والمالُ تنقصه النفقات، ومحبّة العلم دِينٌ يدان به يَكسبُهُ الطاعةَ في حياته وجميلَ الأحدوثةِ بعد موته. يا كُمَيلُ بنَ زياد، العلم حاكم والمالُ محكومٌ عليه، وصنيعة المالِ تزولُ بزواله، مات خُزّانُ الأموالِ وهم أحياء، والعلماءُ باقون ما بقيَ الدهر، أعيانهم مفقودة وأمثالُهم في القلوبِ موجودة. إن هاهنا لعلماً جماً ـ وأشار بيده إلى صدره ـ لو أصبتُ له حَمَلَة، بل أصبتُ له لَقِناً غيرَ مأمون عليه، يستعملُ له آلـةَ الدين بالدنيا، يستظهر بنعم الله على عبادته وبحجته على كتابه، أو منقاداً لأهل الحقّ لا بصيرةَ له في إحيائه[2]، يقدحُ الشكُّ في قلبه بأولِ عارضٍ من شبهة، فلا ذا ولا ذا، أو منهوماً باللذة، سلس القياد للشهوات، أو مغرماً بجمع الأموال والادخار، ليسا من دعائم[3] الدين، أقرب شبهاً بهما الأنعامُ السائمة. كذلك يموت العلم بموت حامليه. اللهم بلى، لن تخلوَ الأرض من قائم لله بحجةٍ لكيلا تبطلَ حججُ الله وبيناته. أولئك الأقلون عدداً، الأعظمون عند الله قدراً، بهم يدفع الله عن حججه حتى يُؤدوها إلى نظرائهم، ويزرعوها في قلوب أشباههم، هَجَمَ بهم العلم على حقيقة الأمر[4] فاستلانوا ما استوعره

---

(١) حديث الإمام علي لكميل في نهج البلاغة: ٤٩٥ ـ ٤٩٧ وحلية الأولياء ١: ٧٩ -٨٠ وصفة الصفوة: ١: ١٢٧ وسراج الملوك: ١١٠ والإرشاد للشيخ المفيد: ١٢١ وأمالي الطوسي ١: ١٩ وعين الأدب والسياسة: ٢٦٥ وديوان المعاني ١: ١٤٦-١٤٧ والتذكرة الحمدونية ١: رقم: ٩٠ وقد أورده المؤلف من قبل في المجلس الثامن والسبعين (٣: ٣٣١ ـ ٣٣٢) وبين النصين بعض اختلافات.

(٢) النهج: أحنائه.

(٣) النهج: رعاة.

(٤) النهج: البصيرة.

المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، صحبوا الدنيا بأبدانٍ أرواحها معلقةٌ بالملكوتِ[1] الأعلى، أولئك خلفاءُ اللّهِ في بلاده، والدعاةُ إلى دينه، آه آه شوقاً إلى رؤيتهم، واستغفر الله لي ولكم.

قال القاضي: لقد ألقى أميرُ المؤمنين العالمُ الربانيُّ إمامُ المسلمين صلوات الله عليه وآله إلى كُميل بن زيادٍ في مجلسه هذا علماً عظيماً وحكماً جسيماً، وخلَّف بما أَتى به منه للمسلمين حكمةً شافيةً ووصيةً كافية، ومن جعل من العلماء مستودع هذا الخبر إمامه، وأخذ به في دينه، اقتبس علماً غزيراً، واستفاد خيراً كثيراً. ونسأل الله التوفيق لإصابة القول والعمل، والعصمة من الخطأ والزلل.

[بنت معاوية تمتنع على زوجها]

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال، أخبرنا أبو حاتم قال، أخبرنا محمد بن عبد الله بن عمرو بن معاوية بن عتبة بن أبي سفيان قال[2]: زوج معاوية بن أبي سفيان ابنته من عبد الله بن عامر بن كريز، فلما ابتنى بها امتنعتْ عليه امتناعاً شديداً لم يصلْ معه منها إلى شيء، فضربها فبكت وسمع الجواري بكاءها فَصِحْنَ، ووقع ذلك في أذن معاوية، فجاء مبادراً وسمع مقالة الجواري، فدخل على عبد الله البيت فقال له: مثل هذه تضرب؟ قبَّح الله رأيك وقبح ما أتيت به، اخرج عن هذا البيت إلى غيره، فلما خرج أقبل على ابنته فقال: يا بنية لا تفعلي فإنما هو زوجك الذي أحلَّه الله لك، أو ما سمعتِ يا بنيةَ قولَ الشاعر:

من الخفرات البيض أما حرامها فَصَعْبٌ وأمّا حِلُّها فذلولُ

ثم نهض فخرج وعاد زوجها إلى البيت فلانت وأذعنت.

---

(١) النهج: بالمحلّ.

(٢) قارن بما جاء في نثر الدرّ ٣: ٢٥ والتذكرة الحمدونية ١: رقم ١١٧٠.

[معنى بنى وابتنى]

قال القاضي: في هذا الخبر: «فلما ابتنى بها» وقد استعمل هذه اللفظةَ جماعةٌ من المتفقهين ومن له معرفة بالعربية، وأنكرها من اللغويين منكرون وقالوا: الكلامُ الصحيحُ في هذا بَنَى عليها، وذاك أنَّ الرجل من العرب كان إذا تزوج بنى على امرأته بنياً من خباء وغيره للخلوة بها والإفضاء إليها، وكثر ذلك وعرف حتى قيل لكلٍّ من دخل بزوجته: قد بنى عليها. ومما حدث في زماننا من كلام سفلة العامةِ أن يقولوا لمن غشي امرأة: قد ابتنى بها، وإن كان إتيانه إياها زناً وسفاحاً.

[دماء الذين قتلوا في فخ]

حدثنا أحمد بن محمد بن أبي العلاء الإيصاحي المعروف بحرمي قال، حدثنا أبو سعيد يعني عبد الله بن شبيب قال، حدثني علي بن طاهر قال[1]: التقى العباس بن محمد وموسى بن عبد الله فقال له العباس بن محمد: يا أبا حسن ما رثيت به أصحابك الذين قتلوا بفخ؟ قال: قلت:

بني عمنـا رُدُّوا فُضولَ دمـائنا ... يَنَمْ ليلكم أو لا تَلُمْـنَـا اللوائـمُ

قال: فقال العبـاس: دماءُ واللَّهِ لا تُـرَدُّ عليكَ أبـداً. فقال مـوسى بن عبد الله: ذلك إذا كان الأمرُ إليك فصدقت.

قال القاضي: ينم ليلكم آمنين غير خائفين وتستقـر بكم مضاجعكم، والعرب تقول: ليل نائم وسرٌّ كاتم، تريد ليل منوم فيه وسر مكتوم، كما قال الشاعر[2]:

---

(١) قارن بما جاء في مقاتل الطالبيين: ٤٥٤ والجوار بين السريّ بن عبد الله (من ولد الحارث بن العباس) لما قتل أصحـاب فخ، وبين موسى بن عبد الله، وسؤال الأول للثاني: كيف رأيت مصارع البغيْ الذي لا تدعونه لبني عمكم المنعمين عليكم فقال موسى بن عبد الله:

بـنـي عـمـنـا ردوا ....

فـإنـا وإيـاكـم ومـا كـان بيـنـنـا ... كـذي الـدين يقضي دينـه وهـو راغم

(٢) هو جرير كما في ديوانه ٢: ٩٩٣ وشرح النقائض: ٧٥٣.

لقد لمتنا يا أمَّ غيلانَ في السُّرى ونمتِ وما ليلُ المطيِّ بنائمِ

وقال آخر:

إنَّ الذين قتلتم أمسِ سيِّدَهُمْ لا تحسبوا ليلَهم عن ليلكم ناما

وقال آخر:

حارثُ قد فَرَّجْتَ عنّي غمي فنام ليلي وتجلَّى همي

يريد أنهم لم يناموا عن وترهم، وأنهم طالبون له منقطعون للسعي في إدراكه. وهذا النحو من مجاز العربية كثير في اللغة فصيحٌ عند العلماء بها، مُطَّرِدٌ مستمرٌّ فيها.

[فرّغ رأيك للمهم]

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي قال، حدثنا ابن أبي سعيد البلخي الوراق قال، حدثني أبو العباس أحمد بن محمد السكري عن الفضل بن محمد العلوي العباسي عن عبيد الله بن الحسن الطالبي أنه كان يقول: إن رأيك لا يتسع لكلّ شيء ففرغه للمهم، وإن مالك لا يرضي الناس كلَّهم فتوخّ به أهلَ الحقّ، وإنّ كرامتك لا تطيق العامةَ فاخصصْ بها أهلَ الفضل، وإن ليلك ونهارك لا يستوعبان حاجتك، فإن دأبت بهما فأحسن قسمتهما بين عملك ودعتك. قال الكوكبي: وزادني أحمد بن محمد بن سليمان الهروي: فإن شغلت من رأيك في غير المهمّ أزرى بك في المهم، وما صرفت من مالك إلى أهل الباطل فقدته عند طلب الحق، وما عدلت به من كرامتك إلى أهل النقص أضرَّ بك في العجز عن أهل الفضل، وما شغلت من ليلك ونهارك في غير الحاجة أزرى بك في الحاجة.

[توالي ذهاب السلطان وأصحابه]

حدثنا محمد بن الحسن أستاذ الهروي قال، حدثنا محمد بن عبد الرحمن الشامي قال، حدثنا أبو المنذر محمد بن المنذر قال، أخبرني

آدم بن عتيبة قال، أخبرنيه رجل من بني تميم عن عبد الملك بن عمير قال: لقد رأيتُ في هذا القصر عجباً: دخلت على عبيد الله بن زياد في بهوٍ وهو على سرير، والناسُ عنده سماطان، على يمينه ترس عليه رأس الحسين بن علي عليهما السلام، ثم دخلت على المختار في ذلك البهو على ذلك السرير والناس عنده سماطان، على يمينه ترسٌ عليه رأس عبيد الله، ثم دخلت على مصعب في ذلك البهو على ذاك السرير والناس عنده سماطان، على يمينه ترس عليه رأس المختار، ثم دخلت على عبد الملك في ذلك البهو وعلى ذلك السرير والناس عنده سماطان، على يمينه ترس عليه رأس مصعب، ثم قام عبد الملك وقمنا فانتهى إلى منزل فقال: لمن هذا؟ فقيل له: كان لفلان يا أمير المؤمنين، ثم انتهى إلى دار فقال: لمن هذه؟ قيل له: كانت لفلان، حتى فعل ذلك بدار ثالثة ورابعة، كل ذلك يقال: كانت لفلان، فضرب بإحدى يديه على الأخرى ثم قال:

وكلُّ جديدٍ يا أميمَ إلى بلىً ... وكل امرىءٍ يوماً يصير إلى كانا

...

فاعمل على مَهَلٍ فإنك ميتٌ ... وامهد لنفسك أيها الإنسانْ

...

فكأنَّ ما قد كان لم يكُ إذ مضى ... وكأنَّ ما هو كائنٌ قد كانا

ثم مضىٰ على وجهه.

[مصير ظالم]

قال القاضي: وحكى لي بعض إخواننا أن بعض الظلمة المترفين جلس يوماً من الأيّام في موضعٍ من داره وقد نُجِّد له، وعنده جماعةٌ، وظهر منه ظلمٌ أسرف فيه، ثم إنّه لم تَطُلْ أيّامه حتّى هلك، فجلس مكانه رجلٌ من ضَرْبِهِ، وشرع في مثلِ ظلمه فقال له بعض من يرام ظلمه ممّن حضر مجلس الّذي كان قبله:

في مثل ذا اليومِ في هذا المكانِ على هذاالسريرِ تدلَّى الشرُّ فاصطلما

قال: فانكسرَ وأقصر.

اللهم فاجعلنا ممن يتأملُ العبر، ويخشى الغير، ويستعدُّ لليوم الذي وصفه في كتابه وأمر نبيه ﷺ أن ينذرهم إياه إذ يقول: ﴿وأَنْذِرِ الناسَ يومَ يأتيهم العذابُ فيقولُ الذينَ ظَلَموا ربَّنا أَخِّرْنَا إلى أَجَلٍ قريب نجب دعوتَكَ ونتبع الرسلِ، أو لم تكونوا أقسمتمْ من قبلُ مالكم من زوال. وسكنتمْ في مَسَاكِنِ الذينَ ظَلَمُوا أنفسهم وبيَّنا لكم كيف فعَلْنَا بهم وضربنا لكم الأَمثالَ﴾ [إبراهيم: ٤٤ ـ ٤٥].

[جزع الحسن من الموت]

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري قال، حدثنا محمد علي المدائني قال، حدثنا أبو الفضل الهاشمي الربعي قال، حدثني أحمد بن يعقوب قال، حدثني المفضّل بن غسان بن الفضل بن عبد الرحمن الغلابي قال، حدثني علي بن إبراهيم المطبخي قال: سمعتُ أبا عبد الرحمن بن عيسى بن مسلم الحنفي أخا سُلَيم بن عيسى قارىء أهلِ الكوفة قال[1]: لما حضرت الحسنَ بن عليّ عليهما السلام الوفاة كأنه جزع عند الموت، فقال له الحسينُ صلوات الله عليه [كأنه] يعزيه: يا أخي ما هذا الجزع؟ إنك تَرِدُ على رسول الله ﷺ وعلى عليٍّ صلوات الله عليه، وهما أبواك، وعلى خديجةَ وفاطمةَ وهما أماك، وعلى القاسم والطاهر وهما خالاك، وعلى حمزةَ وجعفرٍ وهما عمّاك، فقال الحسن عليه السلام: أي أخي إني أدخل في أمرٍ من أمر الله لم أدخلْ في مثله، وأرى خلقاً من خَلْقِ الله لم أر مثله قط، قال: فبكى الحسين صلى الله عليه.

قال القاضي: أشدُّ الناسِ خشيةً لله جلَّ وعلا أعظمهم طاعةً له وأجدُّهم

(١) وردت هذه الحكاية في مصورة ابن عساكر ٤: ٥٤٦ (منقولة عن المعافى).

في عبادته، وهم ملائكته وأصفياؤه وأنبياؤه وأولياؤه، وقد قال جل ثناؤه في صفة من ذكر من ملائكته المقربين إنهم: ﴿عبادٌ مكرمون لا يسبقونه بالقولِ وَهُمْ بأَمْرِهِ يَعْمَلُون. يعلمُ ما بَيْنَ أيدِيهِمْ وما خَلْفَهُمْ ولا يَشْفَعُونَ إلا لمنْ ارتضى وهم مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُون﴾ [الأنبياء: ٢٦ ـ ٢٨] وقال: ﴿والذين يُؤتون ما آتوا وقلوبُهُمْ وَجِلةٌ إنّهم إلى ربِّهِمْ رَاجِعُونَ. أولئكَ يُسَارِعُونَ في الخيراتِ وَهُمْ لها سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠ ـ ٦١]. اللهمَّ اجعلنا ممّن يُخْلِصُ عبادتك، وَيُؤْثِرُ طاعتك، ويستشعرُ خوفك ورهبتك، وارزقنا من خشيتك ما يحجزُ بيننا وبين معصيتك، ويفضي بنا إلى الأمنِ من عذابك وأليم عقابك، وهبْ لنا من رجاءِ عفوك ما يوافقُ مرضاتَكَ، ويُؤدّي إلى تحقيق ما نرجوه من مغفرتك وسعة رحمتك، وعدِّلْ رجاءنا وخوفنا، واعصمنا فيهما من العُلوّ والغلوّ والتقصير والسموّ، ولا تَكِلْنَا إلى أنفسنا، وأَعنّا على عدوّك وعدوّنا، إنّا إليك راغبون وبك معتصمون، يا أرحم الراحمين.

[من نوادر مزبّد]

حدّثنا عبد الله بن منصور الحارثي قال، حدثنا محمد بن زكريّا الغلابي قال، حدثنا محمد بن عبد الرحمن عن أبيه قال(١): كان مُزَبِّد يكنى أبا إسحاق، وكانت له نوادر، فبينا هو ذات يوم جالسٌ إذ جاء أصحابه فقالوا: يا أبا إسحاق هل لك في الخروج بنا إلى العقيق وإلى قباء وإلى أُحُد ناحيةَ قبورِ الشهداء، فإنّ هذا يومٌ كما ترى طَيّبٌ. فقال: اليومَ يومُ الأربعاء ولست أبرح من منزلي. فقالوا: ما تكرهُ من يوم الأربعاء وفيه ولد يونس بن متّى؟ قال: بأبي وأمّي صلّى الله عليه فقد التقمه الحوت. فقالوا: يومٌ نُصِرَ فيه النبي ﷺ، يومَ الأحزاب، قال: أجل، ولكن بعد إذ زاغتِ الأبصار وبلغتِ القلوبُ الحناجرَ.

---

(١) قد جمع الآبي في نثر الدر نوادر مزبّد في فصل مستقل ٣: ٢٣٢ ـ ٢٤٦؛ وقد جاءت النادرة المذكورة هنا ص: ٢٣٣.

المجلس الرابع والتسعون

[حديث: العمل الصالح ينقذ صاحبه]

حدثنا المعافى قال، حدّثنا محمد بن الحسن بن علي بن سعيد الترمذي سنة ست عشرة وثلاثمائة قال، حدثنا إبراهيم بن إسحاق الجرمي قال، حدّثنا عمّار بن نصر المروزي ومحمّد بن الجنيد قالا، حدّثنا عبد الله بن نافع بن ثابت قال، حدثنا ابن أبي فديك عن عبد الرحمن بن أبي عبد الله عن سعيد بن المسيّب عن عبد الرحمن بن سمرة قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في مسجد المدينة فقال[1]: إنّي رأيتُ البارحةَ عجباً، إنّي رأيت رجلاً من أمّتي جاءه ملكُ الموتِ ليقبضَ روحه فجاءه بِرُّهُ بوالديه فردَّ عنه، ورأيت رجلاً من أمّتي يُسَلَّطُ عليه عذابُ القبر فجاءه وضوءه فاستنقذه، ورأيت رجلاً من أمّتي قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله تعالى فخلّصه من بينهم، ورأيت رجلاً من أمّتي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم، ورأيت رجلاً يلهثُ عطشاً كلّما ورد حوضاً مُنِعَ منه فجاءه صيامُ شهر رمضان فأسقاه

(١) ورد في الجامع الصغير ١: ١٠٥ ـ ١٠٦ اعتماداً على الطبراني، وعدّه الألباني ضعيفاً (ضعيف الجامع الصغير ١: ٢١٩ ـ ٢٢١) وهناك اختلاف في الترتيب عما أورده القاضي، وفي نصّ الجليس الصالح نقص؛ وأورد السبكي في طبقاته (١: ١٦٢ ـ ١٦٥) صورتين لهذا الحديث، وعلّق السبكي على ذلك بقوله: «قد خرجت جزءاً أمليته في هذا الحديث مستوعباً وليس هو في شيء من الكتب الستة.

وأرواه، ورأيتُ رجلاً والنبيّون حَلَقٌ حَلَقٌ كلّما جاء إلى حلقة طُرِد فجاءه اغتساله من الجنابة فأخذ بيده فأقعده إلى جانبي، ورأيت رجلاً بين يديه ظلمة وخلفه ظلمة وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته ظلم فهو متحيّر، فجاءه حجّه وعمرته فاستخرجاه من الظلمة فأدخلاه في النور، ورأيت رجلاً يكلّم المؤمنين فلا يكلّمونه فجاءه صلةُ الرّحم فقال: يا معشر المؤمنين كلّموه فإنّه كان واصلاً لرحمه، فكلّمه المؤمنون وقرّبوه. ورأيت رجلاً يتّقي وَهَجَ النار وشرَّها بيده عن وجهه، فجاءته صدقته فصارت ستراً على وجهه وظلاً على رأسه، ورأيت رجلاً أخذته الزبانية من كلِّ مكان فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذاه من أيديهم وأدخلاه مع ملائكة الرحمة فصار معهم، ورأيت رجلاً جاثياً على ركبتيه بينه وبين الله حجاب فجاءه حُسن خلقه فأخذ بيده فأدخله على الله عزّ وجلّ. ورأيت رجلاً هوت صحيفته قِبَلَ شماله فجاءه خوفه من الله تعالى فأخذ صحيفته فجعلها في يمينه. ورأيت رجلاً قد خفّ ميزانه فجاءته أفراطُهُ فثقّلوا ميزانه. ورأيت رجلاً قائماً على شفير جهنّم فجاءه وَجَلُهُ من الله تعالى فاستنقذه من ذلك ومضى. ورأيت رجلاً هوى في النّار فجاءت دموعه التي بكاها من خشية الله في الدنيا فأخرجته من النّار.

قال القاضي: قد روينا ما تضمّنه هذا الخبر من طرق شتّى، مجملاً ومفصلاً، وما ورد في معناه ونحوه، وفيه من الترغيب في الخير وحُسن عاقبته، والتحذير من فعل الشرّ وسوء مغبّته، ما يدعو ذوي الألباب إلى الاستكثار من الطاعة ومجانبة المعصية. فالفاضل الرشيد والفائز السّعيد من استكمل خلال الخير وفارق خصال الشّر. ومَن تعلّق ببعض الأخلاق الحميدة فلن يَعْدَمَ الانتفاعَ به وإحمادَ عاقبته. والبليّةُ الكبرى والمصيبةُ العظمى في من عَرِيَ من شُعَبِ الخير كلِّها ولم يستصحب شيئاً منها. وليحذر المؤمن أن يُعْرِضَ عن حظه ويذهب، وأن يكون ممّن يُجَدُّ به ويلعب. والله تعالى ذكره يومٌ يَخْسَرُ فيه المبطلون، ويغتبطُ به الفائزون، وَيَنْعَمُ فيه المتّقون. فجعلنا الله وإيّاكم من أوليائه

المتّقين وعباده المخلصين من الّذين لا خوفٌ عليهم [في معادهم] ولا هُم يَحْزَنُون.

[هو ابن عمي لا ابن عمك]

حدّثنا أحمد بن محمد بن أبي العلاء قال، حدّثنا أبو سعيد يعني عبد الله بن شبيب قال، حدثني ابن أبي مرّة المكيّ قال، حدّثني خالد بن سفيان مولى الصيفي قال: شهدتُ الرّشيد وقد رمى جمرةَ العقبة يومَ النحر في بعض حجّاته ثم مال إلى المنحر فأتى ببدنة فنحرها ثم أتى بأخرى فنحرها ثمّ أنشد رافعاً صوتَهُ:

إنّ ابنَ عمّي لابنُ زيدٍ وإنه   لبلّالُ أيدي حلّةِ الشوْكِ بالدَّمِ

فصاح به أعرابي: يا أمير المؤمنين ذاك ابن عمّي لا ابن عمك، قال: عليَّ بالأعرابي، فأتي به وإنا لنخافه عليه، فقال: ومن أنت؟ قال: رجلٌ من بني سلول، قال: فمن يقول هذا الشعر؟ قال: العُجَيْر السَّلولي[1] قال: أحسنتَ، أعطوه كذا وكذا.

[معاوية واللقمة التي لم تكتب له]

حدّثنا محمّد بن القاسم الأنباري أخبرنا إسماعيل بن إسحاق القاضي حدّثنا إبراهيم بن حمزة قال، حدثنا عبد العزيز بن محمّد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الملك بن مروان قال: جلستُ مع معاوية على غدائه فأخذ لقمةً فهيّأها، وأخذ يتحدّث فوضعها، فأخذتها، فعل ذلك مراراً يضعها وآخذها وألقمها، فسمعته يقول وهو يخطب: إن الرجل ليرفع اللقمة إلى فيه يراها من رزق الله له قد كتبها لغيره فيأكلها الّذي كتبت له.

---

(١) هو العجير بن عبد الله بن عبيدة بن كعب السلولي، وقيل هو العجير بن عبيد الله بن كعب بن عبيدة شاعر إسلامي مقلّ عاش في الدولة الأموية وجعله ابن سلام في الطبقة الخامسة من شعراء الإسلام. انظر الأغاني ١٣: ٥٦ ـ ٧٣.

[مصقلة يرجف بمرض معاوية]

حدّثنا الحسين بن القاسم الكوكبي قال، حدّثنا ابن أبي الدنيا قال، حدّثنا أبو هشام عن أبيه عن محمّد بن عبد المطلب بن ربيعة قال[1]: لمّا مرض معاويةُ أرجف به مَصْقَلَةُ البكريّ ثم قدم عليه وقد تماثل، فأخذ معاوية بيديه فقال:

أبقى الحوادثُ من خليلك مثلَ جَنْدَلةِ المُرَاجِمْ
قد رامني الأقوام قبلك فامتنعت من المظالم

فقال مصقلة: قد أبقى الله منك يا أمير المُؤمنين ما هو أعظمُ من ذلك: حلماً وكلأً ومرعى لوليك، وسمّاً ناقعاً لعدوك، كانت الجاهليّة وأبوك سيّد المشركين، وأصبح الناسُ مسلمين وأنت أمير المؤمنين.

[يوم بؤس ويوم نعيم]

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال، أخبرنا عبد الرحمن قال، قال عمّي: سمعت يونس يقول[2]: كان المنذر بن ماء السماء جدّ النعمان بن المنذر ينادمه رجلان من العرب خالدُ بن المفضل[3] وعمرو بن مسعود الأسديّان، وهما اللّذان عنى الشاعر بقوله[4]:

ألا بكر الناعي بِخَيْـرَيْ بني أسدْ ... بعمرو بن مسعودٍ وبالسيّد الصمدْ

---

(١) الخبر والشعر في أنساب الأشراف ٤/١: ٨١ وانظر أمالي القالي ٢: ٣١١ وعيون الأخبار ٣: ٥٠ وزهر الآداب: ٤٩.

(٢) قصة عبيد والنعمان تجدها في كتب الأمثال تحت قوله: أتتك بحائن رجلاه أو حال الجريض دون القريض، انظر فصل المقال: ٤٤٤ والميداني ١: ١٩١ والعسكري ١: ٣٥٩ والفاخر: ١٩٠ وفي ثمار القلوب (يوم عبيد): ٢١٥ ونشوة الطرب ١: ٣٩٦ وديوان عبيد: ٤٥، ٨٨ ومعجم البلدان (الغريان) وخزانة الأدب ١: ٣٢٤ والأغاني ٢٣: ٤١٠، ٤١٤.

(٣) م: الفضل. الأغاني: المضلل.

(٤) الأغاني ٢٣: ٤١٦.

فشـرب ليلةً معهما فراجعـاه الكلام فأغضبـاه فأمر بهما فجُعـلا في تابوتيـن ودفنا بظاهر الكوفة، فلمّا أصبح سأل عنهما فأخبر بذلك، فندم وركب حتّى وقف عليهما وأمر ببناء الغريّين، وجعل لنفسه يومين، يوم بُؤس ويومِ نعيم في كلّ عام، فكان يضع سريره بينهما فإذا كان في يومِ نعيمه فأوّل من يطلُعُ عليه وهو على سريره يعطِيهُ مائةً من الإبل، إبلِ الملوك، وأوّل من يطلع عليه يوم بُؤسه يعطيه رأسَ ظَرِبَان.

قال القاضي: الظربان دابةٌ منتنة الريـح.

ويأمر به فَيُذْبَحُ وَيُغَرَّى بدمه الغريان. فلم يزل بذلك ما شاء الله. فبينا هو ذاتَ يوم من أيام بُؤسه إذ طلع عبيد بن الأبرص، فقال له الملك: ألا كان الذِّبْحُ غيرَكَ يا عبيد، فقال عبيد: أتتك بحائنٍ رجلاه، فقال الملك: أو أجَلٌ بَلَغَ[1] إناه. قال: أنشدني يا عبيد، فقد كان يعجبني شعرك، فقال: حال الجريض دون القريض، وبلغ الحزامُ الطبيين، فقال أنشدني:

أقـفـر مـن أهـلِهِ مَـلْحُـوبُ   فـالـقُـطَبيـاتُ فـالـذُّنُـوبُ

فقال:

أقـفـر مـن أهـله عـبـيـدُ   فـاليـومَ يبـدي ولا يعيد[2]

عـنّـت لـه شـقـوةٌ نـكـود   وحـان مـنـه لـهـا ورود

فقال: أنشدني هَبَلتكَ أمكَ، قال: المنايا على الحوايا، فقال بعض القوم: أنشد الملك هبلتك أمّك، قال: لا يرحل رحلك مَنْ لَيس معك، قال له آخر: ما اشدّ جزعك من الموت، فقال[3]:

---

(١) في بعض النسخ: بالغ.

(٢) الأغاني: فليس يبدي ولا يعيد.

(٣) ديوان عبيد: ٦٢.

لا غـرو مـن عـيشـةٍ نـافـده وهـل غيـر مـا ميتـةٍ واحـدَه[1]
فـأبـلغْ بـنـيَّ وأعـمـامـهـم بـأنّ المنـايـا هي الـراصـدَه[2]
لـهـا مـدّةٌ فنـفـوسُ الـعـبـادِ إلـيهـا وإن كـرهـت قـاصـدَه
فـلا تـجـزعـوا لحـمـام دنـا فـللمـوت مـا تَـلِدُ الـوالـدَه

فقال له المنذر: لا بدّ من الموت، ولو عرض لي أبي في يومي هذا لم أجد بدّاً من ذبحه، فأمّا إذ كنت لها وكانت لك فاختر من ثلاث خصالٍ: إن شئتَ من الأكحل، وإن شئت من الأبجل[3]، وإن شئت من الوريد. فقال: ثلاث خصال مقادها شـرّ مقاد، وحاديها شرُّ ما حاد، ولا خير فيها لمرتاد، فإن كنت لا بـدَّ قاتلي فاسقني الخمر حتّى إذا ذهلتْ لها ذواهلي، وماتت لهـا مفاصلي، فشأنَكَ وما تريد. فأمر له المنذر بحاجته من الخمر، فلمّا أخذت منه وقرب ليذبح أنشأ يقول[4]:

وخيَّرني ذو البؤس في يوم بُؤْسِهِ خِصالاً أرى في كلّها الموتَ قد برقْ
كمـا خُيِّرَتْ عـادٌ من الدّهـرِ مرّةً سحائبَ ما فيهـا لذي خيـرةٍ أَنَـقْ
سحـائبُ ريحٍ لم تُـوَكَّـل ببلدةٍ فتتـركَهـا إلاّ كمـا ليلة الـطلـقْ[5]

فأمر به ففُصد فلمّا مات طلي بدمه الغريّان.

[تعليقات وشروح لغوية ونحوية]

قال القاضي: قول الشاعر بخيري بني أسد، والطريق اللاحب في هذا الباب أن يقال زيد خير من بني فلان، والزيدان والزيدون خير بني فلان، ولكنّه

---

(١) ورد في الديوان في مكان هذا البيت قوله:
والله إن مـت مـا ضـرَّنـي وإن عشت مـا عشت في واحـده
(٢) الديوان: الواردة.
(٣) الأكحل: عرق في اليد يكثر فصده؛ والأبجل: عرق غليظ في الرجل.
(٤) ديوان عبيد: ٨٨.
(٥) ليلة الطلق: ليلة يخلي الراعي إبله ترعى الليل كله فتأتي على كل شيء.

ثنّى في هذا الشعر مبالغة في وصف كلٍّ واحدٍ منهما بأنّه منسوبٌ إليه الفضل، أو لأن كلَّ واحدٍ منهما يفضل في معنى يختصّ به كما قال الشاعر:

هما سيّدانا يزعمان وإنّما يسودانِنا أنْ سُيِّرتْ غَنَمَاهُمَا

فثنى لاختلاف النوعين وافتراق الاضافتين. وفي التنزيل: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ [المؤمنون: ٤٧]. وقول المنذر لعبيد: «ألا كان الذِّبْحُ غيرَكَ» أراد الشيءَ المذبوح، قال الله تعالى: ﴿وفديناه بِذِبْحٍ عظيم﴾ [الصافات: ١٠٧] والذَّبح بفتح الذّال المصدر. يقال: ذبحت الكبشَ ذبحاً، ومثله الطِّحن. والطَّحن. فالطِّحن الشيء المطحون، والطَّحن مصدر. وكذلك القِسْم والقَسْم، فالقِسم بالكسر النصيب والشيء المقسوم، والقَسمُ بالفتح مصدر قَسَمْتُ. وهذا باب تتّسع فروعه ويطّرد قياسه. وقول عبيد: «أتتك بحائن رجلاه» يقال فلان حائن إذا حان هلاكه، هذا مثل سائر. وقول المنذر: «أو أجلٌ بلغَ إناه» معناه غايته ونهايته، من قولهم قد آن كذا وكذا، أي بلغ غايته، قال الله تعالى: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وبين حميمٍ آنٍ﴾ [الرحمن: ٤٤] أي قد انتهى حرّه، ومن ذلك قول الشاعر[1]:

وتخضب لحيةً غَدَرَتْ وخانت بأحمرَ من نجيع الجوفِ آنِ

وقال الله تعالى: ﴿إلى طعامٍ غيرِ ناظرينَ إناه﴾ [الأحزاب: ٥٣] وفيه لغتان الكسر والقصر، والفتح والمدّ، وقد قرأ بعض القراء «غير ناظرين اناءَه» ومن هذه اللغة قول الشاعر[2]:

وآنيتُ العَشاءَ إلى سُهَيلٍ أو الشعرى فطال بيَ الإناءُ[3]

---

(١) هو النابغة الذبياني، ديوانه: ١١٣ وتفسير القرطبي ١٧: ١٧٥.

(٢) هو الحطيئة، انظر ديوانه: ٩٨ واللسان (أنى) وتفسير القرطبي ١٤: ٢٢٦.

(٣) يقول: أخرت العشاء إلى طلوع سهيل أو الشعري (وهما يتأخران في الطلوع) ولكن انتظاري طال.

ويروى «وأكريتُ... فطال» من الكرى والمعنى واحد. وقد قرأ بعض القرّاء: ﴿سَرابيلُهُمْ مِنْ قِطْرٍ آن﴾ يعني النحاس الّذي قد انتهى حرّه، وروى هذا بعضُ الرواة عن عاصم بن أبي النّجود. فأمّا القراءة المستفيضة في الأمة والسائرة بين الأئمة فهي: ﴿من قطران﴾. وأما الجريض فإنّه معالجة النفس للخروج، وأمّا قول عبيد: «فللموت ما تلدُ الوالدة» فقد رُوِيت الأبياتُ التي هذا منها على غير هذه الألفاظ وفي غير هذه القصّة، وأنشدناها لغير عبيد وهي[1]:

لا يُبْعِدِ الله ربُّ العباد والمِلح ما وَلَدَتْ خالِدَهْ[2]
هم المطعمون سديفَ السَّنام والشحمَ في الليلةِ البارده[3]
فأن يكن الموتُ أفناهُمُ فللموتِ ما تلدُ الوالده

معنى قوله: «فللموت ما تلد الوالده» إن مآل المولود إلى الموت، ومن هذا قول الشاعر:

وللمنايا تربّي كلُّ مرضعةٍ وللخراب يُجِدُّ الناسُ عمرانا

وقال آخر[4]:

لدوا للموتِ وابنوا للخرابِ فكلكمُ يصيرُ إلى ذهابِ

ومن هذا النحو قول الله تعالى: ﴿فالتقطه آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً﴾ [القصص: ٨] فهم وإن لم يكن مآل أمرهم معه فيما قصدوه ولا أرادوه بمنزلة من ابتدأ شيئاً التماساً لعاقبته فجاء على تقديره وإرادته. ولهذا المعنى

---

(١) البيت الأول في اللسان (ملح)، والأبيات في اللسان (لوم) منسوبة إلى شتيم بن خويلد الفزاري يرثي أولاد خالدة الفزارية وهم كردم وكريدم ومعرض؛ قال ابن بري: وقيل إن هذا الشعر لسماك أخي مالك بن عمرو العاملي، وكان معتقلاً هو وأخوه مالك عند بعض ملوك غسان.

(٢) الملح: الرضاع.

(٣) لم يرد هذا البيت في اللسان.

(٤) هو أبو العتاهية، ديوانه: ٣٣.

نظائر في العربيّة يُتْعِبُ إحصاؤها. والبصريون من النحويّين يسمّون هذه اللاّم، وإن كانت على صورة لام كي، لامَ العاقبة ولامَ الصيرورة، لأنَّ عاقبة الشيء المذكورة انتهت إلى ما أخبر به وصارت إليه، وإن لم يكن ممّا آثره الفاعل ولا أراده، ويسمّونها أيضاً لام الصيور. وأمّا الفراءُ في أصحابه الكوفيّين فيذهبون إلى أنّها لام كي لمّا كان المآلُ لا محالة انتهى إلى ما انتهى إليه صار بمنزلة ما ابتدى يُراد به ما صار إليه؛ ونظيرها أن يسقي الرجلُ الرجلَ دواءً ليشفيه من دائه فيتلف، فيقال سقاه دواء فقتله، وسقاه ليقتله، أي كان بمنزلة من قصد إتلافه وإن كارهاً لهذا غيرَ مختارٍ له. ونظير هذا قولهم أردت نفعه فضررته، لا يريدون بهذا أنّه قصد الإضرار به، وإنّمـا أراد أنّه استُضِرَّ بما أريد نفعه به. ومعنى قول البصريّين والكوفّيين في هذا متقارب إذا تُحُقِّقَ معناه مصيبٌ في قوله. وهذا باب مستقصىً مُلَخَّصٌ مستوفىً فيما أَلَّفناه من علوم القرآن. وليلة الطَلَقِ وليلة القَرَبِ من الليالي التي يُسْرَى فيها إلى الماء، وليس هذا موضعَ ترتيبها.

[وهب يقرأ نقش حجر]

حدَّثنا عبد الله بن محمّد بن جعفر الأزدي قال: حدّثنا أبو بكر بن أبي الدنيا قال: حدثنا ابن إدريس قال: حدّثنا أبو زكريّا التيميّ قال: بينما سليمان بن عبد الملك في المسجد الحرام إذ أُتيَ بحجر منقور فطلب من يقرأه، فأُتي بوهب بن منبّه فقرأه فإذا فيه: ابنَ آدم، إنّك لو أبصرت قليلَ ما بقي من أجلك لزهدت في طول أملك، ولرغبتَ في الزيادة من عملك، ولقصّرت عن حرصك وحيلك، وإنّما يلقاك غداً ندمك، لو قد زَلَّتْ بكَ قدمك، وأسلمك أهلك وحشمك، فبان منك الولدُ القريب، ورفضك الوالدُ والنسيب، فلا أنت إلى دُنياك عائد، ولا في حسناتك زائد، فاعمل ليوم القيامة، قبل الحسرة والندامة. قال: فبكى سليمان.

[والد ذاهل يرثي ابنه الوحيد]

حدثنا أحمد بن العبّاس العسكري قال، حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال، حدّثني حمنة بن القاسم بن حمزة العلوي قال، حدثني إسحاق بن يعقوب البصري قال: كان لبني العباس مولىً يقال له الوزير بن عبد ربّه، وكان قد عُمّر حتى فقد ماله وولده فلم يبق له إلا ابنٌ واحد يقال له إبراهيم، وكان إبراهيم الّذي يغذوه ويرفُقُ به، والشيخ شبيهٌ بالواله، فرمي في جنازة ابنه إبراهيم، فأخذ الجيران في مصلحته، وإنّه لجالسٌ[1] في ناحية بمنزله لا يحيرُ شيئاً، أكبر ظنّهم أنّه لا يفهمُ ما نزل به من فقد ابنه إبراهيم، حتّى إذا أصلحوا شأنَه، وحملوا سريره، خرج يدرجُ قدّامَ الجنازة، فلمّا انتهوا به إلى شفير قبره ضرب يده إلى أكفانه ثمّ أنشأ يقول:

إنّي لأصبَرُ مَنْ يمشي على قَدَمٍ ... غداةَ أُبقى وإبراهيمُ في الرُّجُمِ
يا مَنْ لعينٍ أبان الله قُرَّتها ... ومَن لسمْعٍ رماهُ الله بالصمم
قالوا أطلتَ الأسى فاربِعْ عليك، وهل ... بكيتُ حِبّيَ ما لم أبكِهِ بدم
بُدِّلْتُ من فرحي الماضي به تَرَحاً ... وعاد عهدُ أبي إسحاق كالحلم
فالله موضعُ ما أشكو وغايتُهُ ... وبالإله من الشيطان مُعْتَصَمي
قد ذاقه من به سَمَّيتُ فانهملت ... عينُ النبيّ عليه سحَّةَ السجمِ
فقال ما أنا فيكَ اليومَ قائلُهُ ... وبالإله سدادُ الفعلِ والكلم
ما برَّ من قال يبري الوجدُ صاحبه ... وقد بقيتُ ووجدي ليس بالأَمم

[تعصب المأمون للأوائل من الشعراء]

حدثنا محمد بن يحيى الصولي قال، حدثني عبد الله بن الحسين قال، حدّثني النجدي عن إبراهيم بن الحسن بن سهل، قال: كان المأمون يتعصّب للأوائل من الشعراء ويقول: انقضى الشعر مع انقضاء ملك بني أميّة. وكان

(١) م: جالس.

عمّي الفضل يقول له: الأوائل حجةٌ وأصول، وهؤلاء أحسن تفريعاً، إلى أن أنشده يوماً عبد الله بن أيّوب التيمي[1] شعراً مَدَحَه فيه فلمّا بلغ قوله:

ترى ظاهرَ المأمون أحسنَ ظاهرٍ ... وأحسنُ منه ما أسرَّ وأضمرا
يُناجي له نفساً تَرِيعُ بهمةٍ ... إلى كلّ معروفٍ وقلباً مطهّرا
ويخشعُ إكباراً له كلُّ ناظرٍ ... ويأبى لخوف الله أن يتكبّرا
طويلُ نجادِ السيف مضطمرُ الحشا ... طواه طرادُ الخيل حتّى تحسَّرا
رِفَلٌّ إذا ما السّلم رَفَّلَ ذيله ... وإنْ شَمَّرَتْ يوماً له الحربُ شمّرا

فقال للفضل: ما بعد هذا مدح، وما أشبَهَ فروعَ الإحسانِ بأصوله.

(١) عبد الله بن أيوب التيمي أبو محمد شاعر كوفي من شعراء الدولة العباسية كان من المجان الوصافين للخمر، اتّصل بالبرامكة ومدحهم ثم بالأمين، ثم خرج إلى المأمون وامتدحه وشفع له عنده الفضل بن سهل (انظر الأغاني ١٩: ٣١٩ - ٣٣٧).

المجلس الخامس والتسعون

[من حديث المعراج]

أخبرنا القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا الجريري قال، حدّثنا الليث بن محمّد بن الليث أبو نصر المروزي قال، حدّثني أبو الحسين صعصعة بن الحسين الرقي الأنصاري قال، حدّثنا محمّد بن عنبسة بن حمّاد قال، حدثنا أبي عن جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ[1]: «لمّا عُرج بي إلى السماء بكت الأرضُ من بعدي فنبت اللَّصَفُ[2] من مائها، فلمّا أن رجعتُ قطرَ من عرقي على الأرض فنبت وردٌ أحمر، ألا من أراد أن يشمّ رائحتي فليشمَّ الورد الأحمر».

قال القاضي: اللصَفُ: الكبر وما أتى به في هذا الخبر هو اليسير من كثير ممّا أكرم الله عزّ وجلّ به نبيّه ﷺ، ودلَّ على فضلِهِ ورفيعِ منزلته من ربّه، وهو عليه الصلاة والسلام أهلٌ لكلٍّ ما أنعم الله تعالى ذكرُهُ به عليه، وأسدى له من شريف الكرامة إليه، وما له عنده في معاده ودار كرامته أعظمُ من أن يُعَبِّرَ عنه الخلقُ بألسنتهم، وأجسمُ من أن يخطرَ بقلوبهم، فهنيئاً له ما أولاه الله من إنعامه وشريف إكرامه، وجعلنا الله عز وجل ممّن يلقاه في معاده، مؤدياً ما أَلْزَمَهُ

(١) واضح أن هذا من الموضوعات.

(٢) اللصف: شيء ينبت في أصول الكبر كالخيار، وقيل هو الكبر نفسه، والكبر: نبات له شوك.

من حقِّ شريعته، وأنالنا النورَ والكرامةَ والسعادةَ بشفاعته، إنّه أكرمُ الأكرمين وأرحمُ الراحمين. وقد روينا معنىٰ هذا الخبر الّذي رسمناه ها هنا من طرق حضرنا منها هذا فأتينا به.

[الغلام الراعي والجنيون الثلاثة]

حدّثنا محمّد بن الحسن بن دريد قال، حدثنا عمّي قال، حدّثني أبي عن ابن الكلبي قال: خرج غلامٌ من مَذْحِج، أحسبُهُ قال: من صُدَا يرعى غُنَيْماتٍ له، فأدركته السماء فأوى إلى كهفٍ فأكنَّ غنمه واقتدح ناراً واحتلب لبناً فوغره[1]، فإذا ثلاثةُ نفر قد ولجوا عليه الغارَ فحيَّوْهُ فردَّ تحيّتهم وقال: هلمّوا، وقرَّب إليهم غُمَرَه بما فيه، فأخذه أحدهم فشمَّه ثمَّ ردّه ثم أنشأ يقول:

يا راعي الضأنِ اغتنثْ من محضكا ... روى [لك] الله قفيل نحضكا

يقال: اغتنثتُ من الاناء شربةً أو شربتين إذا جرعت. يقال: جرع ولعق يلعق، والقفيل: اليابس، والنحضُ: اللحم.

ولا عدمت غبيةً بأرضكا ... تعيدُ غَمْراً ما انزوى من برضكا

الغبيةُ: الدفعةُ من المطر، الغمر: الماء الكثير، الانزواء: التقبض، والبَرْضُ: الماء القليل؛ قال: ومن الانزواء قول الأعشى[2]:

يزيدُ يغضُّ الطرفَ دوني كأنّما ... زَوَى بين عينيه عليَّ المحاجمُ
فلا ينبسطْ من بينِ عينيكَ ما انزوى ... ولا تَلْقَني إلّا وأنفُكَ راغم

وروي عن النبي ﷺ أنّه قال[3]: «زُويتْ لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمّتي ما زوي لي منها».

---

(١) وغره وأوغره: جعله يسخن إلى درجة الغليان.
(٢) ديوان الأعشى: ٥٨.
(٣) الحديث في مسند أحمد ٤: ١٢٢، ٥: ٢٧٨، ٢٨٤.

وقال الثاني:

يـا راعـي البَهْـمِ سُقيتَ ريّـا   ولا تـزال تـطأ الـسُّـمـيّـا

والسمي: جمع السماء، والمعنى المطر؛ حُكي عن العرب: ما زلنا نطأ السماء حتّى أتيناكم.

وَسْـميَّـهـا والتـابـعَ الـولـيّـا   لا تعـدمُ الـدّهـرَ حياً مـرعيّا

قال القاضي: الوسميُّ: أول مطر الربيع، وقيل: إنّما سمّي وسمياً لأنّه يسم الأرض، والوَليُّ المطرةُ الّتي تلي الوسمي، والحيا: الغيث، مقصور، قال ذو الرمّة[1]:

خليليّ لا تستيئسا واسألا الـذي   لـه كـلّ أمـرٍ أن يصـوبَ ربيـعُ
حيـاً لبـلادٍ شيَّبَ المحـلُ أهلهـا   وجبـراً لعظم في شـظاه صـدوعُ

يروى البيت الأوّل على وجهين لا تستيئسا من اليأس ولا تستبئسا من التباؤس والتمسكن.

وقال الثالث:

يـا سـاقيَ البهم سقـاكَ السّـاقي   بكـلِّ أحـوَى مُثْجمٍ غـيـداقِ
حـتّى تـرى ظـواهـرَ البـراق   ضـاحكةَ الـروضِ إلى الاشراق

قال القاضي: الأحـوى: الأحمر الـذي تضرب حمـرته إلى السّـواد، والمثجم: المقيم، يقال: أثجم فهو مثجم إذا أقام، وغيداق: كثير واسع من قول الله تعالى: ﴿لأسقيناهم ماءً غدقاً﴾ [الجن: ١٦] وغيداق فيعال منه والياء زائدة، والبراق: جمع بُرقةٍ. فقال الغلام:

حيّـيـتُـم مـن فتـيـةٍ أزوالِ   شُـمِّ الأنـوف سـادةٍ أقـوالِ

(١) لم يردا في ديوان ذي الرمة؛ ولعلهما من قصيدة له مطلعها (ديوانه ٢: ١٠٧٧).
أمِن دمنـة بـالجـو جـوّ جـلاجـل   زمـيـلك مـنـهـلّ الـدمـوع جـزوعُ

أقوالٌ يصفهم بالسّؤدد والرئاسة، ويقال: قيل وأقيال وأقوال لملوك اليمن، وقيل إن القيل هو من دون الملك الأعظم، وقيل إنّ أصله من القول فمن هاهنا قيل أقوال، كأن أصله قَيِّل أي فيْعل، والأصل قَيْوِل، فقلبت الواو ياءً لسكون الياء. وإذا اجتمعت الواو والياء والأوّل منهما ساكنٌ قُلبت الواو ياءً وأدغم الحرف الأوّل في الثاني فصار ياءً مشددة. وخففوا فقالوا: قَيْل، ومثله ميْت وميّت وأصله مَيْوِت. وكان الفرّاء يأبى أن يكون في المعتل فيعل كما لم يأت في الصحيح، ويزعم أن أصل هذا فعّيل، ولما يحتجُّ به ويحتج به مخالفوه مكان هو أولى به، وأكثرهم يقول: قَيْلٌ وأقيال كما قال عبد المسيح بن حنان بن بُقَيْلَة[1]:

رسولُ قَيْلِ العُجْمِ يسري بالوثن[2]

ويجمع القيل أيضاً قيولاً، ويقولون للمرأة قَيلة، وبه سُمّيت قيلة.

إنّ القِرى يُعتدُّ للنُّزّالِ فدونكم مدمومة الأوصال

فأحْنِذُوا من هذه الأجذال

قال القاضي: أحنذوا معناه اشتووا، من قول الله تعالى: ﴿بعجل حنيذ﴾ [هود: ٦٩] أي محنوذ، ومعناه مشويٌّ، وقيل: هو الذي يُشوى على الأرض أو فيها ولا يبالغ في إنضاجه وإنّه من شيّ الأعراب، وقيل: إنّه الرطبُ الّذي فيه نداوةٌ، ومنه حنذتُ الفرسَ إذا أجريتَهُ ليعرقَ؛ والأجذال: جمع جِذْل، ويقال جذال، وهو العود من الخشب كما قال ذو الرمّة الشّاعر[3]:

ما كنتُ في الحربِ العوان مُغَمَّراً إذ شَبَّ حَرَّ وقودها أجذالُهَا

---

(١) اللسان (سطح).

(٢) اللسان: بالوسن.

(٣) ليس في ديوان ذي الرمة قصيدة على هذا الوزن وهذه القافية.

وقال ذو الرمّة(١):

يـظلّ بها الحـرباءُ للشمسِ ماثلاً ... على الجِـذْلِ إلاّ أنّـه لا يُكَبِّـرُ

وقال الحباب بن المنذر يوم السقيفة: أنا جُذَيْلُها المحكّكَ، هذا معناه.

[تتمة الخبر]

ثم قام إلى شاةٍ ليذبحها فقالوا له: لا تفعل فإنّا لا نأكل منها، وقال له أحدهم:

بـوركـت مـن حَـزَوَّرٍ بـذَّالِ ... رَحْبِ الفنـاء عُـرضـة النـزَّالِ
إنّ لـنـا فـي الأُبَّـدِ الأَهـمـال

قال القاضي: الأُبدُ جمع آبدٍ وآبدة، يجمع أيضاً أوابد، وهو الوحشي، يُقال: تأبّد العير إذا توحّش، وهو نقيض تأنّس. وروي عن النبي ﷺ أنّه قال في بعير ندَّ من الغنيمة يوم خيبر فرماه رجل من أصحابه بسهم فأثبَتَهُ: «إن لهذه الإبل أوابد كأوابد الوحش فما غلبكم منها فاصنعوا به هكذا»، وقال الأعشى(٢):

شبّـهتـه هِقْـلاً يـبـاري هقـلةً ... ربـداءَ في خيطٍ تـطاردُ أُبَّـدا(٣)

وقد يقال للربع والمنزل إذا خلا من أهله وأوحش وأقفر قد تأبّد، قال الأعشى(٤):

---

(١) ديوان ذي الرمة ٢ : ٦٣١.

(٢) ديوان الأعشى: ١٥٢.

(٣) روايته في الديوان:

وكـأنـه هـقـل يـبـاري هـقـلة ... رمـداء فـي خـيط نـقـانـق أرمـدا

وفي رواية أخرى عن أبي عبيدة: رمداء تتبعان خيطاً أربدا. والهقل: ذكر النعام، والرمداء مثل ربداء.

(٤) لم يرد في ديوانه ولعله مطلع قصيدته الرائية التي جاءت من غير مقدمة، وأولها في الديوان (١٢٦):

شـريـح لا تـتـركنّي بعـدمـا علقت ... حبـالـك اليـوم بعـد القـد أظفـاري

تـأبّد الـربْعُ من سلمى بـأحصارِ   وأقفـرتْ من سليمى دمنةُ الـدار

ويقالُ: قد أتى فلان بآبـدة إذا جاء بكلمة فظيعة أو فعلة موحشة بديعـة، وإنّه ليأتي بالأوابد. والأهمال ما أُهْمِل ولم يكن له راعٍ.

أرفــيّ كـلِّ ثــرّةٍ مِـجْـفـالِ

قال ابن دريد: الأرفيّ: لبن الظباء، قال القاضي: وقوله: ثرَة غزيرة، ويْروي بيت عنترة[1]:

جــادتْ عليــه كــلُّ عيـنٍ ثــرّةٍ   فتـركن كـلَّ قـرارةٍ كـالـدرهم[2]

وقوله: مجفال: أي كبيرة تعمُّ لسعتها، ومن هاهنا قيل: فـلان يدعـو الجفَلَى أي يعمّ بدعوته، وإذا خصّ ولم يَعُم قيل: دعا النَّقَرى، قال طرفة[3]:

نحن في المشتـاةِ ندعـو الجفلَى   لا تــرى الآدبَ فـينـا يَـنْـتَـقِـرْ

وقال الآخر:

إنّــا سنجـزيــك جــزاءً جــزلا   فـقــد بَــرَعْــتَ كـرمــاً وبَــذْلا
إنَّ بـأقصى ذا الكُهَيْفِ هجلا[4]   فـاختـفِ مـنــه جنبـاً مبتـلا
تـلـقـى غـنـىً يـطـردُ عـنـك الأزلا

قال القاضي: الهجل: الشيء المخبوء الكثير، وقوله: فاختفِ منه جانباً مبتلًا: أي اكتشفه وأظهره، يقال: اختفى فلان كذا إذا أظهره بعد استتـاره، ومثله خَفَاه، وخفيتُ الشيءَ أظهرته، وأخفيته سترته. وروي أن النبي ﷺ لعن المختفي والمختفية يعني النبَّاشَ والنبّاشة. وقد ذكرت من وجوه هذا البـاب وتصريفه في بعض أوائل مجالسنا هذه وفيما رسمناه من علوم القرآن ما يُغْني

(١) شرح السبع الطوال: ٣١٢.

(٢) العين: مطر أيام لا يقلع. كالدرهم: امتلأت بالماء فاستدارت استدارة الدرهم.

(٣) ديوان طرفة: ٦٠.

(٤) الهجل: المطمئن من الأرض.

عن إعادته في هذا المكان. وقوله يطرد عنك الأزل ـ بفتح الهمزة ـ الفاقة والفقر والإضاقة، فأما الإزل ـ بكسر الهمزة ـ فالكذب، قال الشاعر[1]:

يقولون إزْلٌ حبُّ ليلى وذكرُها وقد كذبوا ما في مودّتها إزلُ

ومن الأزل بمعنى الضيق قول زهير[2]:

تجدهمْ على ما خيَّلتهم إزاءها وإن أفسد المالَ الجماعاتُ والأَزل[3]

يروى هم إزاءها وعلى أن تجعل في موضع اسم مرفوع، إلاّ أنّه نصب على الظرف، واستقام فيه الوجهان كخلف وإمام، قال لبيد[4]:

فَغَدَتْ كلا الفرجين تحسبُ أنه مولى المخافةِ خلفُها وأمامُها[5]

وهذا من الباب الذي أتى على السعة، قال الله تعالى: ﴿بل مكر الليل والنهار﴾ [سبأ: ٣٣]. وإذا جعل إزاؤها بمعنى المختصّ بالإسمية دون الظرف، وجعل مكانه اسم محض لا يكون ظرفاً وكان على أفعل أو فيه لام وألف اتجه فيه وجهان من الإعراب: الرفعُ على أنّه خبر الابتداء الّذي هو هم، وهي لغةُ أهلِ نجدٍ وبني تميم، والنصب على أنّه مفعول «تجدهم» الثاني، ويكون هم فصلاً، وهذه عبارة البصريين من النحويين، فأمّا كوفيّوهم فيسمّونها العِمَاد، وكلُّ ما أتى في القرآن من هذا الباب فهو منصوب في قراءتنا ورسم مصاحفنا، وقد حكي رفعه في قراءة ابن مسعود ورسم مصحفه، ففي قراءتنا: ﴿ولكن كانوا هم الظالمين﴾ [الزخرف: ٧٦] وفي ما روي عن عبد الله: ﴿ولكن كانوا هم الظّالمون﴾. وممّا جاء في الشعر نصباً قول الشاعر:

---

(١) هو عبد الرحمن بن دارة كما في اللسان (أزل).

(٢) شرح ديوان زهير: ١٠٥.

(٣) الضمير في إزاءها يعود إلى الحرب المذكورة قبل؛ أي تجدهم هم الذين يقومون بها ويدبرونها، إذا كان غيرهم من الناس يحبسون أموالهم فلا ينحرون.

(٤) شرح ديوان لبيد: ٣١١ وشرح السبع الطوال: ٥٦٥.

(٥) يصف بقرة الوحش، أي هي أصبحت خائفة من كلا جانبيها، من خلفها وأمامها.

وجـدنـا آلَ مُـرَّةَ حين خـافـوا   جـريـرتَنـا هُمُ الأُنُفَ الكرامـا

ومن المرفوع قول الآخر:

أَجِـدَّكَ لـن تـزالَ نـجيَّ تـيـم   تبيتُ الليـل أنت لـه ضجيـع

وفيما ألّفناه من علوم القرآن استقصاء هذا الباب بحججه وشواهده.

فقال الثالث:

إذا احتفـرتَ منكبـاً[1] فلجّـفِ   من عن يمين الجَلَدِ المحصَوْصِفِ

ثم اعتقم قِيـدَ الـذراع واكشفِ   عن مثل رأسِ الكودن المقـرَّفِ

وَثِـقْ بـعـيـشٍ غَـمْـرُهُ لـم يـنـزفِ

فخرجوا عنه، فقام الغلام إلى حيث وصفوا وحفر كما أمروا، فاستخرج صنماً كرأس الكودن من ذهب له عينان من جوهر أحمر، فأصبح الغلام والله أكثرَ أهل الحواءِ مالاً وأحسنهم حالاً.

قال القاضي: قوله: فلجِّف أي بالغ وأعمق، كما قال الشاعر[2]:

يَحُـجُّ مأمـومةً في قَعْـرهـا لَجَفٌ   فاستُ الطبيب عليها كالمغاريد[3]

والجلد المحصوصف من الأرض: الصّلب الجَدَد. وقوله «ثم اعتقم فيد الذراع» أي ذلله بحفرك إيّاه بعد أن كان في استصعابه بمنزلة العقيم الذي لا يفتح لشدّته، وقيد الذراع: قدره ومقياسه ويقال قيد وقدىً كما قال الشاعر[4]:

وإني إذا ما الموتُ لم يـكُ دونَهُ   قدى الشبر أحمى الأنف أن أتأخّرا

---

(١) المنكب: الجانب من الأرض.

(٢) هو عذار بن درة الطائي كما في اللسان (لجف. غرد. حجج). وفيه: قذاها كالمغاريد.

(٣) يصف شجةً؛ يحج: يسبر الشجة بالميل ليعالجها؛ المأمومة: الآمّة التي تهجم على الدماغ. وقيل: المأمومة هي التي بلغت أم الرأس؛ واللجف: الاتساع من الجوانب؛ والمغاريد جمع، والمفرد: مغرود (قيل بفتح الميم وضمها) وهي نوعٌ من الكمأة.

(٤) هو هدبة بن الخشرم كما في مجموع شعره: ٩١ واللسان والتاج (قدى).

ومنه قاب، قال الله تعالى: ﴿فكانَ قَابَ قَوْسَيْن أو أَدْنَى﴾[النجم: ٩]. وقد بيّنا ما في هذه الكلمة من اللغات في غير هذا الموضع. والكوادن: المقاريف من الخيل، وكذلك الهجين منها، تقصّر في كرمها وفضلها عن عتاقها، ورؤوسها أعظمُ من رؤوس العتاق، فلذلك شبَّه به الشّاعر ما شبّه. وقيل في قوله في أوّل الخبر «واحتلب لبناً فوغره» أنه أسخنه وأودعه إناءه، وأنّه أشار بقوله: إن بأقصى ذا الكهيفِ هجلا إلى كثرة ما أومىء به إليه.

قال القاضي رحمه الله: قوله هلموا جاء على اللغة النجدية، وقد بينا في مجالس قبل هذا ما في هلم من اللغات بما يغني عن إعادته. وقوله مدمومة الأوصال إشارة إلى الشاة التي أمرهم بشيها. وقوله: «وقرب إليهم غمره» الغمر: القدح الصغير كما قال الشاعر[1]:

يكفيه حَـزَّةُ فِلْذٍ إنْ أَلَـمَّ بهـا ... من الشـواءِ وَيُروي شُـرْبَهُ الغُمَـرُ

[أبو الينبغي والمأمون]

حدّثنا الحسين بن القاسم الكوكبي قال، حدثنا القاسم بن خرداذبه قال: كان أبو الينبغي[2] يُحَمَّق، وكان أحد الدواهي والمجّان، وكان يتكسَّبُ بالحمق، فلما قتل محمد بن زبيدة وصار الأمر إلى المأمون ذكر له أبو الينبغي فأمر بإحضاره، فلما دخل عليه وسلَّم أمره بالجلوس فجلس، فقال له بعض الجلساء: قم فأنشد أمير المؤمنين، فقال: يا رقيع، أمير المؤمنين يقول لي: اجلس وأنت تقول لي قم. فقال المأمون: بل اجلس وأنشد، فقال: نعم يا أميز المؤمنين، وأنشأ يقول:

(١) هو أعشى باهلة يرثي أخاه المنتشر بن وهب الباهلي، وهي قصيدة أصمعية؛ وانظر أيضاً الكامل للمبرد ٣: ١٤٣١ والخزانة ١: ٣٠ وشعر أعشى باهلة (مع شعر الأعشين): ٢٦٨.

(٢) أبو الينبغي: اسمه العباس بن طرخان، كان هجاءً، هجا الفضل بن مروان فحبسه ومات في الحبس في حدود سنة ٢٣٥؛ وهو يستعمل اللغة العامية في شعره ولا يهتم بالإعراب، ويتعمد ذلك ليشيع شعره على ألسنة العامة والصبيان (انظر طبقات ابن المعتز: ١٣٠).

كُنْتُم أنتم ثلاثةْ كلّكم نسلُ الملوكْ
ذهب الموتُ بواحدْ ما أرى ذاك يَسُوكْ

فقال المأمون: اغرب قبحك الله، وأمر به فأخرج، ثم قال: لا والله ما ينبغي أن نُخَيِّبه فقد قال على جنونه شبيهاً بالحق، لا والله أعطوه عشرة آلاف فقبضها وانصرف. وهو يقول: شبيه بالحق، لا والله إلا الحق كلّه.

[سيل باليمن يكشف عن جثمان شخص]

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري قال: حدثني أبي قال: حدثنا أحمد بن عبيد عن المدائني قال، قال عبد الملك بن عمير عن رجل من أهل اليمن قال: أقبل سيلٌ باليمن في ولاية أبي بكر رضي الله عنه فأبرز لنا عن باب البلق، وهو الرخام، فظنناه كنزاً، فكتبنا إلى أبي بكر رضى الله عنه نعلمه ذاك، فكتب إلينا لا تحركوه حتى يقدم عليكم أمناء من قبلي. قال: فلما قدم أمناؤه فتحناه فإذا نحن برجلٍ على سريرٍ طوله سبع عشرة ذراعاً وعليه سبعون حلة منسوجة بالذهب، وفي يده اليمنى لوحٌ وفي يده اليسرى محجن، وفي اللوح مكتوب ما هذه ترجمته:

إذا خان الأَميرُ وكاتباه وقاضي الأَرضِ داهنَ في القضاءِ
فويلٌ ثم ويل ثم ويل لقاضي الأرضِ من قاضي السماء

قال: وإذا عند رأسه سيف أشدّ خضرةً من البقلة، وعلى السيف مكتوب: هذا سيف هود بن عاد بن إرم.

المجلس السادس والتسعون

[حديث اتزنْ وأرجحْ]

حدثنا المعافى قال، حدثنا أبي رضي الله عنه قال، حدثنا أبـو محمد محمـود بن محمد المـروزي الوراق قـال، حدثنـا علي بن حجـر بن أنـاس السعدي قال، حدثنا أبو سفيان بـن زياد عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، عن الأعرابي مسلم، عن أبي هريرة قال[1]: دخلتُ مع رسول الله ﷺ السـوق، قال: فقعد إلى البزازين فاشترى سراويلَ بأربعـة دراهم، قال: وكـان لأهل السوق رجلٌ يَزِنُ بينهم الدراهم يقال له فلان الوزان، فـدعا بـه ليتزن ثمن السراويل، فقال النبي ﷺ: «اتزن وأرجح»، قال فقال الرجل: إنَّ هذا القولَ ما سمعته من أحد فمن أنت؟ قال أبو هريرة، فقلت: حسبك من الرَّهَقَ وكفاً في دينـك ألا تعرفَ نبيـك، هذا رسـولُ الله ﷺ، فألقى الميـزانَ ووثب إلى يدِ رسول الله ﷺ ليقبلها، فمنعه رسول الله ﷺ وقال: «مَهْ إنما يفعل هذا الأعاجم بملوكها، وإني لستُ بملك، إنما أنا رجلٌ منكم». قال: فقعد الوزّانُ فاتزن وأرجح كما أمره رسول الله ﷺ. فلما انصرفنا تناولتُ السروايلَ لأحملها عنه فمنعني وقال: «صاحبُ الشيءِ أحقُّ بحمله إلا أن يكونَ ضعيفاً عنه فيعينه أخوه

---

(١) الحديث عن أبي هريرة في مجمع الزوائد ٥: ١٢١ ـ ١٢٢ مع اختلاف يسير. وقال الهيثمي. رواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط.

المسلم». قلت: يا رسولَ الله إنك لتلبسُ السراويـل؟ قال: نعم في السفـر والحضر والليل والنهار، قال أبو سفيان: وشككتُ في قوله «ومع أهلي» - إني أُمرتُ بالتستر فلم أجدْ ثوباً أستر من السـراويل.

[شرح وإعراب]

قال القاضي: قول أبي هريرة للوزان: «حسبك من الرهق» يعني الهجومَ على الباطل، والمبادرة إلى غشيان الشرِّ والإسراع إلى تقحمه. ومنه قوله جل اسمه: ﴿فزادُوهُمْ رَهَقاً﴾ [الجن: ٦] وقوله: ﴿فلا يخاف بخساً ولا رهقاً﴾ [الجن: ١٣] وقوله ﴿ولا يرهقُ وجوهَهُمْ قَتَرٌ﴾ [يونس: ٢٦]. وقول أبي هريرة: «حسبك من الرهق وكفاً في دينك» الوكف: العيب، قال الشاعر[1]:

الحـــافـــظو عـــورةَ العشيـــرةِ لا يـــأتيـــهـــمُ مـــن ورائـــهـــم وَكَـــفُ

نصب العورة لأنه أراد الحافظون العورةَ من الوكف، ومثله الفارجو بابَ الأمر المبهم. وقد روي عن الأعمش أنه قرأ ﴿إنا مرسلو الناقَةَ﴾ وقرأ عمارة بن عقيل: ﴿ولا الليل سابقُ النهارَ﴾ [يسٓ: ٤٠]. وهذا الفصل باب من أبـواب النحو واسع وفروعـه ومسائله وشـواهده ودلائله كثيـرة، ولها مـوضع غيـر هذا هي مشروحة فيه، ويسميه البصـريون من اللغـويين باب الصفـة المشبهة بـاسم الفـاعل. وسـراويل في الأصـل اسم أعجمي أشبه من كـلام العـرب مـا لا ينصرف، وهي بالفارسية شروال فبنتها العربُ على ما لا ينصرف من كلامها، فإذا صغَّرتها صرفتها إلا أن يكون اسم رجل. وفي هذا الخبر ما دلَّ على أن السـروايل من المـلابس المختارة، فينبغي لكـلِّ ذي دين وفطرة سـويـة من المسلمين أن يجعلَ السراويل من أمثلة لبوسه للأثر الوارد فيه ولأنَّ فيه من ستر العورات والادفـاء من القرّ في السيرات ما ليس في غيره.

---

(١) هو في الأرجح عمرو بن امرىء القيس الخزرجي كما في الخزانة ٢: ١٨٩، ١٩٠ (٤: ٢٧٢ - ٢٨١) وتنسب الأبيات لقيس بن الخطيم، وهي في ديوانه: ٦٢ وانظر البيت في اللسان والتاج (وكف) وغريب الحديث للخطابي ٢: ٩٠.

[سراويل قيس]

حدثنا أحمد بن محمد بن أبي العلاء الأضاحي قال، حدثنا أبو سعيد عبد الله بن شبيب قال، حدثني يعقوب بن إبراهيم الدورقي قال، حدثني أبو نميلة يحيى بن واضح قال، أخبرني رجل من ولد الحارث بن الصمّة يكنى أبا عثمان قال[1]: بعث قيصر إلى معاوية بن أبي سفيان أن ابعثْ إليّ سراويلَ أطول رجلٍ من العرب، فقال لقيس بن سعد: ما أظننا إلا قد احتجنا إلى سراويلك، قال: فقام فتنحّى فجاء بها فألقاها إلى معاوية، فقال معاوية: يرحمك الله ما أردت إلى هذا؛ ألَا ذهبتَ إلى منزلك ثم بعثت بها إلينا؟ فقال قيس:

أردتُ لكيما يعلمَ الناسُ أنها   سروايلُ قيسٍ والوفودُ شهودُ
وألا يقولوا غاب قيسٌ وهذه   سراويلُ عاديّ نمَتْهُ ثمود
وإني من الحيِّ اليمانين سيدٌ   وما الناسُ إلا سيدٌ ومسود
فَكِدْهُم بمثلي إن مثلي عليهمُ   شديدٌ وخَلقي في الرجال مديد

قال: فأمر معاوية أطول رجل في الجيش فوضعها على أنفه فوقعت بالأرض. قال: فدعا معاوية بسراويل، فلما جيء بها قال له قيس: نحِّ عنك ثيابك هذه، فقال معاوية:

أما قريشٌ فأقوامٌ مسرولة   واليثْربيون أصحابُ التبابين

فقال قيس:

تلك اليهود التي تعني ببلدتنا   كما قريشٌ همُ أهلُ السخاخينِ

(١) قارن بأنساب الأشراف ٤/١: ٤٣ (رقم: ١٥٧) والمعارف: ٥٩٣ وابن رسته: ٢٢٥ والكامل للمبرد ٢: ١١٥ وابن خلكان ٤: ١٧٠ - ١٧١ (في ترجمة ابن الحنفية) والاقتضاب: ٢٦٥ ومحاضرات الراغب ٢: ١٩٢ (وانظر مزيداً من التخريج في أنساب الأشراف) وذكر في أسد الغابة ٤: ٢١٦ أن الخبر باطل لا أصل له.

[رواية أخرى للخبر السابق]

وقد روي لنا هذا الخبر من وجوه، وهذا الذي حضرنا منها، وجاء من طريقٍ آخر وفيه زيادة وخلاف في سياقته وبعض معانيه وألفاظه. فمن تامٍّ ما روي فيها أن قيصر كتب إلى معاوية: إني قد وجهتُ إليك برجلين: أحدهما أقوى رجل ببلادي، والآخر أطول رجل في أرضي، وقد كانت الملوك تتجارى في مثل هذا وتتحاجى به، فأخرج إليهما ممن في سلطانك من يقاوم كلَّ واحد منهما، فإن غلب صاحباك حملتُ إليكَ من المال وأسارى المسلمين كذا وكذا، وإن غلب صاحباي هادنتني ثلاث سنين. فلما ورد كتاب قيصر على معاوية أهمه وشاور فيه أصحابه، فقيل له: أما الأَيِّدُ فادعُ لمناهضته إما محمد بن الحنفية وإما عبد الله بن الزبير، فقال: إذا كان الأمر هكذا فالمَنَافِيُّ أحبُّ إلينا، فأحضر محمد بن علي والأيّدُ الرومي حاضر، فأخبره بما دعاه له. فقال محمد للرومي: ما تشاء، فقال: يجلس كلٌّ واحدٍ منا ويدفع يده إلى صاحبه فمن قلع صاحبه من موضعه أو رفعه عن مكانه فقد فلج عليه، ومن عجز عن ذلك وقهر صاحبُه قُضِيَ بالغلبة له، فقال محمد: هذا لك فاختر أينا يبدأ بالجلوس، فقال له: اجلس أنت، فجلس وأعطاه يده، فجعل يمارسه ويجتهد في إزالته عن موضعه فلم يتحرك محمد، وظهر عجز الرومي لمن حضر. فقال له محمد: اجلس الآن، فجلس وأخذ بيده فما لبث أن اقتلعه ورفعه في الهواء ثم ألقاه على الأرض. فسر معاوية وحاضروه من المسلمين. وقال معاوية لقيس بن سعد والرومي الطَوال: تطاولا، فقال قيس: أنا أخلعُ سراويلي ويلبسها هذا العلج، فإن ما بيننا يبين بذلك؛ ثم خلع سراويله وألقاها إلى الرومي فلبسها، فبلغت ثدييه وانسحب بعضها في الأرض، فاستبشر الناس بذلك. وجاءت الأنصار إلى قيس فقالت له تبذَّلْتَ بين يدي معاوية، ولو كنتَ مضيتَ إلى منزلك وبعثت بالسراويل إليه، فقال:

أردتُ لكيما يعلمَ الناسُ أنها ... سراويلُ قيسٍ والوفود شهودُ

وألا يقولوا غاب قيسٌ وهذه سراويلُ عاديٍّ نمته ثمود
وإني من القوم اليمانين سيد وما الناس إلا سيد ومسود
وفضلني في الناسِ أصلي ووالدي وباعُ به أعلو الرجالَ مديد

[مدح بما يشبه الذمّ]

حدثنا محمد بن الحسين بن دريد قال، أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: وفد عبيد الله بن زياد بن ظبيان من بني عابس بن مالك على عتّاب بن ورقاء التيمي فأعطاه عشرين ألفاً، فلما أرادِ توديعه قال له: والله ما أحسنتَ فأمدحَك ولا أسأتَ فأهجوَكَ، وإنك لأقربُ البعداء وأحبُّ البغضاء.

[بين ابن عباس ومعاوية]

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي قال، حدثنا أبو النضر إسماعيل بن ميمون قال، حدثنا إبراهيم بن سعيد قال، حدثني أمير المؤمنين الرشيد قال، حدثني أمير المؤمنين المهدي قال، حدثني أمير المؤمنين المنصور قال، حدثني أبي عن عكرمة قال: لما قدم معاويةُ الحجازَ دخل عليه أبوك عبد الله بن عباس فسلّم عليه، فقال له معاوية: الله أعلمُ حيثُ يجعلُ رسالاته، فقال له أبوك: الحمدُ لله الذي أنطقك يا معاوية بالحقِّ، وعرَّفَكَ حقّنا وفضلنا، وأنا أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجسَ وطهرهم تطهيراً. فقال له معاوية: فكيف رأيتَ الله عز وجل حيث حرمكم هذا الأمر الذي عَرَّضْتُم له أكتافكم؟ فقال له أبوك: إنه كان من عزائم قدرة الله ما يذودنا عن الدنيا وموارد الهَلَكَة أن قال: ﴿قل متاع الدنيا قليل والآخرةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى ولا تُظلَمون فتيلاً﴾ [النساء: ٧٧]؛ فوالله يا معاوية لولا طاعةَ الله لما قدرتَ أن تغرفَ بدلوكَ في طويٍّ شدَّ عليه هاشمُ رِشاءً؛ فتضاحكَ معاوية وقال: أمازحك فلا تحلمُ يا ابن عباس؟ فقال له أبوك: عمن أحلم؟ عمن يرى أن له الفضل؟! ثم نَفَضَ ثوبه

ليخرج فجذبه معاوية وقال: يا ابن عباس عندي ثوب من عَصْبِ اليمن وثوبان من نسج العجم فأهديهما إليك. فلبسهما أبوك وغدا عليه فيهما فقال الشاعر في ذلك:

إن الثيــاب بــآل هــاشمَ زينــة   تزهو ويضعفُ حسنها في المشهدِ
وبنــو أميـة في الثيــاب تــراهمُ   شبـهَ القـرودِ أذلّـةً في المحتِـد

[هاشم، قريش، باهلة... هل تصرف]

قال القاضي: لم يصرف هذا الشاعر «هاشماً» في شعره، أراد القبيلة، ولو أراد الحيّ أو اسم الأب لصرفه، وإن لم يصرف مع هذه النيّة لم يُصِبْ ـ في قول الخليل وسيبويه وجمهور البصريين ـ لأن الشاعرَ له أن يصرف في الشعر ما لا ينصرف في الكلام، وليس له تَرْكُ صَرْفِ المنصرف. وكان الأخفش يجيز ذلك وهو مذهب الكوفيين، وقد استشهدوا بأشياء وردت عليهم فيها، وليس هذا موضعَ استقصاء هذا الباب لكنّا آثرنا ذكر جملة منه يقفُ بها ذو الفهم على الأصل فيه، ويجري عليه قياس باقيه. والّذين أبوا ترك صرفِ ما لا ينصرفُ في الشعر يعتلّونَ بأنَّ الشاعر إذا اضطر إلى ما يُتَنَكّبُ في منثور الكلام رجع إلى أصله وليس له مفارقة الأصل وهـدمه؛ والأصـل في الأسماء الصّـرف، فإذا عَرَضَ في شيءٍ منها ما يَمْنَعُ منه استجيز في الشعر ركوبُ الصرف حملاً على الأصل. فأما تَرْكُ صرف المصروف فنقضُ مـا بني الكلام عليـه في أصله. والذين أجازوا هذا تعلقوا بأبيات أنشدوها على هذا الوجه الذي عابهم عليه فيه مخالفوهم. وقد دفع [الأولون] ما رَوَوْهُ عنهم وأنشدوا كثيراً منه على خلاف إنشادهم. فأمّا وجه ترك صرف هاشم في البيت الذي أُتى في هذا الخبر ونظيره من الأسماء فلأنه ذهب به مذهب القبيلة دون اسم الرجل، ودون حمله على أنه اسم الحي. وإن مثل هذا في الشعر كثير. وهذا كقولهم حضرت قريشُ

ومعدٌّ وثقيفُ وما لا يقال فيه بنو فلان، ألا ترى أنه لا يقال بنو قريش ولا بنو ثقيف[1]. وقال الشاعر[2]:

[غلب المساميحَ الوليدُ سماحةً   وكفى قريشَ المعضلاتِ وسادَها

وقال آخر][3]:

بكى الخزُّ من رَوْحٍ وأنكر جلدَه   وعجَّت عجيجاً من جذامَ المطارفُ

وقال الأعشى[4]:

ولسنا إذا عُدَّ الحصا بأقلَّةٍ   وإن معدَّ اليومَ مُودٍ دليلُهَا

ومثله باهلة، وهو اسم امرأة لا يقال فيه بنو باهلة إلا أنه لا يصرف وإن جُعِلَ اسمَ الحيِّ من أجل التأنيث. ونظير ما وصفنا سبأ قد صُرِفَ وترك صرفه، واختلف القراء فيه فصرفه بعضهم ولم يصرفه بعضهم، وأجراه بعضهم على مذهب الحكاية، وروى فروة ـ صوابه فروة بن مُسَيك الغطفاني ـ عن النبي ﷺ أنه سأله عن سبأ أهو اسم أرض أم امرأة، فقال: ليس بأرض ولا امرأة ولكنه رجل ولد عشرة فتيامن منهم أربعة وتشاءم ستة. وقد أتى في العربية مصروفاً وغير مصروف قال النابغة[5]:

---

(١) هذا ما يقوله الزجاج أيضاً في كتابه ما ينصرف وما لا ينصرف ص: ٥٨ والمبرد في المقتضب: ٣٦٢.

(٢) هو لعدي بن الرقاع، انظر ديوانه: ٩٣ وفيه وكفى قريشاً ما ينوب (وليس فيه شاهد) وسيبويه ٢: ٢٦ والمقتضب ٣: ٣٦٢ والخزانة ١: ٩٨ والانصاف ١: ٢٩٤ واللسان (سمح. قرش) والمذكر والمؤنث للأنباري: ٢٨١ والحماسة البصرية: ٤٤٤ والتنبيه والإيضاح ٢: ٣٢٤ والمذكر والمؤنث للمبرد: ١٣١ وما ينصرف وما لا ينصرف للزجاج: ٥٩.

(٣) ينسب لحمدة بنت النعمان بن بشير تهجو زوجها روح بن زنباع، كتاب ما ينصرف وما لا ينصرف: ٥٧ وسيبويه ٢: ٢٥ والمخصص ١٧: ٤٠ والمقتضب ٣: ٣٦٤.

(٤) ديوانه: ٢٥٦ وكتاب ما ينصرف وما لا ينصرف: ٥٩ والمقتضب ٣: ٣٦٣.

(٥) هو النابغة الجعدي، ديوانه: ١٣٤ وينسب أيضاً لأمية بن أبي الصلت، ديوانه: ٤٩٠ (عن طبقات ابن سلام ١: ١٢٦) وما ينصرف وما لا ينصرف: ٥٩ والكامل للمبرد ٣: ٢٨٦ وسيبويه ٢: ٢٨ والخزانة ٤: ٤.

من سبأ الحاضرين مأربَ إذ   يبنون من دونِ سيله العَرِمَا

ولم يذكر شيئاً مما جاء منه مصروفاً في الشعر إذ لا حُجَّةَ فيه من أجل جواز صرف ما لا ينصرف فيه. وبيت النابغة هذا يشهد لقول من قال: العرمُ المسنَّاةُ أو البناء، ونصبه العرم بالفعل الذي هو يبنون كأنه قال: يبنون العرم من دون سيله. وقصة مأرب والعرم من مشهور القصص، قال الأعشى[1]:

ففي ذاك للمؤتسي أسوة   ومأرب قفَّى عليها العَرِمْ

قفّى مثل عفّى، وأوّل القصيدة:

أتهجرُ غانيةً أم تُلِمّ   أم الحبلُ واهٍ بها مُنْجَذِمْ

أم الصّبر أحجى فإن امرءاً   سينفعه[2] علمه إن علم

وذكر بعد هذا أبياتاً تشتمل على جملة من بنائهم. وقد اختلف في معنى العرم فقيل هو البناء، وقيل هو المسناة بلغة أهل اليمن، وقد قال الأعشى في ذلك:

رخامٌ بَنَتْهُ لهم حمير   إذا جاء دُفَّاعُهُ لم يَرِمْ

وقد يروى: إذا جاء ماؤهم. وقيل العرم الفارة وأنها خرقت من المسناة موضعاً فاتسع وصار نبعاً مفسداً بلغة أهل اليمن، وقال الأعشى في ذلك[3]:

سَعَى جُرَذٌ فيهم ليلةً   فخان بهم جارفٌ منهدمْ

ومما يضارع هذا الباب في بعض فصوله ما أتى من ذكر أسماء الأمم ذوي الملل المختلفين في الآراء والنحل كالمجوس واليهود، قال الشاعر[4]:

---

(١) ديوان الأعشى: ٢٨ - ٣٤.

(٢) في نسخة: يسر به.

(٣) في ديوان الأعشى:

فعاشوا بذلك في غبطة   فجار بهم جارف منهزم

(٤) هو امرؤ القيس (بالتمليط مع التوأم اليشكري) ديوانه: ١٤٧ وسيبويه ٢: ٢٨ وما ينصرف وما لا ينصرف: ٦٠.

أصـاح تـرى بُـرَيْقـاً هَبَّ وهنـاً كنـارِ مجـوسَ تستعــرُ استعـارا

وقال آخر:

فَـرَّتْ يهـودُ وأسلمتْ جيـرانَهـا صمّي لمـا فعلتْ يهـودُ صمـامِ

فلم يصرف يهود على ما بينا. وقالت امرأة من الأنصار:

رحل الصومُ حامداً محمـودا

خرج الصوم حامداً محمـودا

دخـل الشرُّ في بيوتِ يهـودا

وقال كعب بن مالك الأنصاري يؤنب العباس بن مرداس السلمي في مدحه قريظة وبكائه عليهم، ويشير إلى أن مدحه الأنصار كان أولى به[1].

أولئك أولى من يهودَ بمدحةٍ إذا أنت يوماً قُلْتَها لم تُؤَنَّبِ

ونظير هذا ثمود، وكلامنا فيه مستقصىً فيما ألفناه من علوم القرآن وذكر مَنْ صرفه ومن لم يصرفه في شيء من القرآن، ومن صرفه في بعض المواضع ولم يصرفه في بعضها، وهو واسع جداً وإنما نذكر من هذه الأنواع ما يدعو الناظر في كتابنا إلى التبغي في طلبه والحرص على استفادته، وقد تركت الإطالة بشرحه في غير موضعه[2].

(١) لم يرد في ديوان كعب بن مالك وانظر سيبويه ٢: ٢٩ واللسان (هـود) وما ينصرف وما لا ينصرف: ٦٠.

(٢) جاء بعد هذا في إحدى النسخ: تم المجلس ولله الحمد.

المجلس السابع والتسعون

[لا يدخل قلب امرىء الإيمان حتى يحبكم]

حدثنا محمد بن يحيى بن هارون أبو جعفر الإسكافي المعروف بابن شوطا قال، حدثنا إسحاق بن شاهين قال، حدثنا خالد بن عبد الله الطحان عن يزيد يعني ابن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث عن عبد المطلب بن ربيعة قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ فدخل عليه العباس وهو مغضب فقال: يا رسولَ الله ما بالُ قريشٍ إذا تلاقَوْا بينهم تلاقوا بوجوهٍ مستبشرة، فإذا لقَونا لقونا بغير ذلك؟ قال: فغضب النبيّ ﷺ حتى احمرَّ وجهه فقال: «لا يدخلُ قلبَ امرىءٍ الإيمانُ حتى يحبكم لله وَرسوله».

قال القاضي: وإن مودة النبي ﷺ في أقاربه وإخلاص الموالاة لآله من أركان الملة وخالص الشريعة، وإن من انحرف عن هذا وزاغ عنه وَصَدَفَ عن التديّن به متقرباً باعتقاده إلى الله ورسوله فقد خسر الدنيا والآخرة ﴿ذلك هو الخسران المبين﴾ [الحج: ١١].

[أبو الأسود الدئلي وبنو قشير]

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال، أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة

قال[1]: كان أبو الأسود ينزل في بني قشير، وكانوا عثمانية، وكان أبو الأسود عَلَويَّ الرأي، وكان بنو قشير يسيئون جواره ويؤذونه ويرجمونه بالليل، فعاتبهم على ذلك فقالوا: ما رجمناك ولكن الله رجمك، قال: كذبتم لأنكم إذا رجمتموني أخطأتموني ولو رجمني الله لما أخطأني. ثم انتقل عنهم إلى هذيل وقال فيهم[2]:

شتموا علياً ثم لم أزجرهمُ ... عنه وقلت مقالةَ المتودّدِ

الله يعلمُ أن حبّي صادقٌ ... لبني النبي وللإمام المهتدي

قال القاضي رحمه الله: وقد روي لنا من طريق آخر أن أبا الأسود قال في هذا المعنى وفي بني قشير[3]:

يقولُ الأرذلون بنو قُشَيْرٍ ... طوالَ الدهرِ ما تَنْسَى عليا

بنو عمٍّ النبي وأقربوه ... أحبُّ الناسِ كلِّهم إليَّا

أحبُّ محمداً حباً شديداً ... وعباساً وحمزةَ والوصيا

فإنْ يكُ حبهم رشداً أُصِبْه ... ولست بمُخْطِىءٍ إن كان غيا

[أو متى تفيد الشك]

ويقال إن معاوية قال له لما أنشد هذا البيت: قد شككتَ، فقال: ما شككت، قال الله عز وجل: ﴿وإنّا أو إياكم لَعَلَى هُدَىً أو في ضلال مبين﴾ [سبأ: ٢٤]. أفهذا شك؟. والذي احتجَّ به أبو الأسود بيّن الصحة، والإنسان يقولُ مثلَ هذا على المناصفة وتحسين المخاطبة والإرهاص لتمكين الحجة ونفي الشبهة وملاينة الخصم، فإنها مما قد تعطفه إلى المقاربة، وتثنيه عن اللَّدَدِ والمشاغبة. وقد يقول الرجل لمن ركب معه البُهتَ في مناظرته والمكابرةَ في

(١) قارن بما ورد في أخبار النحويين البصريين: ١١ والأغاني ١٢: ٣٢٦ ونزهة الألباء: ٣ وانباه الرواة ١: ١٧ ونور القبس: ٩ وديوان أبي الأسود: ١١٩ ـ ١٢٢.

(٢) لم يرد البيتان في ديوان أبي الأسود أو في المصادر المذكورة في الحاشية السابقة.

(٣) ديوان أبي الأسود: ١١٩ (وفيه تحريج).

منازعته: قد زعمتَ أنه إذا جُمِعَ بين النار والقطن أنه لا يحترق القطن، فنحن نجمعُ بينهما فننظر أيحترقُ أم لا، فإن لم يحترقْ فالقولُ ما قلت، وإن احترق فالقولُ فيه على ما قلنا. وقائلُ هذا ليس يحتاجُ بجمعه بين هذين الشيئين إلى عِلْمِ شيءٍ جهله، ولا دَفْعِ شكٍّ عَرَضَ له، ولكنه لاستظهاره قصد حَسْمَ شَغَبِ خَصْمِهِ، وَرَدَّهُ إلى الحقِّ عن باطله. قال الله تعالى ذكره لنبيه ﷺ ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَاهُ قُلْ إنْ افتريتُهُ فلا تَمْلِكُونَ لِي من اللّهِ شيئاً﴾ [الأحقاف: ٨] وقال عزَّ اسمه ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَاهُ قل إن افتريتُهُ فعليَّ إجْرامي وأنا بريءٌ مما تُجْرِمُون﴾ [هود: ٣٥]. وقال جل ثناؤه في قصة يوسف عليه السلام ﴿إن كان قميصُهُ قُدَّ من قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ من الكاذبينَ. وإن كان قميصُهُ قُدَّ من دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وهو من الصَّادقين﴾ [يوسف: ٢٦ ـ ٢٧]. ألا ترى إلى المساواة في الشرطين وجوابهما، وإلى الحكمة والمبالغةِ في التفقه وجميلِ المحاورة، والتبدية بذكر المبطلة وتقديم الإخبارِ عن تصديقها إن كانت لها الحجة، وهذا بابٌ واسع. وقد قال قائلون إن قوله أو إياكم بمعنى وإياكم، وزعموا أن أو بمعنى الواو، فادَّعوا مثلَ هذا في مواضعَ من القرآن كثيرة، كقوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي استوقَدَ ناراً﴾ [البقرة: ١٧] ثم قال: ﴿أو كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٩] وكقوله: ﴿فهي كَالحِجَارَةِ أو أَشدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤] وقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إلى مائةِ أَلفٍ أو يزيدون﴾ [الصافات: ١٤٧] وقوله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً﴾ [الإنسان: ٢٤] وزعموا أن أو قد تأتي بمعنى الواو، واستشهدوا بقول الشاعر[1]:

فلو كان البكاءُ يردُّ شيئاً ... بكيتُ على بُجَيْرٍ أو عفاقِ

على المرءين إذ مضيا جميعاً ... لشأنهما بشجوٍ واشتياق

(١) هو متمم بن نويرة كما في اللسان (عفق) وعفاق يروى بالغين المعجمة وهو ابن مليك أو ابن أبي مليك، وهو عبد الله بن الحارث بن عاصم؛ قتله بسطام بن قيس وقتل أخاه بجيراً وأسر أباهما أبا مليك ثم أعتقه وشرط عليه ألا يغير عليه؛ وورد البيتان في أمالي المرتضى ٢: ٥٨ دون نسبة وهما في ديوان مالك ومتمم: ١٢٤.

المعنى على بجير وعفاق، واستدلوا على هذا بقوله: «على المرءين»، ومثله قول جرير[1]:

نـال الخلافـة أو كانت لـه قـدراً كمـا أتى ربَّـه مـوسى على قَـدَرِ

وأبى مُحَقّـقَةُ النحويـين هـذه الطريقةَ، وتأوّلوا كلَّ شيءٍ ممّا أتى هـؤلاء به [وتلوه] واستشهدوا به وَرَوَوْهُ على خلاف تأويلهم. وإنما أوقع الذين زعموا أن «أو» تكون بمعنى الواو فيما ذهبوا إليه من خلاف القياس المميِّز بين الألفاظ المختلفة المعاني في أصولها، وإن تقاربت في بعض وجوهها، وجودُهم ألفاظاً اشتبهت عليهم لتقـاربها، فخلطوا بعضهـا ببعض، ولم ينعموا النـظرَ فيها، فيحصّلوا تمييزها، ويقفوا على ما يختصّ به كلٌّ نـوعٍ منها، ويتبيّنـوا أَوجُهَ تقـاربها وعلّةَ اشتـراكها وتـداخلها، وذلـك كقـولهم: اجلس في السـوق أو المسجد، وجالس الحسن أو ابن سيرين، وخالط الفقهاءَ أو النحويين، وكلِ اللحم أو الشحم، والتمر أو الزبيب، والرُّطَبَ أو العنب. وهذا باب يُسمّى باب الإباحة وليس من باب الشك وتخير أحد المذكورين وحظر الجمع بينهما. فلمّا لم يُحْكِمُوا معانيَ هذا النوع على حقيقتها، وأغفلوا ملاحظةَ تفصيلها وتمييزها ذهبوا عن وجه الصّواب فيها. ولتفصيل ما يشتمل هذا الباب عليه وشرح علله واستيفاء شعبه وأقسامه موضعٌ هو أخصّ به.

[المنصور وواعظ منافق]

حدَّثنا الحسين بن القاسم الكوكبي قال، حدثنا أبو الفضل الربعي قال، حدّثني أبي قال[2]: بينا المنصور ذاتَ يومٍ يخطب وقد علا بكاؤه إذ قام رجلٌ فقال يا وصّاف تأمر بما تجتنبه، وتنهى عمّا ترتكبه، بنفسك فابدأ ثم بالناس.

---

(1) ديوان جرير ١: ٤١٦ وفيه إذ كانت (وليس فيه شاهد وكذلك من رواه عزَّ الخلافة بل كانت...)

(2) هذه القصة في مختصر ابن منظور ١٣: ٣١٥ - ٣١٧، وقارن بقصة أخرى في عيون الأخبار ٢: ٣٣٧ ونثر الدر ٣: ٨٨ بين المنصور وشخص قطع عليه خطبته.

فنظر إليه المنصور وتأمّله مليّاً وقطع الخطبة ثم قال: يا عبد الجبار، خُذْهُ إليك. فأخذه عبد الجبار، وعاد إلى خطبته حتّى أتمّها وقضى الصلاة، ثم دخل ودعا بعبد الجبّار فقال له: ما فعل الرجل؟ قال: محبوسٌ عندنا يا أمير المؤمنين قال: أملِ له ثم عَرِّضْ له بالدّنيا فإن صَدَفَ عنها وقلاها فلعمري إنّه لمريد، وإن كان كلامه ليقع موقعاً حسناً؛ وإن مال إلى الدنيا ورغب فيها إن لي فيه أدباً يزعه عن الوثوب على الخلفاء وَطَلَبِ الدنيا بعمل الآخرة. فخرج عبد الجبار فدعا بالرجل وقد دعا بغدائه فقال له: ما حملك على ما صنعت؟ قال: حقّ كان لله في عنقي فأدّيته إلى خليفته، قال: ادنُ فكُلْ من هذا الطعام حتّى يدعو بك أمير المؤمنين، قال: لا حاجة لي فيه، قال: وما عليك من أكل الطعام إن كانت نيّتك حسنة فلا يفثأك عنها شيء. فدنا فأكل، فلمّا أكل طمع فيه. فتركه أيّاماً ثم دعاه وقال: لهيَ عنك أمير المؤمنين وأنت محبوس، فهل لك في جاريةٍ تؤنسك وتسكن إليها؟ قال: ما أكره ذلك، فأعطاه جارية ثم أرسل إليه: هذا الطعام قد أكلت والجارية قد قبلت، فهل لك في ثياب تكتسيها وتكسو عيالك إن كان لك عيال ونفقة تستعين بها على أمرك إلى أن يدعو بك أمير المؤمنين؟ قال: ما أكره ذلك، فأعطاه. ثم قال له: ما عليك أن تصنع خلّة تبلغ بها الوسيلة من أمير المؤمنين إن أردت الوسيلةَ عنده إذا ذكرك؟ قال: وما هي؟ قال: أولّيكَ الحسبةَ والمظالم فتكون أحدَ عمّاله تأمرُ بمعروفٍ وتنهى عن منكر، قال: ما أكره ذلك؛ فولّاه الحسبةَ والمظالم. فلمّا انتهى عليه شهر قال عبد الجبار للمنصور: الرجلُ الّذي تكلّم بما تكلّم به فأمرتَ بحبسه قد أكل من طعام أمير المؤمنين، ولبس من ثيابه، وعان في نعمته.

قال القاضي: الصواب عندي وعاش في نعمته.

وصار أحدَ ولاتِهِ، وإن أحبَّ أمير المؤمنين أن أدخله عله في زيّ الشيعة فعلت، قال: أدخله. فخرج عبد الجبار إلى الرجل فقال: قد دعا بك أمير المؤمنين وقد أعلمته أنك أحد عمّاله على المظالم والحسبة، فادخل عليه في

الزيّ الذي يحبّ. فألبسه قباء بأربند وعلّق خنجراً في وسطه وسيفاً بمعاليق، وأسبلَ جُمَّته، ودخل فقال: السّلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله، فقال: وعليك، ألسْتَ القائمَ بنا والواعظَ لنا ومُذَكِّرَنا بأيّام الله على رؤوس الملأ؟! قال: نعم، قال: فكيف حُلْتَ عن مذهبك؟ قال: يا أمير المؤمنين فكّرت في أمري فإذا أنا قد أخطأت فيما تكلّمت به، ورأيتني مصيباً في مشاركة أمير المؤمنين في أمانته. فقال: هيهات، أخطأت آستُك الحفرة، هِبناكَ يومَ أعلنتَ الكلامَ، وظننّا أنّك أردتَ الله به فكففنا عنك، فلمّا تبيَّنَ لنا أنك الدنيا أُردتَ جعلناك عظةً لغيرك حتّى لا يجترىءَ بعدك مُجْتَرِىءٌ على الخلافة. أخرجه يا عبد الجبّار فاضرب عنقه، فأخرجه فقتله.

[أمنيات متفاوتة]

حَدَّثنا محمَّد بن القاسم الأنباري قال، حدّثنا إسماعيل بن إسحاق قال، حدثنا محمد بن أبي بكر قال، حدّثنا سعيد بن عامر عن جويرية قال[1]: قعد معاوية وعمرو ذات يوم فقال معاوية، ما شيء أصيبه أحبّ إليَّ من عين فوّارة في أرض خوّارة، أصيبها من صاحبها بطيب نفسه؛ فقال له عمرو: لكنّي لست هكذا، ما شيء أصيبه أحبّ إليّ من أن أصبح عروساً بعقيلة من عقائل العرب؛ ورجلٌ جالسٌ فقال: ولكنّي لستُ هكذا، ما شيء أصيبه أحبّ إليّ من الفضل على الأخوان. فقال معاوية: أنا أحَقّ بها منك لا أمَّ لك، قال: فقد قدرت يا أمير المؤمنين.

[فتوى أبي البختري للرشيد]

وحدّثنا محمد بن يحيى الصّوليّ قال، حدّثنا وكيع قال، حدّثنا محمد بن الحسن بن مسعود الزرقي قال، حدّثنا عمر بن عثمان قال، حدّثنا أبو

(١) أنساب الأشراف ٤/١: ٥٩ (رقم: ٢٠٥) والطبري ٢: ٢١٢ والكامل ١: ١٣٥ والمحاسن والمساوىء: ٢٩٤ والمعمرين: ٤١ والمصون: ١٠٨ وشرح النهج ٤: ٣٥٤.

سعيد العقيلي، وكان من ظرفاء الناسِ وشعرائهم قال[1]: لمّا قدم الرشيد المدينةَ أعظمَ أن يرقى على منبرِ رسولِ الله ﷺ في قَبَاءٍ أسودَ ومنطقة. فقال أبو البختري: حدّثني جعفر بن محمد بن علي عن أبيه عليهم السّلام قال: نزل جبريل عليه السّلام على النبيّ ﷺ وعليه قَبَاء ومنطقة مخنجراً فيها بخنجر، فقال المعاذي التيمي[2]:

ويلٌ وعولٌ لأبي البختري … إذا توافَى الناسُ للمحشرِ
من قولِهِ الزّورَ وإعلانِهِ … بالكذب في الناس على جعفر
والله ما جالسه ساعةً … للفقه في بدوٍ ولا محضر
يا قاتلَ الله ابنَ وهبٍ لقد … أعلن بالزورِ وبالمنكر
يزعم أن المصطفى أحمداً … أتاه جبريل التقي البري
عليه خفّ وقبا أسودٌ … مخنجراً في الحقو بالخنجر

[يتزوج بعد أن يستشير مائة رجل]

حدّثنا محمد بن الحسن بن زياد المقرىء قال، حدثنا محمد بن القاسم عن محمد بن أبي معشر قال، أخبرني أبي عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: حلف رجل أن لا يتزوَّجَ حتّى يستشيرَ مائةَ رجل، فاستشار تسعةً وتسعين رجلاً ثم خرج وقال: أوّل من يستقبلني أستشيره، فإذا هو برجلٍ قد طيَّنَ رأسه وركب قصبة، وبيده سوط يضرب القصبة. فلما انتهى إليه سأله فقال له: يا عبد الله تأخر عن الفرس لا يَرْمَحْكَ؛ فركض على قصبته شوطاً ثم رجع فقال له: هات حاجتك. قال: إني حلفت ألا أتزوج حتى استشير مائة رجل، فاستشرت تسعة وتسعين رجلاً وأنت تمامُ المائة. فقال له: صاحب الواحدة إذا حاضت حاض معها، وإن مرضت مرض معها، وإن غابت غاب

(١) القصة والشعر في ابن خلكان ٦: ٣٩ ـ ٤٠ وتاريخ بغداد ٤: ٤٥٢.

(٢) في ابن خلكان: المعافى التميمي، وفي تاريخ بغداد: المعافى التيمي.

معها، وصاحب اثنتين قاض، وصاحب الثلاث ملك، وصاحب الأربع مُسافر. قال له الرجل: لقد استشرت تسعة وتسعين رجلاً ما كان فيهم أعقل منك، فمن أنت؟ قال: أنا الّذي أرادت بنو إسرائيل أن يستقضوني ففعلتُ هذا لكي أنجوَ منهم.

[رواية أخرى للقصة السابقة]

حدثنا محمد بن الحسن [بن دريد] قال: حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الجوهري عن محمد بن حاتم عن شجاع بن الوليد عن حريش بن [أبي] الحريش قال: كان رجل في من كان قبلنا حلف أن لا يتزوَّج امرأة حتى يَستشيرَ مائة نفس، وإنه استشار تسعةً وتسعين رجلاً فاختلفوا عليه، فلمّا بقي رجلٌ واحد قال: أوَّلُ من يفجأني من هذا الطريق أستشيره ثم آخذ بقوله. فتلقاه رجل شيخ على قصبة، ومعه صبيان حوله. قال له: إني حلفتُ أن لا أتزوج حتى أستشيرَ مائةَ رجل، وقد استشرت تسعةً وتسعين رجلاً فاختلفوا فقلتُ: أول من يفجأني من هذا الطريق أستشيره، فجاء شيخٌ راكب على قصبة، ثم لم يجدْ بداً فدنا منه فقال له: يا عبد الله إني أريد أن أتزوج فأَشِرْ عليَّ، فقال له: النساءُ ثلاث، ثم مضى. قال: قلت في نفسي والله ما قال لي أحدٌ مثلَ مقالةِ هذا لأتبعنَّهُ، قال: فاتبعته حتى لحقته، قلت: يا عبد الله قلتَ لي النساءُ ثلاث، قال: نعم واحدةٌ لكَ وواحدة عليك وواحدة لا لك ولا عليك. قال: ثم مضى فاتبعته فسألته عن تفسير ما قال، فقال: أما البِكْرُ فهي لكَ ولا عليك، وأما الحنّانة فهي الثيِّب التي قد كان لها زوجٌ فهي لا لك ولا عليك، وأما المنانة فالثيِّبُ التي لها ولدٌ فهي التي عليك ولا لك، خلِّ سبيلَ الجواد. قال: فاتبعته فقلت: يا عبد الله من أنت وما قصّتك؟ قال: مات قاضي بني إسرائيل أو قال: قاض، فقيل من أنت؟ فقيل فلان، فأرادوا أن يجعلوني قاضياً فكرهت ذلك فصنعت ما رأيتَ فراراً منهم.

[الفرزدق لا يساجل الفضل اللهبي]

حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم الحكيمي قال، حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال، وحدثني ابن عائشة قال، أخبرني أبو عبيدة النحوي قال: أخبرني من سمع الفرزدق يقول: أتيتُ الفضلَ بن العباس اللهبي وهو يمتح بدلوٍ من زمزم، وهو يقول[1]:

وأنا الأخضرُ من يعرفني أخضرُ الجلدةِ في بيتِ العَرَبْ
مَنْ يُسَاجِلْنِي يُسَاجِلْ ماجداً يملأُ الدلوَ إلى عَقْدِ الكَرَب
ورسول الله جدي جدّه وعلينا كان تنزيلُ الكتب

قلت: من يُسَاجِلْكَ فرجلي في كذا وكذا من أُمِّه قال: أتعرفني لا أمّ لك؟ قال: قلت: وكيف لا أعرفك وقد فَرَّغَ الله عز وجل في أبويك سورة من كتابه فقال عز وجل: ﴿تَبَّتْ يَدَا أبي لَهَبٍ﴾ [المسد: ١] قال: فضحك وقال: أنت الفرزدق، قلت: نعم، قال: قد علمتُ أن أحداً لا يحسنُ هذا غيرك. معنى فرغ أي ليس في السورة غير ذكر أبي لهب وذكر امرأته.

قال القاضي: وقد ألطف الفرزدق فيما خاطب به الفضل، لأنه لما لم يمكنه مساجلته، وقد فخر بنسبه من هاشم وقرباه من رسول الله ﷺ، أتى بما يُمِضُّهُ وَيَفُلُّ من غربه.

[كانت العرب تقول]

حدثنا عبيد الله بن مسلم العبدي قال، حدثنا العباس بن الفضل الهاشمي قال، حدثني أبو بكر الحسن بن علي قال، حدثنا أبو عبد الله وزعم أنه رجل من أهل الجبل، قال: حدثني أبي قال: سمعت أبا ربيعة النحوي

---

(١) هذا من قصيدة أولها:

شاب رأسي ولداتي لم تشب بعد لهو وشباب ولعب

انظر الأغاني ١٦: ١١٧، ١١٨، ١٢١ (وفيها قصته مع الفرزدق).

يقول: كانت العرب تقول: من لم يكنْ عقله أكملَ ما فيه كان هلاكه بأكملِ ما فيه. قال أبو عبد الله قال أبي: فحدثت بهذا الحديث الأصمعيَّ فقال: إن هذا لحسن وعندي آخرُ يشبهه: كانت العرب تقول: من كانت فيه خصلة هي أكملُ من عقله فالحري أن تكونَ سببَ منيته. قال أبو عبد الله قال أبي فحدثت بهذين الحديثين أبا عبيدة فقال: هذان حسنان وعندي آخر يشبههما: كانت العرب تقول: من لم يكن أغلب خصال الخير عليه عقله كان أغلب في خصال الخير عليه حتفه. قال أبو عبد الله قال أبي: فحدثتُ بهذه الأحاديث أبا دلف فقال: هذه حسان، وعندي آخر أحسن منها: كانت العرب تقول: كل شيء إذا كثر رخص إلا العقل فإنه إذا كثر غلا.

[أعرابي يصف امرأة جميلة]

حدثنا أحمد بن محمد بن أبي شيبة قال، حدثني إبراهيم بن محمد بن حيان قال، حدثنا أبو حاتم السجستاني عن أبي عبد الرحمن العتبي قال: كان أعرابي يشبب بامرأة، فقيل له: صفها، فقال: كان والله وجهها السقمَ لمن رآها، ولفظها البرءَ لمن ناجاها، وكانت في القرب أبطن من الحشا، وفي النأي أبعدَ من السما، ولقد كنت آتيها في أهلها فيتَجَهَّمني لسانها ويمنيني طرفها، فتعتريني لذلك فترة فتذكرني الصبا وهوى يهتك مني ستر الحيا.

[أبيات فيها بعض معنى الخبر السابق]

قال القاضي: وقد أُنْشِدْتُ ثلاثةَ أبياتٍ البيت الثالث يضارع بعض ما أتت به ألفاظ هذا الخبر وهي:

وتنالُ إن نظرتْ بلحظتها ... ما لا ينالُ بحدِّهِ النصلُ
وإذا نظرتَ إلى محاسنها ... فلكلِّ موضعِ نظرةٍ قتلُ
ولقلبها حلمٌ تصدُّ به ... عن ذي الهوى ولطرفها جَهْلُ

وما أتى من هذا الضرب كثير، وقد أتينـا منه في أوائل مجالسنا هـذه ورسمنا من منظومه لنا ولغيرنا.

[ما قاله بزرجمهر قبيل موته]

حـدثنا الحسن بن أحمـد الكلبي قال، حـدثنا الغـلابي قال، حـدثنـا محمد بن عبد الله قال، حدثني علي بن محمد قال، قال أنو شروان لبزرجمهر لما أراد قتله: إني قاتلك فتكلم بشيء تُذْكَرُ به، فقال: أيها الملك إن الدنيا حديث حسن وقبيح، فإن استطعت أن تكـونَ حديثـاً حسناً فَكُنْـهُ. قال أبـو عبد الله: فذكر هذا الكلام لابن عائشة فقال: صَدَقَ والله، وهو من قول الله عز وجل: ﴿وَآجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ في الآخِرِين﴾ [الشعراء: ٨٤] وأنشـد ابن عائشة:

ألَمْ تَـرَ أَنَّ النـاسَ تخلُد بعـدهم　　أحـاديثهم والمـرءُ ليس بخـالـدِ

وأنشد أيضاً:

وإذا الفتى لاقى الحمـامَ رأيتـهُ　　لـولا الثناء كـأنـه لم يـولـدِ

المجلس الثامن والتسعون

[حديث أبي مطر عن علي وهو يتجول في الأسواق]

حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد الهمذاني قال، حدثنا جعفر بن عبد الله المحمدي قال، حدثنا عمر بن محمد بن عمر بن علي بن الحسين قال، سمعت يحيى بن عبد الله بن الحسين يقول، سمعت جعفر بن محمد يقول: قدم شيخٌ من أهلِ البصرة يقال له أبو مطر، فقيل لي: إنه يروي حديثاً عن أمير المؤمنين. فأتيته فقلت: حديثٌ بلغني أنك ترويه عن جدي، قال: فأيّ ولد أمير المؤمنين أنت؟ فقلت: أنا جعفر بن محمد بن علي بن الحسين. فأخذني فضمني إليه وبكى ثم قال: نعم قدمتُ الكوفة وليس لي بها معرفة فكنت آوي إلى المسجد بالليل، وكان المسجدُ عمارتُهُ بالليلِ كعمارته بالنهار من بين مُصَلٍّ أو ذاكرٍ فقه أو متعبد. فدخلت السوقَ وأنا غلامٌ ذيَّالٌ صاحبُ سُكَيْنِيّة، فإذا رجلٌ من خلفي يقول: ارفع إزارَكَ فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربك، وخذ من شعرك إن كنت مسلماً. فالتفتُّ فإذا رجلٌ أصلعُ ضَخْمُ البطنِ مؤتزرٌ أسفل من ثدييه، عليه رداؤه وفي يده مِخْفَقَة. فقلت: من هذا؟ قالوا: أمير المؤمنين. فتجنبت الطريقَ فحللتُ شعري وفرقته، ورفعت إزاري وشمرته، واتبعته فدخل دار الوليد بن عقبة، وكانت الإبل تباع بها، فقال: يا معشرَ أصحابِ الإبل إياكم والحَلْفَ فإنه ينفّقُ السلعةَ ويمحق البركة، ثم أتى النحاسين فقال: يا معشرَ

النحـاسين إيـاكم أن تـزيّنـوا سلعتكم بمـا ليس فيهـا، ألا إنني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ليس منا مَنْ غَشَّنا». ثم أتى التمّارين فقال: يـا معشرَ التمّارين، تصدقوا يَرْبُ كسبكم، وأوفوا الكيلَ والميزان، ولا تبخسـوا الناسَ أشياءهم. فلما كاد يجوزهم إذا هو بأمةٍ تبكي، قال: ما لكِ؟ قالت: ابتعت من هذا تمراً بدرهم فأتيتُ به أهلي فقالوا: ردّيه. فقال: يا تمّار، خذ تمرك واردْدْ عليها فإنه ليس لها أمر. فأنكره التمار ولم يعرفه وقال له بالفارسية: اذهب إلى شأنك، ثم عرفه فأقبل يعتذر وهو يبكي، فقال: ما شأنه؟ فقالوا: ذكر أنه لم يعرفك، يسألك أن تَرْضَى عنه، قال: فما أرضاني عنه وعن من كان مثله إذا وفى للمسلمين بشروطهم وأدّى حقوقهم. ثم مضى من فوره إلى القصّـابين فقال: إياكم والنفخَ والغشَّ. فقام رجل يقال له زكا اليهـودي فقال: يـا أمير المؤمنين، إن النفخَ لا يزيد فيه ولا ينقص منه، فقال: ويحك فما هو؟ قال: يزينه، قال: فذاك الغش. ثم أتى السمّاكين فقال: يا معشر أصحاب الحيتان، لا تبيعوا في سوقنا الطافي فإنه ميت. ثم أتى البزازين فجلس إلى شيخ فقال: بعني قميصاً بثلاثة دراهم وأَحْسِنْ بيعي، فناوله قميصاً فقال: يا أمير المؤمنين يقوم عليَّ بأربعة دراهم وهو لك بثلاثة دراهم، قال: نَقَصْتَ من رأس مالك درهماً من أجل أنك عرفتني، لستُ أنا الذي أبتاعُ منكَ شيئاً. فجلس إلى آخر فاشترى منه قميصاً بثلاثة دراهم فلبسه ثم قال: الحمدُ لله الذي كساني من رياشـه مـا أتجمَّـلُ بـه في النـاس وأواري بـه عـورتي. ثم قـال: سمعت رسول الله ﷺ يقول هكذا. ثم أتى الرحبة فهتفـ: يا قنبر، يا قنبر آتني بطهور، فأقبل بإناء من خزف فأهوى ليصبَّ عليه، فتناوله فوضعه بين يديه، ثم أفرغ على يمينـه، ثم جمع بين كفيـه فغسلهما حتى أنقـاهمـا، واستنشق ثلاثـاً، وتمضمض ثلاثاً، وغسل وجهه ثلاثاً، يستقبل باطنَ أذنيه بكفيه ويستدبرهما بإبهاميه، ثم غسل ذراعيه ثلاثاً، ثم مسح برأسه، ثم غسل قدميه، ثم جرع من فضل وضوئه، ثم قال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ يصنع. فأتاه شيخ فقـال:

يا أمير المؤمنين، إنك أتيت ابني وهو لا يعرفك فابتعتَ منه قميصاً وإنه أغلى عليك، إنما يقوم علينا بدرهمين، فَخُذْ هذا الدرهمَ. قال: لا، أخذتُ رضاي، وأخذ الغلامُ حاجته. ثم أخذ مؤذنه ابن النباح[1] في الإقامة، فإذا رجل يقول: يا أمير المؤمنين إني سرقتُ جملاً فبعته وأكلتُ ثمنه، قال: يا قنبر دونَكَ الرجل أوقد النار وأعدَّ المحَدَّ حتى آتيك، فدخل فصلَّى بالناس وصليتُ معه، فلما قضى الصلاةَ خرج مبادراً حتى انتهينا إليهما، فإذا الرجل يقول: يا قنبر، ما تراه صانعاً بي، يا قنبر ما سرقت شيئاً قط، قال له قنبر: جزعت حين رأيتَ النار والمحد؟ قال: لا ولكني ما سرقتُ شيئاً قط، إذ أقبل أمير المؤمنين فقال: يا قنبر ما فعل الرجل؟ عليٌّ به. قال: هو ذا، هو يزعم أنه لم يسرق شيئاً قط، قال: ويحك ما تقول؟ قال: يا أمير المؤمنين، والله ما سرقتُ شيئاً قط، قال: ويحك ما دعاك إلى ما قلت؟ قال: يا أمير المؤمنين أنكرتُ عقلي، قال: آلله، قال: آلله. فناشده بالله ثلاثاً، كلّ ذلك يقول: آلله ما سرقتُ شيئاً قط. قال: يا قنبر أَخْلِ سبيلَ الرجل، فإني سمعتُ سول الله ﷺ يقول: «ادرءوا الحدودَ بالشبهات ما استطعتم».

[سند آخر للحديث السابق]

حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد قال، حدثني جعفر بن عبد الله قال، حدثنا عمر بن محمد قال، حدثنا غالب بن عثمان الهمداني قال، حدثنا مختار بن نافع أبو إسحاق العكلي التمّار قال، حدثني أبو مطر عمر بن عبد الله الجُهَنيّ البصريّ قال: قدمتُ من البصرة فأتيتُ الكوفة ولم يكن لي بها معرفة، فذكر مثل حديث يحيى بن عبد الله أو نحوه.

---

(١) في نسخة: ابن الناحم.

[وفود مالك بن عوف على الرسول]

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال، حدثنا أحمد بن عيسى العكلي عن الحرمازي عن أبي عبيدة قال: وفد مالك بن عوف بن سعيد بن ربيعة بن يربوع بن واثلة بن دُهمان بن نصر بن معاوية، وهو رئيس هوازن يوم حنين، بعد إسلامه إلى النبي ﷺ فأنشده[1]:

ما إن رأيتُ ولا سمعتُ بواحدٍ ... في الناسِ كلِّهم كمثلِ محمدِ
أوفى وأعطى للجزيل لمجتدٍ ... ومتى تشأْ يُخْبِرْكَ عما في غدِ
وإذا الكتيبة حدّدت أنيابها ... بالسمهري وضربِ كلِّ مهنّد
فكأنه ليثٌ على أشباله ... وسط الأباءة خادرٌ في مَرْصَد

فقال له النبي ﷺ خيراً وكساه حُلّةً.

[شرح لفظتين]

قال القاضي: الأباءة الغيضة أو القطعة من القصب، والأباءُ القصب، قال الشاعر[2]:

يا مَنْ تَرَى ضرباً يُرَعْبِلُ[3] بعضُهُ ... بعضاً كمعمعةِ الأَباءِ المُحْرَقِ

والخادر: المستكنُّ في غيضته أو غابته وهي كالخدر له، قالت الخنساء فيما ترثي به أخاها صخراً[4]:

---

(١) السيرة ٤: ٤٩١ والإصابة ٦: ٣١ ومنها بيتان في أسد الغابة ٤: ٢٩٠ والأول في الاستيعاب: ١٣٥٧.

(٢) نسب البيت في اللسان (أبى) إلى كعب بن مالك، وفي (رعبل) لابن أبي الحقيق، وهو في السيرة ٣: ٢٦١ من قصيدة لكعب، وانظر ديوانه: ٢٤٤.

(٣) روايته: من سره ضرب يمعمع.

(٤) نسبة البيت إلى الخنساء من أوهام القاضي، فهو لليلى الأخيلية في رثاء توبة، انظر الأغاني ١١: ٢١٤ والحماسة البصرية ١: ٢٢١ وزهر الآداب: ٩٣١ وديوان المعاني: ١: ٤٤. وأساس البلاغة (حيي) وانظر ديوان ليلى الأخيلية: ٨٠ وفيه: «وتوبة أحيا».

فتىً كـان أحيـا من فتـاةٍ حيِّيـةٍ وأشجعَ من ليثٍ بِخَفَّـانَ خـادرِ

[ابن عباس ينشد الشعر في المسجد الحرام فينتقده ابن الأزرق]

حدثنا علي بن محمد بن الجهم أبو طالب الكاتب قال، حدثنا عمر بن شبة قال، حدثني أبو يحيى الزهري قال، حدثنا ابن أبي ثابت قال، أخبرني أبو سيّار عن عمر البركا[1] قال[2]: بينما ابن عباس في المسجد الحرام وعنده ابن الأزرق وناسٌ من الخوارج يسألونه إذ أقبل عمر بن أبي ربيعة في ثوبين مصبوغين موردين أو ممصّرين.

قال القاضي: الممصران: اللذان فيهما صفرة.

بسير حتى سلّم وجلس. فأقبل عليه ابن عباس فقال أنشدنا، فأنشده:

أَمِنْ آلِ نُعْمٍ أنتَ غـادٍ فَمُبْكِـرُ غـداةَ غـدٍ أو رائـحٌ فمهجّـرُ

حتى أتى على آخرها. فأقبل عليه ابن الأزرق فقال: الله يا ابن عباس، إنا لنضربُ إليكَ أكباد المطيِّ من أقاصي الأرض لنسألكَ عن الحلالِ والحرامِ فتتثاقل عنّا، ويأتيك مترف من مترفي قريش فينشدك:

رأت رجلاً أما إذا الشمسُ عارَضَتْ فيخـزَى وأمـا بـالعشيِّ فَيَخْسَـرُ

فقال ابن عباس: ليس هكذا قال، قال: فكيف قال؟ قال:

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت فيضحى وأمـا بـالعشيِّ فيخْصَـرُ

قـال: ما أراك إلا وقد حفظتَ البيت، قال: نعم، وإن شئتَ أن أُنشـدك القصيدة أنشدتكها، قال: فإني أشاء، قال: فأنشده القصيدةَ حتى جاء على آخرها، ثم أقبل على ابن أبي ربيعة فقال: أنشد، فقال:

تـشـطُّ غـداً دار جـيـرانـنـا

(١) في نسخة: البكائي، وفي الأغاني (١: ٨٠) الركاء.
(٢) الخبر في الأغاني ١: ٨١.

فقال ابن عِباس: ولَلـدارُ بعد غدٍ أبعد.

فقال: كذاك قلتُ أصلحك الله، أسمعته؟ قال: لا ولكن كذلك ينبغي.

[شرح ألفاظ تتصل بالبيت السابق]

قال القاضي: وقد روى بعضُ الرواة بيت ابن أبي ربيعة فقال: أيما إذا الشمس، وأيما بالعشيّ، وهي لغةٌ معروفة. وقوله فيضحى قيل: معناه يمسّه الحر، وقيل: تعلوه الشمسُ وهو ضاحٍ لها غيرُ مستترٍ منها، والضحُّ: الشمس، والعربُ تقول: الضحّ والدحّ. وروي أن عبد الله بن عمر رأى رجلاً قد استظلَّ من الشمس وهو محرم فقال له: أضحِ لمن أحرمتَ له. ومن هذا قول الله عز وجل: ﴿وأنَّك لا تَظْمَأُ فيها ولا تَضْحَى﴾ [طه: ١١٩] أي لا يصيبك فيها حرٌّ ولا يعلوك شمسٌ؛ وقد قال جل اسمه في أهل الجنة: ﴿لا يَرَوْنَ فيها شَمْسَاً ولا زَمْهَرِيراً﴾ [الإنسان: ١٣]. والزمهرير: البرد الشديد، ومن وقي أذاهما فقد أنعم الله عليه، قال الأعشى(١):

مبتّلة الخلقِ مثل المهاةِ لم تَرَ شمساً ولا زمهريرا

وقد زعم بعضهم أن الزمهرير من أسماء القمر، وأنشد في هذا المعنى(٢):

وليلةٍ فيها الظلامُ مُعْتَكِرْ قطعتُها والزمهريرُ ما زَهَرْ

وأما الخَصَرُ فإنه البردُ [القارس]، يقال: قد خَصِرَ الرجلُ يخصر إذا أصابه البرد، كما قال الفرزدق(٣):

إذا أنسوا ناراً يقولون ليتها وقد خَصِرَتْ أيديهمُ نارُ غالبِ

---

(١) ديوانه: ٦٨ واللسان (زمهر) وفيه: من القاصرات سجوف الحجال؛ وتفسير القرطبي ١٩: ١٣٧ وفيه: منعمة طفلة كالمهاة.

(٢) يروى هذا القول عن ثعلب، والرجز شاهد عليه، انظر تفسير القرطبي ١٩: ١٣٨.

(٣) ديوان الفرزدق ١: ٢٩.

ويقال: ماءٌ خصر أي بارد، كما قال امرؤ القيس[1]:

فلما استطابا صُبَّ في الصحن نِصْفُهُ ... وجاءوا بنصفٍ غير طَرْقٍ ولا كَدِرْ

بماءِ سحابٍ زلَّ عن ظهـرِ صخرةٍ ... إلى بطنِ أخرى طيِّبٍ ماؤُها خَصِرْ

[أحسن ما قيل في وصف الماء]

قال بعضهم: هذا أحسنُ ما قيل في صفـة الماء. وقـال قائلون: بـل أحسنُ ما قيل في صفة الماء أبيات أتتْ في خبرٍ حَدَّثَنَاهُ أبو بكر ابن الأنباري لم يَحضرْني إسنادُهُ، وقد ذكرتُهُ في بعض مجالسنا هذه، وهو أنه ذكر أن عاتكةَ المرية عَشِقَتْ ابنَ عمّها فأرادها عن نفسها، فأنشأت تقول[2]:

مـا بـردُ مـاءٍ أيِّ مـاء تقـولـه ... تنـزّلَ[3] من غرٍّ طـوالِ الذوائبِ

بمنحـدرٍ من بـطنِ وادٍ تقـابلتْ ... عليه رياحُ الصيفِ من كلِّ جانب

تـرقرق مـاءُ المزنِ فيهنَّ والتقت ... عليهنَّ أنفـاسُ الريـاحِ الغـرائب

نَفَتْ جريةُ الماءِ القذى عن متونه ... فليس بـه عيبٌ يُحَسُّ لشارب[4]

بأحسنَ ممّن يقصر الـطّرفُ دونَهُ ... تُقَى الله واستحياءُ ما في[5] العواقب

[الحجاج وابن الحنفية وشكوى الثاني لعبد الملك]

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي قال، حدثنا أبو محمد عبد الله بن عمرو بن بشر الـورّاق قال، حدثني أبو زكريا يحيـى بن خليفة الدارمي قال، حدّثني محمد بن هشام السّعدي التميمي قال: خرج الحجاج بن يوسف وابن الحنفية من عند عبد الملك بن مروان، فلما صارا في الطريق قال الحجـاج

---

(١) ديوان امرىء القيس: ١١١ وفيه: فلما استطابوا صبّ في الصحن نصفه.

(٢) ورد في الزهرة ١: ١٢١ منسوباً لزينب بنت فروة.

(٣) في نسخة والزهرة: تحدر.

(٤) في نسخة والزهرة: لعائب.

(٥) في الأصول وفي الزهرة: بعض العواقب.

لمحمد بن الحنفية: لقد بلغني أن أباك كان إذا فرغ من القنوت يقولُ كلاماً حسناً أحببتُ أن أعرفَهُ، فَتَحْفَظُهُ؟ قال: لا، قال: سبحانَ الله، ما أوحشَ لقاءكم، وأفظعَ لفظكم، وأشدَّ خنزوانتكم، ما تَعُدُّونَ الناسَ إلّا عبيداً، ولقد خُضْتُم الفتنةَ خوضاً وقتلتم المهاجرين والأنصار. فنظر إليه ابن الحنفية وأنكر لفظَهُ وأحفظه، فوقف وسار الحجاج. ورجع ابنُ الحنفية إلى باب عبد الملك فقال للآذن: استأذن لي، فقال: ألم تكنْ عنده قبلُ وخرجت آنفاً، فما ردَّك وقد ارتفع أمير المؤمنين؟ قال: لستُ أبرح حتّى ألقاه. فكره الآذنُ غضبَ الخليفة فدخل عليه فقال: يا أمير المؤمنين، هذا محمد بن الحنفية مستأذنٌ عليك، فقال: ألم يكن عندي قبلُ، لقد ردَّه أمرٌ، إيذن له. فلما دخل عليه تحلحل عن مجلسه كما كان يفعل فقال: يا أمير المؤمنين هذا الحجاجُ أسمعني كلاماً تكمَّشْتُ له، وذكر أبي بكلام تقمّعت له، وما أحرتُ حرفاً، قال: فما قال لك حتّى أَعَمَلَ على حَبسه؟ قال: وكأنّما تفقأ في وجهه الرمّان ونخسه شوك، فخبره عمّا سأله عنه، فقال لصاحب شرطته: عليَّ بالحجاج السّاعة. فأتاه في منزله حين خلع ثيابَهُ فحمله حملاً عنيفاً، وانصرف ابنُ الحنفية. فجاء الحجاج فوقفه بالباب طويلاً ثم قال: إيذن له، فدخل فسلَّم عليه، فقال له عبد الملك:

لا أنعم الله بعمرٍو عينا   تحيةَ السُّخْطِ إذا التقينا

يا لكع وهراوة البقّار، ما أنت ومحمدُ ابن الحنفية؟! قال: يا أمير المؤمنين، ما كان إلّا خيراً، قال: كذبتَ والله لهو أصدقُ منكَ وأبرّ، ذكرتَهُ وذكرتَ أباه، فوالله ما بين لابتيها أفضلُ من أبيه؛ وما جرى بينكَ وبينه؟ قال: سألتُهُ يا أميرَ المؤمنين عن شيءٍ بلغني كان أبوه يقولُهُ بعد القنوت، قال: لا أعرفه، فعلمت أن ذاك مَقْتٌ منه لنا ولدولتنا، فأجبتُهُ بالذي بلغك. فقال له عبد الملك: أسأْتَ ولؤْمْتَ، والله لولا أبوه وابنُ عمّه لكنّا حيارىٰ ضُلّالاً، وما أنبتَ الشعرَ على رؤوسنا إلّا الله عز وجل وهم، وما أعزَّنا بما ترى إلا رحمهم وريحهم الطيبة، والله لا كَلَّمْتُكَ كلمةً أبداً، أو تجيئني بالرضا منه، وتَسُلَّ

سخيمته. قال: فمضى الحجاج من فوره، فألفاه وهو يتغدَّى مع أصحابه، قال: فاستأذن فأبى أن يأذن له، فقال له بعض أصحابه: أتى برسالة أمير المؤمنين، فأذِنَ له، فقال: إن أمير المؤمنين أرسلني أن أسلَّ سخيمتك، وأقسم أن لا يكلّمني أبداً حتّى آتيه بالرضى منك، وأنا أحبُّ، برحمك من رسول الله ﷺ، إلاَّ عفوتَ عمّا كانَ، وغفرتَ ذنباً إن كان. فقال: قد فعلتُ على شريطة فتفعلها، قال: نعم، قال: على صُرْم الدهر. قال: ثم انصرف الحجاج فدخل على عبد الملك فقال: ما صنعتَ؟ قال: جئت برضاه وسَلَلْتُ سخيمته وأجاب إلى ما أُحِبّ وهو أهلُ ذلك. قال: فأيُّ شيءٍ آخِرُ ما كان بينك وبينه؟ قال: رضي على شريطة، على صرم الدهر، فقال: شِنْشِنَةٌ أعرفها من أَخْزم، انصرف. فلمّا كان من الغَد دخل ابن الحنفية على عبد الملك فقال له: أتاك؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: فرضيتَ وأجبته؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: ثم مال إليه فقال: هل تحفظُ ما سألكَ عنه؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين وما منعني أن أبثه إياه إلا مقتي له فانّه من بقية ثمود. فضحك عبد الملك ثم قال: يا سليمان ـ لغليّم له ـ كاتباً ودواةً وقرطاساً، قال: فكتب بخطّه: بسم الله الرحمن الرحيم، كان أمير المؤمنين عليّ عليه السلام إذا فرغ من وتره رفع يدَهُ إلى السماءِ وقال: اللّهم حاجتي العظمى التي إن قضيتها لم يضرَّني ما منعتني، وإن منعتني لم ينفعني ما أعطيتني. فكّاكَ الرقاب، فكَّ رقبتي من النار، ربِّ ما أنا إنْ تقصدْ قصدي بغضبٍ منك يدومُ عليَّ، فوعزَّتِكَ ما يحسّن ملكك إحساني، ولا تقبّحه إساءتي، ولا ينقص من خزائنك غناي، ولا يزيد فيها فقري. يا من هو هكذا اسمع دعائي وأَجبْ ندائي، وأقلني عثرتي، وارحم غربتي ووحشتي ووحدتي في قبري، ها أنا ذا يا ربِّ برُمّتي. ويأخذ بتلابيبه ثم يركع. فقال عبد الملك: حسن والله رضي الله عنه.

[شروح وتعليقات]

قال القاضي: قول محمد بن الحنفية عليه السلام: «أسمعني كلاماً تكمشتُ له» أي انقبضت منه، يقال لما تغضَّنَ وتشنَّج من الفاكهة وغيرها قد تكمّش فهو متكمّش. وقوله: «ذكر أبي بكلام تقمّعت له» يقال: قد تقمَّعَ الرجل وانقمع إذا انخزل وانكسر. وقول عبد الملك: «يا لكع» يريد يا عبد أو يا لئيم. وقوله: «وهراوة البقّار» يعني عصا الراعي التي يذودُ بها البقر، يريد أنّه لا يصلح إلاّ لأداني الأمور. وما رواه محمد بن الحنفية من قول أمير المؤمنين عليه السّلام في دعائه: «ها أنا ذا يا ربِّ برمّتي» العرب تقول: أخذ فلان كذا وكذا بِرُمَّته، يريدون أخذه كلّه واستوفاه ولم يغادر شيئاً منه؛ وكذلك قولهم أخذه بأسره، والأسر القيد، وبه سُمّي الأسير أسيراً وهو الآخذ بمعنى المأخوذ، وكانوا يشدّونه بالقِدِّ إذا أسروه. وأما الرّمة فالحبل البالي كانوا يشدُّون الأمتعةَ به، ومنه قول ذي الرّمة[1]:

أشعث باقي رُمَّةِ التقليد[2]

وقيل: إنّما سمّي ذا الرمَّة لقوله هذا، وهو غيلان بن عقبة، فأمّا الرِمّة بالكسر فالعظم البالي، ويقال: رمَّ العظم يرمّ وهو رميم، ومنه قول الشاعر[3]:

والنيب إن تعرُ مني رمّةً خلقاً   بعد المماتِ فإني كنت أَتَّئرُ

وهذا من أبيات المعاني ومعناه أن النيب، وهي جمع ناب، وهي الناقة المسنّة، يقال لها ذلك كأنها لم يبق مرُّ السنين عليها إلا ناباً كما يقال فلان رأس وفلان بطن، ومن الناب قول جرير[4]:

---

(١) ديوان ذي الرمة ١: ٣٥٨.

(٢) يصف الوتد، أصبح أشعث لكثرة ما دق.

(٣) هو لبيد كما في شرح ديوانه: ٦٣ والمعاني الكبير: ١٢٠٢ واللسان (تأر. رمم. خلق. عرى). وشرح النقائض: ٤٢٣ والسمط: ٣١٦ والفاخر: ٢٠.

(٤) ديوانه ٢: ٨٨٤ والنقائض: ٩٥٥.

لقد سرَّني ألّا تَعُدَّ مُجَاشِعٌ   من المجدِ إلّا عَقْرَ نابٍ بِصَوْأَرِ

وقال أيضاً [1]:

تعدون عَقر النيب أفضلَ مجدكم   بني ضوطرى لولا الكميَّ المقنّعا

قال: كانت تأكل عظامَ الموتى طلباً لملوحتها فقال هذا الشّاعر: إن تَعْرُ منّي رمةً خَلَقاً، يريدُ إن تأكلَ عظامي بعد موتي، فإنّي كنت أتثر أي آخذ منها بثأري سالفاً في حياتي، يعني أنّه كان ينحرها للأضياف. وقوله: «أتَّثر» افتعل من الثأر وأصله اثتئر فقلبت الثاء تاء وأدغمت في الّتي بعدها، وكذلك مدَّكر أصله مُذْتكر، ومظّلم أصله مظتلم. ولما وصفنا من القلب علة هي مرسومة في موضعها. ومن العرب من يقول أثّر بالثاء، ومذّكر بالذال، ومطّلم بالطاء إلا أن المختار أفصح في القياس، والأشهر في الرواية مدّكر ومتثر ومظّلم ومثله مدّخر ومذّخر، قال زهير بن أبي سلمى يمدح هرم بن سنان [2]:

هو الجوادُ الّذي يعطيك نائِلَةُ   عفواً وَيُظْلَمُ أحياناً فيظَّلِمُ

يُروى على الوجهين والظاء أشهرهما، والمشهور من القراء فى قول الله تعالى: ﴿فهل من مُدَّكِر﴾ [القمر: ١٥، ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠، ٥١] الدال، وكذلك قوله تعالى: ﴿وما تدّخرون في بيوتكم﴾ [آل عمران: ٤٩].

---

(١) ديوان جرير ٢: ٩٠٧.

(٢) شرح ديوان زهير: ١٥٢.

المجلس التاسع والتسعون

[حديث: الأنبياء إخوة لعلات]

حدثنا محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري قال، حدثنا أحمد بن الهيثم بن خالد البزاز قال، حدثنا أبو العاص محمد بن سعيد قال، حدثني عنبسة بن عبد الواحد عن أيوب بن عتبة عن يحيى بن أبي كثير عن قتادة عن عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة قال، قال رسول الله ﷺ[1]: «الأنبياء إخوةٌ لِعَلَّاتٍ، أمهاتهم شتَّى ودينهم واحد، وأنا أَوْلَى الناسِ بعيسىٰ ابن مريم لأنه لم يكنْ بيني وبينه نبيّ، وهو خليفتي على أمتي، وهو نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه فإنه رجلٌ مربوعٌ يضرب إلى البياض والحمرة، يكاد رأسه يقطُرُ وإن لم يُصِبْهُ بَلَلٌ، يمشي بين ممصّرتين، يدقّ الصليبَ ويقتلُ الخنزيرَ ويُفيضُ المالَ ويضع الجزية ويقاتلُ على الإسلام حتى تهلكَ في زمانه المللُ كلها، فتقع الأَمَنَةُ في الأرضِ، فترعىٰ الإبل مع الأسودٰ والنمور مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعبُ الصبيانُ مع الحيَّاتِ فلا تضرّهم شيئاً، فيلبث في الأرض أربعين سنة ثم يُتَوفَّى فيصلّي عليه المؤمنون».

(1) ورد هذا الحديث في صحيح مسلم (٤: ١٨٣٧) على النحو الآتي: أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم. الأنبياء أولاد علات وليس بيني وبينه نبي» أو صورة مقاربة. وكذلك أخرجه البخاري وأحمد في مسنده. وفي مسند أحمد ٢: ٤٠٦ صورة قريبة مما أورده المعافى، ولكن أقرب الصور إلى ما ورد هنا هو ما جاء في مسند أحمد ٢: ٤٣٧.

[العلات والأخياف وصلة ذلك بالميراث]

قال القاضي، قال أبو بكر: قوله إخوة لعَلَّات، يقول العربُ هم إخوة لعلّات إذا كانت أمهاتهم مختلفاتٍ وأبوهم واحد، فإذا كان الآباءُ مختلفين والأم واحدة قيل: هم إخوة لآحاد. وقال بعضهم: يقال في هذا المعنى هم إخوةٌ لأخياف وإخوة لأعيان. وشتى معناه مختلفات. قال القاضي: المعروف من كلام العرب أنهم يقولون للإخوة الذين أبوهم واحد وأمهاتهم شتَّى بنو العلات كما قال الشاعر[1]:

والناسُ أولادُ عَلَّاتٍ فمن علموا أنْ قد أقلَّ فمحقورٌ[2] ومهجورُ
وهم بنو الأم أمّا إنْ رأوا نَشَباً[3] فذاك بالغيبِ محفوظٌ ومنصور

فإذا كانت الأمّ واحدةً والآباءُ مختلفين فهم الأخيافُ، كما قال الشاعر[4]:

أفي الشدائدِ أخيافاً لواحدةٍ وفي الولائمِ أولاداً لعلَّاتِ

ويقال للفرس إذا كانت إحدى عينيه زرقاء والأخرى كحلاء أخيف. وإذا كان أبو الإخوة واحداً وأمهم واحدة فهم الأعيان. وجاء عن النبيِّ ﷺ أنه قال[5]: «أعيان بني الأمّ أولى بالميراث من بني العلات». وقد استدل بهذا الحديث بعضُ من ذهب إلى قول عبد الله بن مسعود ومن قال مثل قوله من الخلف والسلف في ابني عمٍّ أحدهما أخٌ لأم أنَّ المالَ كلَّه لابنِ العم الذي هو أخٌ لأمّ دون الآخر، وحمله مخالفوهم على أنه جاء في الأخ للأب والأم، والأخ للأب، وجماعة غيرهم من المتقدمين والمتأخرين. ولكلٍّ فريق منهم عللٌ

---

(١) هو عبد المسيح كما في اللسان (علل)

(٢) اللسان: فمجفوّ.

(٣) اللسان: وهم بنو أم من أمسى له نشب.

(٤) أورده في اللسان (علل) دون نسبة، على النحو التالي:

أفي الولائم أولاداً لواحدة وفي المآتم أولاداً لعلّاتِ

(٥) مسند أحمد ١: ٧٩ اعيان بني الأم يتوارثون دون بني العلات.

يوردونها وحججٌ يأتون بها، وقد رسمناها في مواضعها من كتبنا، وذكرنا ما نختاره منها.

[مزيد من التفسير والتعليق]

قال ابن الأنباري في الخبر الذي قدمنا روايته عنه، وقوله ﷺ: «يمشي بين ممصرتين» معناه بين شقتين فيهما صفرةٌ يسيرة، والممشَّقُ عند العرب المصبوغُ بالمغرة، والمغرة يقال لها المشق.

قال القاضي: قول النبي ﷺ: «وتهلكُ في زمانه الملل كلُّها» صريحُ البيانِ على أنَّ اليهود والنصارى والمجوسَ وسائرَ المشركين ذوو مللٍ مختلفة وليسوا أهلَ ملةٍ واحدة، وإن جَمَعَهم الكفر، وأنه لا توارث بين أحدٍ منهم ومن هو على غير ملته، لقول النبي: «لا يتوارث أهل ملتين شتى»؛ وقد روينا هذا القول عن الحسن ومالك وأبي عمرو الأوزاعي وبه نقول. وكان أبو حنيفة وأصحابه يرون الكفر كلَّه ملةً واحدةً ويوقعون التوارثَ بينهم، وإليه يذهب أصحابُ الشافعي، وهذا قولٌ فاسد، وشرحُ البيانِ عن هذا الباب مرسومٌ في موضعه.

[هبوط عيسى ابن مريم]

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري قال، حدثنا أحمد بن الهيثم قال، حدثنا الهيثم بن خارجة قال، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن أبيه عن يحيى بن جابر الطائي عن عبد الرحمن بن جبير بن نُفَير عن أبيه عن النواس بن سمعان قال، قال رسول الله ﷺ[1]: «يهبطُ عيسى ابن مريم ﷺ

(١) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير ٢: ٢٠٦ عن الطبراني، وأوله «ينزل...» وهو في الفائق والنهاية واللسان (هرد) وانظر أيضاً غريب الحديث لابن قتيبة ١: ٣٨٩.

شرقيَّ دمشق عند المنارةِ البيضاءِ بين مهرودتين». قال أبـو بكر حفـظناه عن أحمد بن الهيثم بالدال وتفسيره بين ممصّرتين(١).

[حديث آخر عن هبوط عيسى]

وحدثنا محمد بن القاسم قال، حدثنا جعفر بن محمد العبرتائي قال، حدثنا أبو مروان هيثم بن خالد الأزرق قال، حدثنا الوليد بن مسلم قال، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن يحيـى - قال أبو مروان: وكان قاضياً على حمص - عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه عن النواس بن سمعان قال، قال رسول الله ﷺ: «يهبط عيسى ابن مريم بين مهروذتين». قال أبو بكر: حفظناه عن جعفر بن محمد بالذال في هذا الحديث، يعني بين ممصرتين.

[معاني الصير]

قـال أبو بكـر(٢): فهذا ممـا فسر في الحـديث بما لا يعـرف إلا منه كالحروف التي جاءت مُفَسَّرةً في الحديث، منها: من اطَّلع في صير باب ففقئت عينه فهي هدر. ومنها أن سالم بن عبد الله رأى رجلاً معه صيرٌ فذاق منه فقال: كيف تبيعه؟ فالصير الأول الشقّ، والثاني الصحناة. ومنها أن عمر(٣) رضوان الله عليه سأل المفقودَ الذي استهوته الجن ما شرابهم؟ فقال: الجَدَف، ففسَّر هو نبات باليمـن لا يحتاج الذي يأكُلُه أن يشربَ عليه، ويقال هو كل ما لا يذكر الله عليه من الآنية والأشربة. ومنها ما جاء في الأمرين من السقا والثُّقا، تفسير الثّقا الحُرْف [قيل: هو الرشاد].

---

(١) قال ابن قتيبة (غريب الحديث ١: ٣٨٩) قوله «مهرودتين» هذا عنـدي غلط من بعض نقلة الحديث ولا أراه إلا مهروَّتين يريد ملاءتين صفراوين، يقال هريت العمامة إذا لبستها صفراء. وخطأه آخرون فقال الزمخشري في الفائق: الصواب ألا يعاج على رأيه، وقال ابن الأثير في النهاية: وخطىء ابن قتيبة في استدراكه واشتقاقه.

(٢) انظر اللسان (هرد) ففيه أورد رأي ابن الأنباري بإيجاز.

(٣) اللسان (جدف).

قال القاضي: جعل أبو بكر ابن الأنباري الصير مما لا يُعْرَفُ تفسيره إلا في الحديث الذي جاء تفسيره فيه، فذكر هذا أبو بكر عليّ سعة حفظه وإتقانه وضبطه، وكان يذهب عليه في الوقت بعد الوقت أشياءُ ظاهرةٌ معلومة وينكرها مع اشتهارها، فأخذنا عنه روايتها بأسانيدها؛ على أننا لم نر في من يشار إليه بحفظ الروايات والآداب أحسنَ منه حفظاً، ولكنه بَشَرٌ يجري عليه من السهو والنسيان ما لا يَعْرَى من مثله الإنسان. والصير معروف مشهور، فأما الصير الذي أتى في حديث الاطلاع ففسر بأنه الشق فقد أصاب مفسره المعنى أو قاربه. فأما الصحناة فتسميتها صيراً مما يعرفه أهل العلم، وقد ذكره قومٌ من أهل الفقه وغيرهم، وأصلُ الصيرِ الذي بدأنا بذكره عندي الحدّ، وقد جاء في الشعر ما يشهد بهذا ويدلُّ عليه، قال زهير[1]:

وقد كنتُ من سلمى سنينَ ثمانياً ... على صِيرِ أمرٍ ما يَمُرُّ وما يحلو

[يسمي الولد علياً ويكنيه أبا الحسن فيعرض معاوية عليه جائزة إن غيرهما]

حدثني عبد الله بن مسلم العبدي قال، حدثنا أبو الفضل الربعي قال، حدثنا إبراهيم بن عيسى بن المنصور قال، حدثني إسحاق بن عيسى بن علي قال، حدثني أبي وسمعته يقول: ولد أبو محمد علي بن عبد الله سنة أربعين بعد قتل علي بن أبي طالب عليه السلام، فسماه عبد الله بن العباس علياً وكناه بأبي الحسن، وولد معه في تلك السنة لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام غلامٌ فسمَّاه علياً وكنّاه بأبي الحسن. فبلغ ذلك معاويةَ فوجَّهَ إليهما أن انقلا اسم أبي تراب وكنيته عن ابنيكما وسمياهما باسمي وكنّياهما بكنيتي، ولكلٍّ واحدٍ منكما ألف ألف درهم. فلما قدم الرسول عليهما بهذه الرسالة سارع إلى ذلك عبد الله بن جعفر فسمَّى ابنه معاوية وأخذَ ألف ألف درهم،

(١) شرح ديوان زهير: ٩٦.

وأما عبد الله بن عباس فإنه أبى ذلك وقال: حدثني علي بن أبي طالب عليه السلام عن النبي ﷺ أنه قال[1]: «ما من قومٍ يكونُ فيهم رجلٌ صالحٌ فيموتُ فيخلّف فيهم مولود فيسمونه باسمه إلا خلفهم الله بالحسنى»، وما كنت لأفعلَ ذلك أبداً. فأتى الرسولُ معاويةَ فأخبره بخبر ابن عباس فردَّ الرسولَ وقال: فانقل كنيته عن كنيته ولك خمسمائة ألف درهم، فلما رجع الرسول إلى ابن عباس بهذه الرسالة قال: أما هذا فنعم وكناه بأبي محمد.

[مقتل أبي مسلم وكيف تم]

حدثنا إبراهيم بن محمد بن عمر بن عرفة الأزدي قال، أخبرنا أبو العباس المنصوري قال: لما قتل المنصورُ أبا مسلم قال[2]: رحمكَ الله أبا مسلم، فإنك بايعتنا وبايعناك، وعاهدتنا وعاهدناك، ووفيتَ لنا ووفينا لك، فإنك بايعتنا على أنه من خرج علينا قتلناه، وأنك خرجت علينا فقتلناك، وحكمنا لك حكمك لنا على نفسك.

قال[3]: ولما أراد المنصور قتله دسَّ رجالاً من القواد منهم شبيب بن واج وتقدَّم إليهم فقال: إذا سمعتم تصفيقي فاخرجوا إليه فاضربوه. فلما حضر حاوره طويلاً حتى قال له في بعض قوله: وقتلتَ وجوه شيعتنا فلاناً وفلاناً، وقتلت سليمان بن كثير، وهو من رؤساء أنصار دولتنا، فقتلت لاهزاً، قال: إنهم عَصَوْني فقتلتهم. وقد كان قبل ذلك قال المنصور له: ما فعل سيفان بلغني أنك أخذتهما من عبد الله بن علي؟ قال: هذا أحدهما يا أمير المؤمنين، يعني السيفَ الذي هو متقلّدٌ به. قال: أرنيه، فدفعه إليه فوضعه المنصور تحت

---

(١) الجامع الصغير ٢: ١٥٢ عن ابن عساكر وعده الألباني من الضعيف.

(٢) قارن بما جاء في نثر الدر ٣: ٨٢.

(٣) خبر مقتل أبي مسلم مفصل في تاريخ الطبري ٣: ١١١ ـ ١١٧ وابن الأثير ٥: ٤٦٨ والعيون والحدائق (لمجهول): ٢٢٢ ومروج الذهب ٤: ١٣٩ ـ ١٤٣ والأخبار الطوال: ٣٨٠ ـ ٣٨٣ وابن خلكان ٣: ١٥٣ ـ ١٥٤.

مصلاه وسكنت نفسه. فلما قال ما قال، قال المنصور: يا للعجب أتقتلهم حين عصوك وتعصيني أنت فلا أقتلك؟! ثم صفق فخرج القومُ وبدرهم إليه شبيبٌ فضربه فلم يزد على أن قَطَعَ حمائلَ سيفه. فقال له المنصور: اضربه قطع الله يدك، فقال أبو مسلم: يا أمير المؤمنين استبقني لعدوّك قال: وأيُّ عدوٍ أعدى منك؟ فضربوه بأسيافهم حتى قطعوه إرباً إرباً. فقال المنصور: الحمد لله الذي أراني يومك يا عدوَّ الله. واستؤذن لعيسى بن موسى، فلما دخل ورأى أبا مسلم على تلك الحال، وقد كان يكلّم المنصور في أمره لعناية كانت منه به، استرجع، فقال له المنصور: احمد الله فإنك إنما هجمتَ على نعمةٍ ولم تهجم على مصيبة، ففي ذلك يقول أبو دلامة[1]:

أبا مجرمٍ ما غَيَّرَ الله نعمةً على عبدِهِ حتى يُغَيِّرها العبدُ
أبا مجرمٍ خوفتني القتلَ فانتحى عليك بما خوفتني الأسدُ الورد

[خطبة المنصور بعد قتل أبي مسلم]

حدثنا محمد بن يحيى الصولي بإسناد لم يحضرني في هذا الوقت ذكره خبرِ المنصورَ وقتلِهِ أبا مسلم، ثمَّ حدثنا أيضاً بإسناد هذه صفته قال: خطب لمنصورُ الناسَ بعد قتلِ أبي مسلم فقال: أيها الناس لا تخرجوا من أُنْسِ لطاعةِ إلى وحشة المعصية، ولا تمشوا في ظلمة الباطل بعد سعيكم في ضياءِ لحقّ. إن أبا مسلم أحسن مبتدياً وأساءَ معقباً، وأخذ من الناس بنا أكثر مما أعطانا، ورجَح قبيح باطنه على حَسَنِ ظاهره، وعلمنا من خبيث سريرته وفسادِ نيَّته ما لو علمه اللائمُ لنا فيه لعذرنا في قتله، وعنَّفنا في إمهاله. وما زال ينقض بيعته ويخفرُ ذمته حتى أحلَّ الله لنا عقوبَته وأباحنا دمه، فحكمنا فيه حُكمَهُ في غيره، ولم يمنعنا الحقُّ له من إمضاء الحقِّ فيه، وما أحسن ما قال النابغة الذبياني في النعمان[2]:

---

(١) عيون الأخبار ١: ٢٦ وابن خلكان ٣: ١٥٥ وديوان أبي دلامة: ٤٢.

(٢) ديوان النابغة: ٢١.

فمن أطاعك فانفعْهُ بطاعتِهِ   كما أطاعكَ وادْلُلْهُ على الرَّشَد
ومن عصاكَ فعاقِبْهُ معاقبةً   تنهَى الظلومَ ولا تَقْعُدْ على ضَمَد[1]

ثم نزل.

[خطبة أخرى للمنصور بعد قتل أبي مسلم]

حدثنا الصولي قال، حدثنا الغلابي قال، حدثنا يعقوب بن جعفر عن أبيه قال: خطب الناسَ المنصورُ بعد قتل أبي مسلم فقال[2]: أيها الناس لا تنفّروا أطرافَ النعمةِ بقلّةِ الشكر فتحلَّ بكم النقمة، ولا تُسِرُّوا غشَّ الأئمةِ، فإن أحداً لا يُسِرُّ منكراً إلا ظهر في فَلَتاتِ لسانه وصفحاتِ وجهه وطوالع نظره. وإنا لن نجهلَ حقوقكم ما عرفتم حقَّنا، ولا ننسى الإحسانَ إليكم ما ذكرتم فضلنا، ومن نازعنا هذا القميعص أوطأنا أم رأسه خبيء هذا الغمد[3]. وإن أبا مسلم بايع لنا على أنه من نكثَ بيعتنا وأضمر غِشّاً لنا فقد أباحنا دمه، ثم نكث وغدر، وكفر وفجر، فحكمنا عليه لأنفسنا حُكْمَهُ على غيره.

[كتاب من أبي مسلم إلى المنصور]

حدثنا محمد بن يحيى الصولي قال، حدثنا المغيرة بن محمد قال، حدثني محمد بن عبد الوهاب قال، حدثني علي بن المغاني قال: كتب أبو مسلم إلى المنصور حين استوحش منه[4]: أما بعد فقد كنتُ اتخذتُ أخاك إماماً، وجعلتُهُ على الدينِ دليلاً لقرابته والوصية التي زعم أنها صارت إليه، فأوطأني عَشْوَةَ الضلالة، وأوهقني في رِبْقَةِ الفتنة، وأمرني أن آخذ بالظنّة وأقتلَ على التهمة ولا أقبل المعذرة، فهتكتُ بأمره حرماتٍ حَكَم الله بصيانتها، وسفكتُ دماءً فرضَ الله حَقْنَها، وزويتُ الأمرَ عن أهله، ووضعتُهُ منه في غير

(١) الضمد: الذلّ والغيظ.
(٢) الخطبة في نثر الدر ٣: ٨٢.
(٣) إلى هنا تنتهي الخطبة في نثر الدر.
(٤) قارن بما أورده الطبري ٣: ١٠٥ وابن الأثير ٥: ٤٧٠ - ٤٧١ من كتاب لأبي مسلم.

محلّه. فإن يَعْفُ الله عني فبفضلٍ منه، وإن يعاقبْ فبما كسبتْ يداي، وما الله بظلام للعبيد.

ثم أنسأه الله تعالى هذا حتى جاءه حتف أنفه فقتله، ثم صعد المنبر فذكر مثل المتقدم فيما ذكرناه.

[معنى حتف أنفه]

قال القاضي: قول هذا القائل: «حتى جاءه حتف أنفه» ينبغي أن يكونَ على قولِ أهلِ العلم خطأً من قائله، وذلك أنهم ذكروا أنه يقال لمن لم يُقْتَلْ ومات على فراشه: «مات حتف أنفه، ومات حتف أنفيه». وذكر بعضُ المتقدمين في علم اللغة وأهل المعرفة بالعربية أن هذا مما أتى في ألفاظ معدودة تكلَّم بها النبيُّ ﷺ لم يجدوا سابقاً إليها غيره. وأبو مسلم على هذا لم يأته حتفُ أنفه، وإنما كان بنسيانه عظيمَ جنايته على نفسه، وتعرّضِهِ لما لا قبلَ له به، وطمعِهِ في الأمنِ مما الخوفُ منه أولى به، فتوجه إلى جبار من الملوك قد وتره، وأسرف في خطابه الذي كاتبه به، مع ما كان منه مما اضطغنه هذا الملك عليه، واسترسل في إتيان حضرته، وأضاع وجه الحزم، واستأنس للخصم، وسلَّم عُدَّتَهُ التي كان يحمي بها نفسه إلى من أتى عليها وفجعه بها، فقتله أفظعَ قتلة. فكيف يقال فيه جاءه حتفُ أنفه مع ما بيَّنّاه من معنى هذه الكلمة واختصاصها بما تختصُّ به. ويبيِّن أن قولهم «مات حتف أنفه» مخالفٌ في المعنى قولَهم «قتل» قَوْلُ السموأل بن عادياء[1]:

وما مات منا سيّدٌ حتفَ أنفه ... ولا طُلَّ منا حيثُ كان قتيلُ

وهذا في دلالته على الفصل بمنزلة قول العامة: «مات فلان على فراشه» ليفصلوه ممن قتل. ولو كان هذا القائلُ في هذا الموضع قال «حتى جاءه حتفه أو منيته، أو حتف نفسه»، أو ما أشبه هذا من الألفاظ المنبئة عن هذا المعنى،

(١) البيت من الحماسية رقم: ١٥ عند المرزوقي.

لوصل إلى بغيته وأصاب في العبارة عما قصد له، وسلم من تخطئة أهلِ العلم له.

[المهدى يستدعى مولى فائد ليغنيه صوتاً معيناً]

حَدَّثنا الحسين بن القاسم الكوكبي قال، حدثنا ابن أبي طاهر قال، حدّثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال، حدثني الربيع بن الفضل قال[1]: أمرني أميرُ المؤمنين المهديُّ بالتقدُّم إلى خليفة العامل على الباب أن يكتبَ إلى صاحبه كتاباً عن نفسه في إشخاص أبي سعيد مولى فائد، فلم يك شيء حتّى وافى أبو سعيد فأدخله خليفةُ العامل عليَّ. فتوهّمت عند نظري إليه أنّه قاضي الحرمين، فدخلت من ساعتي إلى أمير المؤمنين وأعلمته، فأمرني بصرف الناس وإدخاله. قال: فقرّب أمير المؤمنين مجلسه وأحفى سؤالَهُ ثم قال له: غنني أبا سعيد[2]:

لقد طفتُ سَبْعاً قلتُ لما قضيتها ... ألا ليتَ سعيي لا عليَّ ولا ليا
وإنّ الّذي يبغي رضايَ بذكرها ... لأكرمُ من أهلي عليَّ وماليا

فقال: وأغنّيك أحسنَ منه يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداك. قال: أنت وذاك، فغنّاه[3]:

قدم الطويلُ فأشرقت واستبشرت ... أرضُ الحجاز وبان في الأسحار
غيث الحيا وضياءُ كلِّ ملمّة ... سهلُ القيادِ ومألفُ الزوّار

قال القاضي: فأجاده وأحسنه، غير أن المهدي قال: هذا حسن ولكن غنني «لقد طفت سبعاً»، قال له: وأحسنُ منه، جعلني الله فداك. قال له: أنت وذاك، فغناه[4]:

---

(١) قارن بالأغاني ٤: ٣٣٢ - ٣٣٥.

(٢) الشعر في الأغاني ٤: ٣٣٥ وهو من المائة المختارة، ويقال إن الشعر والغناء لأبي سعيد مولى فائد، وذكر بعضهم أن الشعر للمجنون.

(٣) الأغاني ٤: ٣٣٦ والشعر والغناء لأبي سعيد.

(٤) المصدر نفسه، والشعر والغناء لأبي سعيد.

إنّ هـذا الطويـل من آل حَفْصٍ   نشـر الجـودَ بعـدمـا كـان مـاتـا
وبنى الـمجـدَ مُشْبِهـاً لأبيــه   مثـلَ مـا يشبـهُ النبـاتُ النبـاتـا

قال القاضي: هكذا رواه، وأنشر أفصح. فأحسنه وأجاده، فقال المهدي: ويحك يا أبا سعيد، ما تركت في إحسانٍ مزيداً ولكن غنّني: «لقد طفت سبعاً»، فغنّاه:

إنَّ الطويل من آل حفصٍ فاعلموا   سـاد الحضور وسـاد في الأسفار

قال، فقال له المهـدي: أنـت تحسن يا أبا سعيد، ولكن ليس تغنينيْ الّـذي أشتهي. فقال له الفضل منتهراً، غنِّ أميرَ المؤمنين ما يـأمرك بـه. فقال أبـو سعيد: يا أمير المؤمنين لا والذي أكرمك بخلافته ما لي إلى ذلك سبيل. قال: وكيف؟ قال: لأني رأيتُ رسول الله ﷺ في المنام، وكان في يده شيء، فأهوى إليّ ليضربني به وهو يقول: لقد طفت سبعاً، ماذا صنعتَ يا بني[1]؟ فقلت: اعفُ عنّي، فوباعثك بالحقِّ لا غَنَّيْتُ هذا الصوتَ أبداً. قال: فردَّه عني وقال: عفا الله عنك. فـرأيت المهدي يبكي وتغلبُـهُ دموعُـهُ وهو يكفُّهـا، ثمّ وصله وصرفه.

[عرار رسول الحجاج إلى عبد الملك]

حدّثنا عبد الله بن محمد بن محمد بن أبي سعيد وأبو بكر البزاز قالا، حدثنا أبو العيناء قال، حدثنا الأصمعي قال: كتب الحجاج إلى عبد الملك كتاباً ووجَّه به مع رسوله. فجعل عبد الملك يقرأ الكتابَ ويستنشي الخبرَ من الرسول فيجدُ شرحه أشفىٰ من كتاب الحجاج، وكان أسود، فأنشأ عبد الملك يقول[2]:

(١) الأغاني: صنعت بأمتي.

(٢) البيت من الحماسية رقم: ٨٤ عند المرزوقي وهي في ١: ١١٩ من شرح التبريزي، لعمرو بن شأس وهو شاعر أدرك الإسلام وهو شيخ كبير. وقد أورد كلاهما القصة وخلاصتها أن عراراً كان رسول المهلب بن أبي صفرة إلى الحجاج، وأن عراراً بلغ الغاية في الإبانة عما أرسل به =

وإن عـراراً إنْ يكنْ غيرَ واضـحٍ فإني أُحبّ الجَوْنَ ذا المنكبِ العَمَمْ

فقال الرسول: أنا عرار يا أميـر المؤمنين، وأبي قال فيَّ هـذا الشعر، فأُعجب بذلك عبد الملك.

[معاوية يعيب أهل اليمن فيعيب اليمني قوم معاوية]

حدثنا الحسن بن أحمد بن محمد الكلبي قال، حدثنا الكلابي قال، حدثنا العباس بن بكار قال، حدّثنا عامر بن عبد الله عن أبي الزناد قال، قال معاوية لرجل من أهل اليمن[1]: ما كان أجهلَ قومَكَ حيث قالوا: ﴿ربَّنا باعِدْ بين أسفارنا﴾ [سبأ: ١٩] وحيث ملكوا أمرهم امرأة. فقال: أجهلُ منهم قومك يا أمير المؤمنين قالوا حين دعاهم رسول الله ﷺ: ﴿اللّهم إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطرْ علينا حجارةً من السماء﴾ الآيـة [الأنفال: ٣٢] ألا قالوا: اللّهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له.

تم المجلس بحمد الله وحسن توفيقه.

= فأعجب به الحجاج وتمثل «أرادت عراراً بالهوان... البيت» فقال عرار: أنا أيد الله الأمير عرار.

(١) أنساب الأشراف ٤/١: ٦٢ (رقم: ٢١٧) وبهجة المجالس ١: ١٠٢ والعقد ٤: ٢٧ والإكليل ٢: ٢٢٨ ومسند أحمد ٥: ٤٣.

المجلس المائة وبه تمام المجالس

[زكاة الرأس]

حدثنا محمد بن مخلد بن حفص العطار قال، حدثني جعفر بن محمد بن كزال البزاز قال، حدّثنا عبد الله بن يحيى يعني المروزي قال، حدّثنا إسماعيل بن يحيى يعني ابن عبد الله التيمي عن شعبة عن الحكم عن الشعبي قال، قلت لابن عباس: ما سُنّة الفطرة فقال: سأل النبيُّ ﷺ جبريلَ عليه السّلام فقال: يا جبريل إنّ أمّتي يكذبون الأممَ يوم القيامة فأخاف أن يَرِدوا عليّ يوم القيامة ولم يتمَّ صومهم، فقال جبريل: مُرْهُمْ فليعطوا كلَّ رجل منهم عن نفسه نصفَ صاع من بُرٍّ يكونُ كفَّارة لذنوبهم في صومهم حتّى تُعْتَقَ رقابهم من النار. قال: فكان رسول الله ﷺ يقول: هي زكاةُ الرأسِ نجاةً من النار. قال ابن عباس: فكانت هذه أحبَّ إلى رسول الله ﷺ من الدنيا وما فيها. قال ابن مخلد: هذا حديث منكر ولكن فيه ترغيب، واسأل الله السلامة، وإسماعيل بن يحيى بن عبيدِ الله التيمي رجل ضعيف وأبوه أيضاً.

[هل ضعف الراوي يجعل الحديث ضعيفاً]

قال القاضي: الذي ذكره ابن مخلد من تضعيف إسماعيل بن يحيى راوي هذا الحديث على ما ذكر عند أهل صناعة الحديث. وكثير من العامّة ومن لا نظر له من النقلة يظن أنَّ ما ضعف راويه فهو باطلٌ في نفسه مقطوعٌ على إنكاره من أصله، وهذا جهلٌ ممّن ذهب إليه، وذلك أن راوياً معروفاً

بالكذب في رواياته لو روى خبراً انفرد به مما يمكن أن يكون حقّاً وأن يكون باطلاً لوجب التوقف عن الحكم بصحته والعمل بما تضمّنه، ولم يجز القطع على تكذيب راويه والحكم بتكذيب ما رواه.

[مبلغ زكاة الفطر]

فأمّا تقدير ما يخرج من زكاة الفطر من البر بأنّه نصف صاع فقد روي هذا المقدار عن النبي ﷺ من جهات متواترة وبأسانيد متظاهرة، وهو القول المستفيض في الصحابة والتابعين وفقهاء السّلف من المسلمين، وإليه يذهب أئمة الفقهاء العراقيين وغيرهم من المفتين، وبه نقول. وكانت طائفة كبيرة العدد ترى أن ما يخرج في صَدَقة البُرّ بمنزلة ما يخرج فيها من التمر، وممن ذهب إلى هذا مالكٌ والشافعيّ، والّذي يختار إخراج صاع ممن وجد سعةً من غير أن توجب عليه أكثر من ذلك. وقد بيّنا ما يجب إخراجه في هذه الصدقة من أنواع الأقوات، وذكرنا اختلافَ الناس في ذلك والاحتجاجَ لكلّ ذي مذهب فيه وعليه في مواضعه من كتبنا في الفقه مشروحاً ملخّصاً.

[معنى بيت يفسره الأصمعي]

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال، أخبرنا عبد الرحمن عن عمه الأصمعي أن رجلاً وقف عليه فسأله عن معنى هذا البيت:

وماذا عليها من قَلُوصٍ تَمَرَّغَتْ ... بعِكمين أو أُلقتهما بالصحاصح

فقال له عمي: هذا الرجلُ كان مفرداً، وكانت عنده امرأةٌ فطلّقها ونكح أخرى، فلقيت المرأة الأولى صاحباً للرجل فقالت: ما فعلتْ صاحبةُ فلان؟ قال: هي كما يحبّه، فقالت: كلّا لقد تمرّغت بعكمين أي ساءَ خُلُقها عليه وكرهته، فبلغ ذلك الرجلَ، وكان اسمه المرأةِ الأولى أسماء، فقال:

تعرَّضُ أسماءُ الركابَ عَشيّةً ... تسائل عن ضِغْنِ النساءِ النواكح

وماذا عليها من قَلُوصٍ تمرَّغَت بعِكمين أو ألقتهما بالصحاصح

وهذا مَثَلٌ، وليس هناك قَلُوصٌ ولا عكمان.

[مصير مسافر بن عمرو]

وحدثنا ابن دريد قال، أخبرنا السكن بن سعيد عن محمد بن عباد عن هشام بن محمد قال[1]: كان مسافر بن [أبي] عمرو بن أمية بن عبد شمس من فتيان قريش جمالاً وسخاءً وشعراً. فعشق هند بنت عتبة حتّى شُهِرَ أمرهما، فاستحيا وخرج إلى الحيرة ليسلوها. فنادم عمرو بن هند، وكان له مكرماً؛ ثم إن أبا سفيان بن حرب تزوَّجَ هنداً في غيبةِ مسافر هذه. وخرج أبو سفيان إلى الحيرة تاجراً، فلقي مسافر بن أبي عمرو فسأله عن مكة وأخبار قريش، فخبره من ذلك ثم قال: وإنّي تزوّجت هند ابنةَ عتبة. فأسف مسافر من ذلك ومرض حتّى سُقي بطنه، وقال[2]:

ألا إنّ هنداً أصبحت منك مَحرَما وأصبحتَ من أدنى حموّتها حما

وأصبحتَ كالمسلوب جفنَ سلاحِهِ يقلِّبُ بالكفّين قوساً وأسهما

فدعا عمرو بن هند الأطباءَ فسألهم عن حاله فقالوا: ليس له دواء إلّا الكيّ، فقال له: ما ترىٰ؟ قال: افعل. فدعا له طبيباً من العِباد فأُحمى مكاويه حتّى صارت كالنار، ثم قال: أمسكوه لي، فقال له مسافر: لستُ أحتاج إلى ذلك. فجعل يضع عليه المكاوي، فلمّا رأى الطبيب صبره هاله ذلك، فقال مسافر: قد يَضْرِطُ العَيْر والمكواة في النار[3]، فأرسلها مثلاً. قال: فلم يغنه ذلك شيئاً.

---

(١) كان مسافر بن أبي عمرو من ازواد الركب (المحبر: ١٣٧) أي: الذين إذا سافروا تكفلوا لرفاقهم بكل زادهم وكان نديماً لأبي طالب (المحبر: ١٧٤ ـ ١٧٥) وقصة مسافر في عشقه لهند ووفاته وردت في المنمق: ٤٦١ ـ ٤٦٤ والأغاني ٩: ٤٨ ـ ٥٠.

(٢) البيتان أيضاً في نسب قريش: ٣١٨ منسوبين إلى هشام بن المغيرة، وقال في الأغاني ٩: ٥٣ وقد قيل إن بيتي مسافر لابن عجلان.

(٣) المثل في الميداني ٢: ٢٨ والعسكري ٢: ١٢٣ وفصل المقال: ٤٣٢.

فخرج يريد مكة فأدركه الموت بزبالة، فدفن بها ونعي إلى أهل مكة، وكان أبو طالب ابن عبد المطلب له نديماً، فقال يرثيه:

ليتَ شعري مسافرُ بنَ أبي عمـ ـرٍو وليتٌ يقـولهـا المحـزونُ
كيف كانت مرارةُ الموتِ في فيـ ـك وماذا بعد المماتِ يكون[1]
رجع الوفدُ[2] سالمين جميعاً وخليلي في مَـرْمَسٍ مـدفـون
ميت صـدقٍ على هبالـةَ قد حـا لت فيـافٍ من دونـه وحـزون
مـروةٌ تـدفـعُ[3] الخصومَ بـأيـدٍ وبـوجـهٍ يـزينـهُ العرنـين
بـورك الميّتُ الغـريب كمـا بـور ك نَضْحُ[4] الرمّانِ والـزيتـون

[الرمان والزيتون]

قال القاضي: والمشهور من الرواية في هذا البيت «كما بورك نَضْرُ الرمان والزيتون»، وذكر الرمّان والزيتون لتقدّمهما في أنواعها وعظم منافعهما وسعة الانتفاع بأصولهما وفروعهما. وورق هاتين الشجرتين من أقوى الأشياء اشتباهاً وكلٌّ واحدٍ منهما كأنه صاحبه، وبين ثمرتيهما من الاختلاف والتفاوت ما لا يخيل، وذلك من بديع حكمة الله تعالى وإتقان صنعته ولطيف قدرته. وقد قال الله جلّ ثناؤه: ﴿وهو الّذي أَنْزَلَ مِن السَّماءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا به نَبَاتَ كُلِّ شَيءٍ فَأَخْرَجْنَا منه خَضِراً نُخْرِجُ منه حَبّاً مُتَراكِباً ومنَ النَّخْلِ منْ طَلْعِها قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِن أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ والرُّمَانَ مُتَشَابِهاً وغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ [الأنعام: ٩٩]. فهو مشتبه في ورقه غير متشابه في أنواعه وطعومه وصورة ثمرته، فسبحان الحكيمِ في تدبيره، المحسنِ في تقديره، المنعمِ على خلقه، والنّاظرِ لهم بسبوغ رزقه.

---

(١) لم يرد هذا البيت في رواية الأغاني أو المنمق.
(٢) الأغاني: الركب.
(٣) الأغاني: مدره يدفع.... يزينه العرنين.
(٤) الأغاني وإحدى النسخ: نضر.

[تمام الخبر السابق]

رجعنا إلى الخبر: قال هشام بن محمد الكلبي، قال الشرقي بن القطامي[1]: البيتان الأوّلان لهشام بن المغيرة المخزومي، وكانت عنده أسماء بنت مخربة النهشليّة، فولدت له أبا جهل والحارث، فغضب عليها في أمرٍ من الأمور فجعلها كظهر أمّه، وهو أول ظهارٍ كان في العرب، فجعلته قريش طلاقاً. فأرادت أسماءُ الرحلةَ إلى أهلها، فقال لها هشام: أين الموعد؟ فقالت: الموسم، فقال لها ابناها أبو جهل والحارث أقيمي معنا، فأقامت. فقال لها المغيرة: لأزوجنّك غلاماً ليس بدون ابني هشام، فزوَّجها ابنه أبا ربيعة، فولدت له عبد الله وعياشاً، فذلك قول هشام بن المغيرة:

ألا زعمتْ أسماءُ أنْ سوف نلتقي أحاديثُ طسمٍ إنّما أنت حالمُ

وقال:

ألا أصبحت أسماء حجراً محرّماً (البيتين الأولين).

[وفود أم سنان المذحجية على معاوية]

حدثنا الحسين [بن أحمد] بن محمد بن سعيد الكلبي قال، حدثنا الغلابي قال، حدثنا العباس بن بكار قال، حدثنا عبد الله بن سليمان المديني عن أبيه عن سعد بن حذافة قال[2]: حبس مروان بن الحكم غلاماً من بني ليث في جناية جناها بالمدينة، فأتته جدة الغلام أمُّ أبيه، وهي أم سنان بنت خيثمة بن خرشة المذحجية، فكلمته في الغلام فأغلظ لها وزبرها. فخرجت إلى معاوية واستأذنت عليه، فأذن لها، فلمّا جلست قال: يا بنتَ خيثمة، ما أقدمك أرضي وقد عهدتك تشنأين قربي، وتحضين عليّ عدوّي. قالت: يا أمير المؤمنين، إن

---

(١) بعض هذه الرواية يرد في نسب قريش: ٣١٨ كما أشرت من قبل.

(٢) انظر أخبار الوافدات: ٢٣ ـ ٢٦ وتاريخ ابن عساكر (تراجم النساء: ٥٣٠) وبلاغات النساء: ٩٢.

لبني عبد مناف أخلاقاً طاهرة وأعلاماً ظاهرة، لا يجهلون بعد علم، ولا يسفهون بعد حلم، ولا يتعقبون بعد عفو، وإن أولى الناس باتباع سُنَنِ آبائه لأنت. قال: صدقت، نحن كذلك، فكيف قولك:

عزب الرقادُ فمقلتي لا ترقدُ ... والليلُ يُصدرُ بالهموم ويوردُ
يا آلَ مذحجَ لا مقامَ فشمّروا ... إنّ العدوّ لآلِ أحمدَ يقصد
هذا عليٌّ كالهلال تحفّهُ ... وسط السماءِ من الكواكب أسْعُدُ
خيرُ الخلائق وابنُ عمِّ محمّدٍ ... وكفى بذلك والعدوُّ يهدّد
ما زال مذ عَرَفَ الحروبَ مظفَّراً ... والنّصرُ فوقَ لوائِهِ ما يُفْقَدُ

قالت: قد كان ذلك يا أمير المؤمنين، وإنا لنطمع بك خلفاً. قال رجل من جلسائه: كيف يا أمير المؤمنين وهي القائلة:

إما هلكتَ أبا الحسينِ فلم تَزَلْ ... بالحقِّ تُعْرَفُ هادياً مهديّا
فاذهب عليك سلامُ ربِّك ما دعت ... فوقَ الغصون حمامةٌ قمريّا
قد كنتَ بعد محمّد خَلَفاً لنا ... أوصى إليكَ بنا فكنت وفيّا
فاليومَ لا خَلَفٌ نؤمّلُ بعده ... هيهات نمدحُ بعده إنسيّا

قالت: يا أمير المؤمنين، لسانٌ نَطَقَ، وقولٌ صَدَقَ، ولئن تحقّق فيك ما ظننا فحظّك أوفر، والله ما أورثك الشناءة في قلوب المسلمين إلاّ هؤلاء، فادحضْ مقالتهم، وأبعدْ منزلهم، فإنّك إن فعلت ازددت بذلك من الله قرباً، ومن المسلمين حبّاً. قال: إنّك لتقولين ذلك؟ قالت: سبحان الله، والله ما مثلك مُدِحَ بباطل، ولا اعتُذِرَ إليه بكذب، وإنك لتعلم ذلك من رأينا وضمير قلوبنا. كان والله عليّ أحبَّ إلينا منك إذ كان حَياً، وأنت أحبُّ الناس إلينا من غيرك إذ أنت باق. قال: فممن شكواك؟ قالت: مروان بن الحكم وسعيد بن العاص. قال: وبِمَ استحققت ذلك عليهما؟ قالت: بحسن حلمك، وكرم عفوك. قال: وإنّهما ليطمعان في ذلك؟ قالت: هما والله لك من الرأي على مثل ما كنت عليه لعثمان. قال: والله لقد قاربتِ فما حاجتك؟ قالت: إن مروان بن الحكم تبنّك

بالمدينة تَبَنُّكَ من لا يريد البراح منها، لا يحكم بعدل، ولا يقضي بسنّة، يتتبع عثرات المسلمين، حبس ابني فأتيته، فقال: كيت وكيت، فألقمته أخشن من الحجر، وألعقته أمرَّ من الصاب. (قال أبو عبد الله: الصاب الحضض).

قال القاضي: الحظظ بالظاء وهو معروف. قال أبو ذؤيب الهذلي[1]:

نـام الخليّ وبتّ الليلَ مشتجـراً   كأن عينيكَ فيها الصابُ مـذبوح

مذبوح مشقوق، والذبح الشق، قال الشاعر:

كـأن بـيـن فـكّـهـا والـفـكّ   فـأرةَ مسـكٍ ذبحت في سُـكّ

رجع الخبر: ثم رجعت إلى نفسي بالملامة، وأتيتك يا أمير المؤمنين لتكونَ في أمري ناظراً وعليه مُعْدياً. قال: صدقت لا أسألك عن ذنبه، ولا أسألك القيام بحجته؛ اكتبوا لها بإخراجه. قالت: يا أمير المؤمنين، وأنّى لي بالرجعة وقد نفد زادي وكلَّتْ راحلتي؟ فأمر لها براحلة موطأة وخمسة آلاف درهم.

[عروة يشكو خال هشام إلى هشام]

حدثنا أبو النضر العقيلي قال، حدّثنا مخمد بن زكريا الغلابي قال، حدّثنا عبيد الله بن محمد عن أبيه، قال الغلابي: وحدثنا العتبي عن أبيه قالا: دخل عبد الله[2] بن عروة بن الزبير (قال ابن عائشة: وأمّه ابنة المغيرة بن شعبة) على هشام بن عبد الملك، وقد كان إبراهيم بن هشام أضرَّ به وهو على المدينة. فقال له عبد الله: يا أمير المؤمنين، إنّك قد ولّيت خالك ما بين المدينة إلى عدن فلم يمنعه كثيرُ ما في يده من قليل ما في أيدينا إن نازعته نفسه

---

(١) شرح شعر الهذليين ١: ١٢٠.

(٢) كان عبد الله بن عروة أسنَّ أبناء عروة، ولم يكن بينه وبين أبيه إلا خمس عشرة سنة، وكان له عقل وحزم وفضل، وكان مصلحاً مثمراً للمال يبذله في حقه ويرغب في الأجر وحسن الذكر (جمهرة نسب قريش للزبير: ٢٦٣، ٢٦٧) وبعض الخبر الوارد هنا قد ورد في جمهرة نسب قريش: ٢٧١ وفي مختصر ابن منظور ١٣: ١٣٨ (ترجمة عبد الله بن عروة).

اختلاس ما في اختلاسه هَتْكُنا[1]، فأنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تصلَ رحماً بقطيعةِ أخرى، فوالله ما سخّى بأنفسنا عن الأموات إلّا ما كفّ وجوهَ الأحياء، ولأن نموتَ مرفوعين أحبُّ إلينا من أن نعيش مخفوضين. فقال هشام لعبد الله: إنّه لا سلطانَ لخالي عليك بعد يومك هذا. فقال له عبد الله: فإن قال نقول وإن مدَّ يده مددنا بأيدينا؟ قال: نعم. فقال عبد الله لأخيه يحيى قُلْ، فجثا بين يديه ثم قال:

إنا وإخواناً لنا قد تكلموا   حديثاً على أَمْرِ الضلالةِ والهدى
يقولون كنّا سادةً في ندِيِّنا   وما ذاكمُ مرّ الحديث ولا حلا
قعوداً بأبواب الفجاج وخيلنا   تساقىَ كؤوسَ الموتِ تدعسُ بالقنا
فلما أتاهم فيئهم برماحنا   تكلّم مكفيٌّ بعيبٍ لمن كفىٰ

فضحك هشام وقال له: أحسنت، ثم أمر له بعشرة آلاف درهم وقال لكاتبه: اكتب إلى إبراهيم بن هشام يحسنْ إليه ويرفعْه ففعل.

أخبرنا الحسين بن القاسم الكوكبي قال، حدّثنا إسحاق بن محمد بن أقبان النخعي قال[2]: أنشدني لمروان بن أبي حفصة في ابن أبي دواد لمّا نالته العلّة الباردة:

لسانُ أحمدَ سيفٌ مسّهُ طَبَعٌ   من علّةٍ فجلاها عنه جاليها
ما ضرَّ أحمدَ باقي علّةٍ درست   والله يُذْهِبُ عنه رسمَ باقيها
موسىٰ بن عمران لم يُنْقِصْ نبوّتهُ   ضَعْفُ اللّسانِ به قد كان يمضيها
قد كان موسى على علّاتِ منطقه   رسائلُ الله تأتيه يُؤدّيها

(١) المختصر: هلكنا.

(٢) لا وجود لهذا الشعر في ما جمع من شعر مروان (مما يفيِّل حسن الظن في كثير من هذه الدواوين المجموعة).

[لقمان وزوجته التي تخونه]

حدثنا محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري قال، حدّثنا الحسن بن عليل العنزي قال، حدَّثنا علي بن الصبّاح قال، حدثنا أبو البدر هشام بن محمد الكلبي قال[1]: كان لقمان بن عاد بن عاديا، وكان من بني صدى بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، رجلاً غيوراً، وكان لا يتزوّج امرأة إلّا فجرت، فتزوّج جاريةً صغيرة لا تدري ما الرجال، وبنى لها بيتاً في رأس جبل، وجعل له خطافاً، وكان يصعد إليه وينزل منه بالسلاسل، فإذا تنحّى عنه نحَّى السلاسلَ. فبصر بها غلامٌ من عاد فعشقها فقال لأهله: لئن لم تجمعوا بيني وبين امرأة لقمان بن عاد لأجلبنَّ عليكم حرباً ترقّص أشياخكم. قالوا: كيف الوصول إليها؟ قال: بأن تجعلوني بين سيوفٍ تودعونها لقمانَ إلى أجل ثم تستردُّونها منه حين [يحين] ذلك. فجعلوه بين سيوفٍ وجاءوا بها لقمان فأودعوه إيّاها فقبلها ووضعها في ذلك الموضع، فلمّا نزل تحرك الغلام فخرج. فكان يكون معها، فإذا جاء لقمان توارى. فلمّا انقضى الأجل جاء أهلُهُ يطلبون السيوف فأعطاهم إياها وهو فيها. ثم إن لقمان كان ذات يوم جالساً في ذلك الموضع على سريرٍ له مع امرأته، فرفع رأسه فإذا نُخامةٌ تنوسُ في السقف، فقال لها: ما هذه؟ قالت: منّي.

قال أبو بكر: النوس حركة الشيء المتدلي.

قال: فتنخَّمي ففعلت فلم تصنع شيئاً. قال: يا ويلاه، السيوف دهتني. ثم احتملها فألقاها من ذلك الموضع فقتلها. فنزل غضبان شديدَ الغضب فلقيته ابنته صُحْر فقالت: ما لي أراك يا أبةِ شديدَ الغضب؟ قال: وأنت أيضاً من

---

(١) انظر المثل «مالي ذنب إلا ذنب صحر» في جمهرة العسكري ٢: ٢٦١. (بالسند الوارد هنا)، وفي أمثال المفضل: ١٥٣ والميداني ٢: ١٤٤ قصة أخرى، وفي الحيوان ١: ٢١ ـ ٢٢ قصة ثالثة، وبإيجاز في فصل المقال: ٣٨٥ ـ ٣٨٦ وانظر اللسان (صحر).

النساء، فأخذ حَجَراً فضرب رأسها فقتلها. فضربت بها العرب المثل فقالوا: ما أذنبت إلا ذنبَ صحر، ويضربونه لمن يُعاقَب ويُؤاخَذ ولا ذنب له. وفي ذلك يقول خفاف بن ندبة للعباس بن مرداس السلمي[1]:

وعبّـاس يـدبُّ ليَ المنـايـا   ومـا أذنبـتُ إلّا ذنـبَ صُـحْـرِ

[لقمان ولقيم]

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري قال، أخبرنا أحمد بن سعيد[2] أن لقمان بن عاد خاطر لقيما ابن اخته في مائةٍ من الإبل على السّبق إلى موضع أيهما سبق إليه أخذها. فسبقه لقيم واستاق الإبل، فقدم بها ونحر وأهدى وطبخ وأطعم. فأتى لقمان ابنته صحر، فقدمت إليه لحماً مطبوخاً. فقال: من أين هـذا اللّحـم؟ قالت: قدم لقيـم بالإبل فنحـر وأهدى وأطعـم، فهذا اللحم من عنده. فتأسّف وغضب وضرب برأسها وقتلهـا، فضربت العرب في ذلك المثل، وفيه يقول أبو دَهْبَل الجمحي، قال أحمد بن سعيد: أنشدناه الزبير بن بكار له، قال ابن الأنباري: وأنشدناه أحمد بن يحيى أيضاً عن الزبير بن بكار لأبي دهبل الجمحي[3]:

اذهـبي بـالله فـاستـمـعي   خـبّـريـه بـالـذي فـعـلا
واسـأليـه فيـم يَصْـرِمُـنَـا   قـد وَصَـلْنَـاهُ كـمـا وصـلا
وتـجنّـى حيـن لـنـتُ لـه   ذنبَ صُحْرٍ يبـتـغي الـعـللا

قال القاضي: ولقمان بن عاد ولقيم معروفان مشهـوران عند العـرب،

---

(1) ورد في جمهرة العسكري ٢: ٢٦٢ والميداني ٢: ١٤٤ وشعر خفاف: ٤٩ وأمثال المفضل: ١٥٣.

(2) قارن بما في أمثال المفضل: ١٥٣ وثمار القلوب: ٣٠٧.

(3) ديوان أبي دهبل: ٩٧ ـ ٩٨.

ولهما أخبار كثيرة، والعرب تكثر في كلامها وأشعارها ذكرهما، وتضرب أمثالاً كثيرة بهما، وقد قال بعض من هجا بني تميم[1].

إذا ما مات ميْتٌ من تميم فسرَّكَ أن يعيشَ فجيء بزادِ
بخبزٍ أو بلحمٍ أو بتمرٍ أو الشيء الملفَّف في البجاد
تراه يطوِّفُ الآفاق طرّاً ليأكلَ رأسَ لقمان بن عاد

ولقيم هو ابن لقمان من أخته، ولقمان أبوه وخاله، وذلك فيما ذكر أهل السِّير قالوا: كان لأخت لقمان زوجٌ مُحْمِق يولدها الحمقى. يقال في هذا المعنى رجلٌ مُحْمِقٌ وامرأة مُحْمِقة، كما قال الشاعر[2]:

لستُ أبالي أن أكونَ مُحْمِقَهْ إذا رأيتُ خصْيةً معلَّقَهْ[3]

فقالت لامرأة أخيها لقمان[4]: هبي لي ليلةً من بعلك، قالت: وكيف السبيلُ إلى ذلك وفيه تلفي وتلفك؟! قالت: السبيل إلى ذلك أن تسقيه الخمر، فإذا كاد يثمل منها رفعتِ المصبح من البيت وأخليتِ لي فراشه، ففعلت ذلك. وأوى لقمان إلى فراشه فوقع عليها وهو يظنّ أنّها امرأته، لكنه لم يخفَ عليه حتّى قال في سكره، حين باشرها: هذا هَنٌ جديد. فاشتملت على لقيمٍ من أخيها، فأتتْ به أدهى من لقمان وأفضل، وفي ذلك يقول النمر بن تولب[5]:

لقيم ابن لقيمان من أخته فكان ابنَ أختٍ له وابنما
عشيةَ حُمِّقَ فاستضحكت إليه فَغُرَّ بها مُظلما
فأحبلها رجلٌ نابه فجاءت به رجلاً مُحْكما

---

(١) الأبيات تنسب لأبي المهوش الأسدي كما في الكامل ١ : ١٠٠ وعيون الأخبار ٢ : ٢٠٣ (بيتان) ودون نسبة في بهجة المجالس ١ : ١٠٢.

(٢) لبعض نساء العرب في اللسان: (حمق).

(٣) تقول إنها لا تبالي أن تلد أحمق ما دام المولود ذكراً.

(٤) أمثال المفضل: ١٥٢ والميداني ٢ : ٢٣٢ والقصة دون المثل في الزاهر ٢ : ٢٤.

(٥) الشعر في أمثال المفضل: ١٥٢ والميداني ٢ : ٢٣٢.

[هل كان لقمان مجوسياً]

قال القاضي: قد حكي أن قائلاً ذكر أن لقمان بن عاد كان مجوسياً، وإنّما توهّم هذا لاستيلاده أخته، وليس الأمر على ما توهّمه، ولكن السبب فيه ما ذكرنا. وقد ذكر الفراء في قصة أصحاب الكهف في قوله تعالى: ﴿أيّها أزكى طعاماً﴾ [الكهف: ١٩] أنّ الذين كانوا بينهم كانوا مجوساً[١]، وذكر أنّ من لم يكن من أهل الكتاب يقال له مجوسي. وهذا خطأ من قائله لأنَّ المجوسيّة ملّةٌ مخصوصة متميّزة عن غيرها كاليهودية والنصرانية.

**وهذا آخر ما يسّر الله تعالى إملاءه من كتاب الجليس الصالح الكافي
والأنيس النّاصح الشّافي، ولله سبحانه وتعالى الحمد والمنّة وحسبنا الله
ونعم الوكيل ولا حولَ ولا قوّة إلاّ باللّهِ العَليّ العظيم
تـمّ**

(١) معاني القرآن للفراء ٢: ١٣٧.

مصادر التحقيق

مما لم يذكر في الجزء الثالث

١ ـ الأخبار الطوال للدينوري، تحقيق عبد المنعم عامر، القاهرة ١٩٦٠.

٢ ـ أخبار النحويين البصريين للسيرافي، تحقيق الزيني وخفاجي، القاهرة ١٩٥٥.

٣ ـ أخبار الوافدات على معاوية للعباس بن بكار الضبي، تحقيق سكينة الشهابي، بيروت ١٩٨٣.

٤ ـ الإرشاد للشيخ المفيد، مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٩٧٩.

٥ ـ أزهار الأنوار للتيفاشي (مخطوطة المتحف العراقي).

٦ ـ أساس البلاغة للزمخشري، بيروت ١٩٦٥.

٧ ـ أسد الغابة لابن الأثير (١ ـ ٥) طهران ١٣٧٧.

٨ ـ الأصمعيات، تحقيق آلورد البروسي، بيروت ١٩٨١.

٩ ـ إعجاز القرآن للباقلاني، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف بمصر.

١٠ ـ الاعلاف النفيسة لابن رستة، تحقيق دي خويه، ليدن ١٨٩٢.

١١ ـ الاكتفاء في مغازي الرسول والثلاثة الخلفاء للكلاعي (١ ـ ٢) تحقيق مصطفى عبد الواحد، القاهرة ١٩٦٨ ـ ١٩٧٠.

١٢ ـ الاكليل للمعمداني (جـ: ٢) تحقيق محمد بن علي الأكوع، القاهرة ١٩٦٦.

١٣ ـ أمالي الشيخ الطوسي (١ ـ ٢)، النجف ١٩٦٤.
١٤ ـ إنباه الرواة على أنباه النحاة (١ ـ ٤) للنفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٥٠ ـ ١٩٧٣.
١٥ ـ الأوائل للعسكري (١ ـ ٢) تحقيق وليد قصاب ومحمد المصري، دمشق ١٩٧٥.
١٦ ـ بلاغات النساء لابن أبي طاهر، صححه أحمد الألفي، القاهرة ١٩٠٨.
١٧ ـ البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث لابن الأنباري، تحقيق رمضان عبد التواب، القاهرة ١٩٧٠.
١٨ ـ تاريخ دمشق لابن عساكر (تراجم النساء) تحقيق سكينة الشهابي، دمشق ١٩٨٢.
١٩ ـ تفسير الطبري (جـ: ١٤) تحقيق محمود محمد شاكر، دار المعارف بمصر ١٩٥٨.
٢٠ ـ تفسير القرطبي (جـ: ١٩) القاهرة ١٩٦٧.
٢١ ـ ثمار القلوب للثعالبي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٦٥.
٢٢ ـ الجليس الصالح (جـ: ٣) تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٨٧.
٢٣ ـ جمهرة نسب قريش للزبير بن بكار، تحقيق محمود محمد شاكر، القاهرة ١٣٨١.
٢٤ ـ رسائل البلغاء، تحقيق محمد كرد علي، القاهرة ١٩٤٦.
٢٥ ـ ديوان أبي دهبل، تحقيق عبد العظيم عبد المحسن، النجف ١٩٧٢.
٢٦ ـ ديوان أبي دلامة، إعداد رشدي علي حسن، بيروت ١٩٨٥.
٢٧ ـ ديوان أبي دواد، جمعه غروبناوم، بيروت.
٢٨ ـ ديوان جميل بثينة، جمع حسين نصار، دار مصر للطباعة.

٢٩ ـ ديوان طرفة بن العبد، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال، دمشق ١٩٧٥.
٣٠ ـ ديوان العجاج (١ ـ ٢) تحقيق عبد الحفيظ السطلي، دمشق ١٩٧١.
٣١ ـ ديوان قيس بن الخطيم، تحقيق ناصر الدين الأسد، بيروت ١٩٦٢.
٣٢ ـ ديوان كعب بن زهير، شرح السكري، القاهرة ١٩٥٠.
٣٣ ـ ديوان ليلى الأخيلية، جمع خليل إبراهيم العطية وجليل العطية، بغداد ١٩٦٧.
٣٤ ـ رسائل البلغاء، تحقيق محمد كرد علي، القاهرة ١٩٤٦.
٣٥ ـ سراج الملوك للطرطوشي، الإسكندرية ١٢٨٩.
٣٦ ـ السنن الكبرى للبيهقي (١ ـ ١٠) حيدر آباد الدكن ١٣٥٥.
٣٧ ـ سير أعلام النبلاء للذهبي (جـ: ١) تحقيق الشيخ شعيب الأرناؤط، بيروت.
٣٨ ـ السيرة النبوية لابن كثير (١ ـ ٤) تحقيق مصطفى عبد الواحد، القاهرة ١٩٦٢ ـ ١٩٦٦.
٣٩ ـ سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي.
٤٠ ـ سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم، تحقيق أحمد عبيد، القاهرة ١٩٥٤.
٤١ ـ شرح ديوان لبيد بن ربيعة، تحقيق إحسان عباس، الكويت ١٩٦٢.
٤٢ ـ شرح ما يقع فيه التصحيف للعسكري (جـ: ١) تحقيق السيد محمد يوسف، دمشق ١٩٧٥.
٤٣ ـ شرح النقائض (١ ـ ٣) تحقيق بيفان، ليدن ١٩٠٥ ـ ١٩٠٨.
٤٤ ـ شعر الأحوص، تحقيق عادل سليمان، القاهرة ١٩٧٠.
٤٥ ـ شعر عمر بن لجأ التيمي، جمعه يحيى الجبوري، بغداد ١٩٧٦.
٤٦ ـ شعر النابغة الجعدي، المكتب الإسلامي، بيروت.

٤٧ ـ الشيخان (من أنساب الأشراف للبلاذري) تحقيق إحسان الصمد، الكويت ١٩٨٩.
٤٨ ـ صبح الأعشى للقلقشندي (جـ: ٨) نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية.
٤٩ ـ صحيح مسلم (١ ـ ٥) استانبول ١٩٥٥.
٥٠ ـ طبقات الشافعية للسبكي (جـ: ٢) تحقيق الحلو والطناحي، القاهرة ١٩٦٤.
٥١ ـ طبقات الشعراء، لابن المعتز، تحقيق عبد الستار فراج، مصر ١٩٥٦.
٥٢ ـ عيون الأثر لابن سيد الناس (١ ـ ٢) القاهرة ١٣٥٦.
٥٣ ـ العيون والحدائق لمؤلف مجهول، تحقيق دي خويه، ليدن ١٨٧١.
٥٤ ـ غاية النهاية (١ ـ ٣) للجزري، تحقيق برجستراسر، مصر ١٩٣٢ ـ ١٩٣٣.
٥٥ ـ غريب الحديث لابن قتيبة (١ ـ ٣) تحقيق عبد الله الجبوري، بغداد ١٩٧٧.
٥٦ ـ غريب الحديث للخطابي (١ ـ ٣) تحقيق عبد الكريم العزباوي، دمشق ١٩٨٢ ـ ١٩٨٣.
٥٧ ـ كتاب المعمرين والوصايا للسجستاني، تحقيق عبد المنعم عامر، القاهرة ١٩٦١.
٥٨ ـ ما ينصرف وما لا ينصرف للزجاج، تحقيق هدى قراعة، القاهرة ١٩٧١.
٥٩ ـ المحبر لابن حبيب، تحقيق ايلزه، ليختن شتيتر، حيدر آباد ١٩٤٢.
٦٠ ـ مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (١ ـ ٢٩) لمحققين مختلفين، دمشق ١٩٨٤ ـ ١٩٨٨.
٦١ ـ المذكر والمؤنث للمبرد، تحقيق رمضان عبد التواب وصلاح الدين الهادي، القاهرة ١٩٧٠.
٦٢ ـ مصورة تاريخ دمشق لابن عساكر (١ ـ ١٩) دار البشير، عمان.

٦٣ ـ المعارف لابن قتيبة، تحقيق ثروت عكاشة، القاهرة ١٩٦٠.
٦٤ ـ معجم الأدباء لياقوت الحموي (١ ـ ٦) تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي (تحت الطبع).
٦٥ ـ مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة ١٩٤٩.
٦٦ ـ المنمق لابن حبيب، تحقيق خورشيد أحمد فارق، حيدر آباد الدكن ١٩٦٤.
٦٧ ـ نسب قريش للمصعب الزبيري، تحقيق ليڤي بروفنسال، مصر ١٩٥٣.
٦٨ ـ نشوة الطرب لابن سعيد (١ ـ ٢) تحقيق نصرت عبد الرحمن، عمان ١٩٨٢.
٦٩ ـ النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (١ ـ ٤) القاهرة.
٧٠ ـ هاشميات الكميت شرح أبي رياش، تحقيق يوسف هوروفتس، ليدن ١٩٠٤.

محتويات الكتاب